تحفة العروس

ونزهة النفوس

لعبد الله محمد بن أحمد بن أبي القاسم التجاني

(٧٢١ - ١٣٢١هـ)

حققه وهذبه وعلق عليه

محمد إبراهيم الدسوقي

طبعة جديدة ٢٠١٤

مكتبة أبو بكر

اسم الكتاب: تحفة العروس ونزهة النفوس
تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم الدسوقي

رقم الإيداع: ١٩٨٩/٨١٢٢

تصميم الغلاف: إبراهيم محمد إبراهيم
الإخراج الفني: وليد مهني علي

تطلب جميع مطبوعاتنا بالمملكة العربية السعودية من
مكتبة الساعي للنشر والتوزيع
ص.ب ٥٠٦٤٩ الرياض ١١٥٣٣ ـ هاتف: ٤٣٥٣٧٦٨ ـ ٤٣٥١٩٦٦ ـ ٤٣٥٩٠٦٦
فاكس: ٤٣٥٥٩٤٥ جوال: ٠٥٥٠٦٧١٩٦٧
E-mail: alsaay99@hotmail.com

مطابع العبور الحديثة – القاهرة
تليفون: ٤٦٦٥١٠١٣ فاكس: ٤٦٦٥١٥٩٩

مكتبة ابن سينا
للنشر والتوزيع والتصدير

نافذتك على الفكر العربي والعالمي من خلال ما تقدمه لك من روائع الفكر العالمي والكتب العلمية والأدبية والطبية ونوادر التراث واللغات الحية. شعارنا: قدم الجديد..
وبسعر رخيص

يشرف عليها ويديرها
مهندس
مصطفى عاشور

٧٦ شارع محمد فريد ـ النزهة ـ مصر الجديدة ـ القاهرة
تليفون: ٢٦٢٧٩٨٦٢ - ٢٦٣٥٣٢٨٢ فاكس: ٢٦٢٨٠٤٨٢
Web site: www.ibnsina-eg.com
E-mail : info@ibnsina-eg.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

لا يجوز طبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل أو اقتباس أي جزء من الكتاب أو تخزينه بأية وسيلة ميكانيكية أو إليكترونية بدون إذن كتابي سابق من الناشر.

بين يدي الكتاب

اللهم اجعلنا ممن يتجهون إليك قائلين: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤].

وبعد:

فيقول مؤلف هذا الكتاب: (كتابنا هذا في الحقيقة ليس كتاب سمر، وإنما هو كتاب علم ونظر). ومن أجل هذا نراه يختم عرضه لأبواب الكتاب الخمسة والعشرين بقوله: (من الله سبحانه نستمد الإعانة.. وإياه نسأل الهداية.. وهو حسبنا ونعم الوكيل).

و(تحفة العروس ونزهة النفوس) اسم على مُسمًّى فهو بحق تحفة، ونزهة، فمن يتصفح أبوابه يجده موسوعة تتناول كل ما يتعلق بالمرأة صاغها مؤلفها بشفافية الأديب، وفقه الفقيه، وذكاء العالم، ومهارة المتخصص في أمور النساء! وبراعة المتحدث في فقه اللغة.

ولأول مرة في هذا المجال نلمح بصمات المؤلف في كل كلمة، وروحه تطل علينا من وراء كل تعبير، ويتجلى ذلك واضحًا في حسن استخدام النصوص الكثيرة والتأليف بينها.. ويكفي أن يعرض ذلك كله في إطار الدين فيقول: (وذكرنا في كل باب من هذه الأبواب، ما يليق به من الأحاديث النبوية، وتعرضنا لإيراد ما يحتاج إليه من المسائل الفقهية، وتبيين كثير مما يشكل من الألفاظ اللغوية).

الكتاب إذن موسوعة يغني عن الأغاني، والأمالي، وزهر الآداب ودواوين الشعراء في عالم النساء.

أما المؤلف فيكفيه فخرًا هذا الكتاب..

جاء في الأعلام للزركلي: عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد التجاني أديب له: (تحفة العروس ونزهة النفوس). أشار فيه إلى أن له كتابًا آخر سماه:

(الوفا في شرح الشفا للقاضي عياض). ولقد أشار أيضًا في تحفة العروس إلى كتاب آخر ألفه في زمن الحداثة سنة اثنتين وسبعمائة فيقول: حملني سن الحداثة إذ ذاك وحب الظهور على أن وضعت جزءًا استدركت فيه على شيخي: محمد بن علوان الهذلي في كتاب ألفه في (أحكام النكاح) وبلغ عدد ما استدركته عليه خمسين مسألة، واتسعت في ذكر الخلاف وبسط التعليق فجاء تأليفا مستقلا، ووقفته عليه فعظمه غاية التعظيم وتلا قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

وكانت وفاة شيخنا المذكور في الرابع لشعبان من سنة عشر وسبعمائة رحمه الله.

وتتجلى لنا السمات العامة للمؤلف من خلال كتابه: فهو أديب، محدث، لغوي، فقيه عاش حداثته في مستهل القرن الثامن الهجري. لقد جمع بين دفتي كتابه كل ما أحسن الظن به من التجارب والخبرات التي تهدي الجيل إلى سواء السبيل في دربه المظلم الطويل!

وإذا كان قد وضع النقط على الحروف فإنه قد واجه الذين يحبون التعتيم وقضى على كل فكر منحرف سقيم، فلا كنايات، ولا تعديات!

لقد أجاب عن كل التساؤلات من خلال فقهه للنصوص، واطلاعه الواسع، ومعايشته لأهل عصره، وتجاربه الحية. وقد هداه كل أولئك أن يضع هذه الموسوعة المتكاملة مما يدل على معرفة واعية بخوافي الأمور الجنسية.. ومهما يكن من شيء فأنا على يقين من أن كشف الأمور التي تناولها أنفع في عصر مثل عصرنا.. عصر الغزو الجنسي، والفيديو والإيدز!

لقد امتدت آفات الثقافة، واشتدت صلتنا بالعالم فلم يبق من الصواب أن يجهل المسلم والمسلمة أمورًا يؤدي الجهل بها إلى الوقوع في ورطة لا يخرج منها! حقًا إنه تحفة العروس ومتعة النفوس! وحسبك أن تستعرض الفصول والأبواب لتعلم إلى أي مدى كان هذا الكتاب فريدًا في فنه. جديدًا في تناوله، سديدًا في آرائه.. أمينًا في عرضه، عظيمًا في فنه، فهنيئًا لك به.

أما جهدنا فسوف تلمسه مع كل كلمة ومن خلال كل صفحة.

وها هي ذي ترجمة المؤلف كما جاءت في الأعلام للزركلي.

التجاني

٦٧٥ هـ - ٧٢١ هـ = ١٢٧٦م - ١٣٢١م

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم، أبو محمد التونسي: رحالة، أديب من أعيان الكتاب، ولد ونشأ بتونس، وعمل بديوان الإنشاء في البلاط الحفصي وتولى الإشراف على رسائل كبير الدولة الأمير زكريا بن أحمد اللحياني، (سنة ٧٠٦هـ) وصحبه في رحلة قام بها، وفارقه في مدينة طرابلس الغرب، وعاد إلى تونس في شهر صفر (سنة ٧٠٨هـ)، وكانت غيبته عامين وثمانية أشهر وأيامًا، دوَّن مشاهداته بها في كتابه (رحلة التجاني - ط) وبويع الأمير اللحياني بتونس (سنة ٧١١هـ) فولى صاحب الترجمة ديوان رسائله، إلى أن غادر البلاد (سنة ٧١٧هـ) ووقعت أحداث توفي التجاني في خلالها. له مصنفات، غير الرحلة، منها: (الوفاء ببيان فوائد الشفاء - خ) نحو نصفه (في مكتبة جامع الزيتونة، بتونس، الرقم ١٣٢١) و(تحفة العروس ونزهة النفوس - ط) و(الدر النظيم) في الأدب والتراجم، و(نفحات النسرين، في مخاطبة ابن شبرين) و(أداء اللازم) في شرح مقصورة حازم القرطاجني، وغير ذلك. والله من وراء القصد،

محمد إبراهيم الدسوقي

مخطوطات الكتاب

تضم دار الكتب المصرية أربع مخطوطات لهذا الكتاب هي:

١ - (المخطوطة رقم ٧) [أدب مصطفى فاضل]:

ميكروفيلم: ٣٣٣٦ وعدد صفحاتها: ٣٦٤ صفحة. أما تاريخ نسخها فهو: ٩٥٩ هجرية.

٢- (المخطوطة رقم ٤٤٢٧) [أدب طلعت]:

ميكروفيلم: ٣٣٩٧ وعدد صفحاتها ٣٤٦ صفحة. أما تاريخ نسخها فهو: ١١٣٣ هجرية.

٣- المخطوطة (رقم ٧١٨) [أدب تيمور]:

ميكروفيلم ٢٣٤١ وعدد صفحاتها: ٣٨٩ صفحة. أما تاريخ نسخها فهو: ١١٦٣ هجرية.

٤- المخطوطة (رقم ٢٧٢٩) [أدب]:

ميكروفيلم: ٣١٨٤٦ وعدد صفحاتها ٢٦٤ صفحة. أما تاريخ نسخها فهو: ١١٧٩ هجرية.

والدارس لهذه المخطوطات الأربع يجد أنها تختلف في عدد صفحاتها وتاريخ نسخها إلا أنها تتفق جميعًا في محتواها ومضمونها.

ولم يقدر لهذه المخطوطات أن ترى النور فيما عدا الطبعة الوحيدة التي ظهرت في عام ١٣٠١ هجرية دون تحقيق.

وقمت بتحقيق مخطوطة الكتاب كاملة على الوجه الأكمل ولكني توقفت في النهاية حائرًا!

إن المؤلف يورد بعض الأقوال الماجنة، ويتنزل إلى إيراد تعبيرات شأن كثير من مؤلفي الأدب في عصره. فهل تسمح لنا قيمنا الجديدة بنشره؟

إن موضوعه يهم الجميع، ولا غنى عنه لمن أراد أن يكمل دينه، بل هو موسوعة تضم كل ما يتعلق بالنساء ومعاشرتهن!

واستخرت الله الذي هداني إلى تهذيبه محافظًا على أبوابه وأسلوبه منحيًا كل ما من شأنه أن يجرح المشاعر مما تناثر في غضون الكتاب ويغني عنه.

وبهذا يتاح للكتاب أن يشق طريقه إلى الجميع.

كتاب تحفة العروس
ونزهة النفوس من تاليف الشيخ
الامام والحبر البحر الهمام
ابي عبد الله محمد بن الشيخ
الاديب عبد الله محمد بن
ابي القاسم ال
تغمده الله تعالى برحمته
ورضوانه وغفرته
امين

الصفحة الأولى من المخطوطة رقم
٤٤٢٧ أدب طلعت

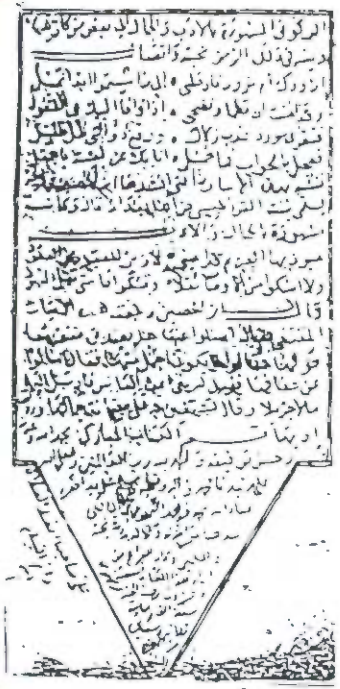

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي سوَّغنا[1] الفضل جزيلا، وفضَّلنا على كثير ممن خلق تفضيلا، وأسبغ علينا نِعَمه الظاهرة والباطنة، مما جعل كثير الشكر إليه قليلا، وصلى الله على سيدنا محمد الذي ابتعثه للخلق رسولا، ونزّل عليه وحيَه تنزيلا، وتخيّره من أطهر الأعراق[2]، وجعل شرعه القويم مُتَمِّمًا لمكارم الأخلاق، وعلى آله وأصحابه الذي كمل لهم بروايته واتّباعه الفضائل تكميلا، وسلم عليه وعليهم تسليما، يتأدّى روحَه[3] إلى أرواحِهم المقدسة بُكْرَةً وأصيلا، وبعد..

فإن الله تعالى بلطيف حكمته، وما أودعه في إبداع العالم من عجائب قدرته، خلق الإنسان مَجْبُولًا على الافتقار، وطبعه في أصل خِلقته على الاحتياج إلى السكن والاضطرار، ثم أراد سبحانه أن يسير ما أحوجه إليه فضلا منه ونعمة، فخلق له من نفسه زوْجًا ليسكن إليها وجعل بينهما مودة ورحمة، وجعل ما ركبه فيهما من الشهوة والحِرص على استكمال النعيم واللذة داعية إلى حفظ الوجود، وبقاء النسل المقصود، وشرع للخلق من النكاح المباح حكمًا هدى من الحيرة، وجدَع[4] به أنف الأَنَفَة والغيرَة.

ولما كان التلذذ بالنساء أعظم اللذات، وكان لهن من التقدم في قلوب الرجال ما قدمهن الله سبحانه في كتابه على سائر الشهوات[5] رأينا أن نجمع من مُلَح أخبارهن، ومُسْتَظْرف نوادرهن وأشعارهن وما يُسْتَحْلى من أوصافهن، ويستحب مِن ألوانهن، وأسنانهن، ويستحسن من آدابهن، ويمدح من خَلْقهن وأخلاقهن، وما ينبغي للرجل أن يتخير لنكاحه منهن، وبيان جمل من أحكامهن نُبذٍ تجمع بين إفادة العلم وإمتاع النفوس، فجمعنا هذا الكتاب المسمى بـ«تحفة العروس» وانتظم ما تضمنه من الفنون في خمسة وعشرين بابا يشتمل كثير منها على فصول تتعدد بحسب ما تتنوع ترجمة الباب إليه وقد أثبتُّها مسرودة على تواليها بما تضمنته قبل النظر فيها:

• **الباب الأول:** جامع في النساء، وما يُتَّقى من فِتْنَتِهن، وما زيّنه الله سبحانه وتعالى في

---

(١) سوّغ الشيء: جعله سائغًا، وجوزه لنا وأباحه، وتركه خالصًا، وسوغ لنا: أعطانا إياه، وأنعم علينا به.

(٢) جمع عرق وهو الأصل، فجاء كما قال: خيار من خيار!

(٣) يخلص إليها. يتأدى: أي يتوصل.

(٤) جدع: قطع أنفه وفي المثل لأمر ما جدع قصير أنفه، فلولا أحكام الزواج ومشروعيته لسالت دماء الغيرة والأنفة بسبب ذاك اللقاء بين الرجل والمرأة، فجاء الزواج بأحكامه ليجدع ويقطع أنف الغيرة فنرى الرجل يقدم ابنته لزوجها! حبًا وكرامة راضيًا سعيدًا.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في الآية من ١٤ من سورة آل عمران: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران: ١٤] فقدم النساء في أول الآية على سائر الشهوات.

قلوب الرجال منهن، وحكمة الله سبحانه في أن خلقهن والرجال من نفس واحدة ليسكن بعضهم إلى بعض، وكراهة الخَلْوة مع غير ذوات المحارم، وما يُؤمَرُ الرجل أن يفعله إذا رأى امرأة فأعجبته!

- الباب الثاني : في العَفَاف والتَّصَوُّن، وثوابِ من مَنَع النّفسَ هواها وقمعَها عن شهواتِها المحرّمة ومُناها.
- الباب الثالث : في الحَضّ على النكاح، والإنكار على من ترك النساء زُهْدًا وذكر اختلافِ الناس في وُجوبه، أو استحبابه.
- الباب الرابع: في تخيُّر الرجل لنُطْفَته، وبيان الخِصال التي تُتَزَوّجُ بها المرأة، وما ينبغي للرجل أن يقصده من ذلك، وما يتجنب منه .
- الباب الخامس: فيما يباح للرجل من النظر إلى المرأة إذا أراد نكاحها.
- الباب السادس : في ذكر الصَّدُقَاتِ[1]، وما ورد في كثرتها وقلتها، وكراهة المغالاة فيها.
- الباب السابع : في الوقت المستحب لعقد النكاح والوليمة، وما ينبغي أن يُدْعى به للمتناكحيْن.
- الباب الثامن : جلاء العروس عند ابتناء[2] زوجها بها، ودخولها على الرجل ليلا أو نهارا، واستحبابَ اللهو في ذلك، وما ينبغي للرجل والمرأة أن يمتثلاه عند الجماع، وقيل الوِقاع[3]، وذكر جمل من آداب الجماع.
- الباب التاسع: في الزينة والطيب وما ينبغي للمرأة من ملازمة ذلك، وأنه من أعظم الأسباب الموجبة لحَظوتِها[4] عند زوجها .
- الباب العاشر : في زينة الرجل وما يستحب له من التهيؤ لزوجته، كما يحب أن تتهيَّأ له ، والنهي عن إكراه المرأة الحسناء على تزوج الرجل القبيح، والحَدَثَةِ[5] على تزوج المُسِنّ.
- الباب الحادي عشر : في معاشرة النساء، وموافقتهن، وحقوق المرأة على الرجل، وما له من الحق عليها، وذكر وصايا من وصايا الحكماء لبناتهن عند إهدائهن.

---

(١) ذكر الجوهري أن الصداق بفتح الصاد وكسرها مهر المرأة وكذا الصدُقة وجمعها صَدُقات وقد أشارت إلى ذلك الآية الكريمة: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [النساء: ٤].

(٢) قال في الصحاح: جلا العروس يجلوها جلاء وجلْوةً أيضًا بالكسر فيهما، بمعنى أي نظر إليها مَجْلُوَةٌ. وبنى على أهله يبني زفّها. والعامة تقول: بنى بأهله. وكأن الأصل فيه ان الداخل بأهله كان يُضْرب عليه قبة ليلة دخوله بها فقيل لكل داخل بأهله بانٍ.

(٣) الوِقاع بكسر الواو: الجماع. يقال: واقع المرأة وِقاعًا ومواقعةً.

(٤) الحظوة جمع حظ: المنزلة.

(٥) الحدثة: الصغيرة. يقال للفتى: حديث السن. فإن حذفت السن قلت: حدث بفتحتين وجمعه أحداث.

- الباب الثاني عشر: في السراري[١].
- الباب الثالث عشر: في تفضيل الأسنان[٢] وما ورد في ذلك من الاستقباح والاستحسان.
- الباب الرابع عشر: في الأبكار والثُّيَّب.
- الباب الخامس عشر: في السِّمَن والضُّمُور.
- الباب السادس عشر: في ذكر الألوان، وفيه ثلاثة فصول: (فصل) في البياض و(فصل) في السُّمرة، و(فصل) في السواد.
- الباب السابع عشر: في الطول والقِصَر.
- الباب الثامن عشر: جامع في الملاحة والجمال.
- الباب التاسع عشر: في ذكر أوصاف النساء على الإجمال.
- الباب العشرون: في ذكر أوصافهن على التّفضيل وما ورد في ذلك، وفيه عشرون فصلا: (فصل)في ذكر الجبهة والجبين وما يتصل بهما من ذكر الطرر والسوالف، (فصل) في ذكر الحواجب، (فصل) في ذكر العيون، (فصل) في ذكر الأنوف، (فصل) في ذكر الخُدود، (فصل) في ذكر الشفاه واللثاث[٣]، (فصل) في ذكر الثغور، (فصل) في ذكر الأعناق، (فصل) في ذكر المعاصم[٤]، (فصل) في ذكر الأنامل وتطريفها[٥] بالحمرة والسواد، (فصل) في ذكر النحور[٦] والصدور، (فصل) في ذكر الثَّدْي واختلاف الناس فيما يستحبون من كبره وصِغَره، (فصل) في ذكر الخُصور[٧]، (فصل) في ذكر العكن[٨]، (فصل) في ذكر السُّرَر، (فصل)

---

(١) السراري: جمع سُرِّيَة وهي الأمة التي يبوئها الرجل بيتًا وهي فُعْلِية منسوبة إلى السرّ وهو الإخفاء لأن الإنسان كثيرًا ما يُسِرّها ويسترها عن حرته، وإنما ضمت سينها لأن الأبنية قد تغير في النسب خاصة والجمع السراري، وقال الأخفش: هي مشتقة من السرور لأنه يُسَرّ بها يقال: تسرر جاريته وتسرّى أيضًا. [الصحاح للجوهري].

(٢) جمع سن وهو العمر الزمني.

(٣) اللّثاث: جمع لِثّة بكسر اللام وفتح الثاء مخففةً لحم الأسنان وأصلها لِثَيٌ مثل عِنَبٌ فحذفت لام الكلمة وعوض عنها الهاء والجمع لثاث على لفظ المفرد.

(٤) المعاصم جمع مِعْصَم على وزن (مفْوَد) موضع السّوار من الساعد.

(٥) قال في المصباح: طرَّفت المرأة بنانها تطريفًا: خضّبت أطراف أصابعها.

(٦) النحور: جمع نَحْر موضع القلادة من الصدر. وتطلق النحور على الصدور.

(٧) الخصور: جمع خِصْر - مثل فِلْس وفلوس - من الإنسان وسطه وهو المستدق فوق الوركين.

(٨) العكن: جمع عُكَنة وهي الطيّ في البطن من السّمن مثل غرفة وغرف وربما قيل: أعكان. وتعكّن البطن: صار ذا عُكن.

في ذكر الفَرْج وما قيل فيه مَنْعًا وإباحة، (فصل) في ذكر الأرداف[1]، (فصل) في ذكر السوق[2]، (فصل) في ذكر الأقدام.

- الباب الحادي والعشرون : جامع لذكر الجماع، وبيان ما فيه من المنافع والمضار وما قيل في الإقلال منه والإكثار، ومذهب العرب في وطء الليل، ووطء النهار، وذكر أسماء النكاح منزلة على حسب ما نَزّلتها العرب في لغتها .
- الباب الثاني والعشرون : في الرّهز[3] في الجماع.
- الباب الثالث والعشرون : في الوطء فيما دون الفرج وذكر صور النكاح التي ورد ذكرها في بعض الأحاديث .
- الباب الرابع والعشرون : في الغَيْرة[4] وما يحمد منها وما يذم .
- الباب الخامس والعشرون : يشتمل على مُلَحٍ من مُلَح المفاكهات والمطايبات تتعلق جميعها بالنكاح وهو خاتمة الأبواب .

وتعرضنا في كل باب من هذه الأبواب لما يليق به من الأحاديث النبوية، وتعرضنا لإيراد ما يحتاج إليه من المسائل الفقهية وتبيين كثير مما يُشكِلُ من الألفاظ اللُّغوية، وكثيرا ما نتعرض لشرح الأحاديث ونذكرها إما بنقل أقوال الناس فيها، وإما بأقوال مُفْتَرَعَة[5] يظهرها النظر ويُبديها، وربما تعرضنا لتصحيح ما حَكَمَ العلماءُ بصحته من تلك الأحاديث، وتقسيم ما حكموا بتقسيمه بحسب العلم والإحاطة، وإذا ذكرنا في باب من الأبواب حديثين فأكثر، وحكمنا بصحة أحدهما أو ضعفه، فليس سكوتُنا عن الباقي حُكْمًا بأنه على خلاف ذلك، بل إنما نُنبه على ما أمكن، ونذكر من ذلك ما تيسر، وذلك بحسب النشاط والتفرغ للنظر.

ليس كتابنا هذا في الحقيقة كتاب سمر وإنما هو كتاب علم ونظر، ومن الله سبحانه وتعالى نستمد الإعانة، وإياه نسأل الهداية وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) الأرداف: جمع رِدْف وهو عَجُزُ المرأة ومؤخرتها.

(٢) السُّوق: جمع ساق. والساق من الأعضاء أنثى ويطلق على ما بين الركبة والقدم وتصغيرها سويقة.

(٣) الرّهْز: الرَّهْزُ التحرك والاهتزاز والنشاط والحركة النشطة طلوعًا ودخولًا، والرهس أيضًا بالسين شدة الوطء.

(٤) الغَيْرة بفتح الغين وينطقها بعضهم - خطأ - بكسرها، مصدر قولك غار الرجل على أهله يَغَار غَيْرًا وغَيْرَةً وغَيَارًا، ورجل غَيُورٌ، وغيرانُ، وامرأة غيور، وغَيْرى!

(٥) أي مبتدأة يقال: افترع الأمر، أي ابتدأه، والمراد أنه يعرض علينا أقوالًا منقولة عن السابقين إلى جانب أقوال كان هو مصدرها. وفي النسخة المطبوعة سنة ١٣٠١هـ منتزعة.

الباب الأول

جامع [1] في النساء، وما يُتّقى من فتنتهن، وما زيّنه الله سُبحانه في قلوب الرجال منهن، وحكمة الله سبحانه في أن خلقهن والرجال من نفس واحدة ليسكن بعضهم إلى بعض، وكراهة الخلوة مع غير ذوات المحارم [2]، وما يُؤمر الرجل أن يفعله إذا رأى امرأة فأعجبته

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾ [آل عمران: ١٤] فجعل اللهُ تعالى النساءَ في هذه الآية رأسَ الشهوات [3]، بتقديمه إياهن على ما ذكر؛ وذلك لتقدمهن في قلوبِ الرجال على جميعها.

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: كم شَقْوتنا أن الله سبحانه قدّمنا حيث ذكَرَ الشّهوات [4] ثم تتلو هذه الآية. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]. فجعلَ الله تعالى خَلْقَ بعضِهم من بَعضٍ عِلّةً لسكون بعضِهم إلى بعض. كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩] إذِ الإنسانُ لجنسه أمْيَلُ، وعليه أقْبل. جاء في الحديث «أن الله تعالى لما خلق آدم وأسكنه جنته بقي في الجنة مُسْتَوحشًا [5] ليس له من يسكن إليه؛ فألقى الله سبحانه وتعالى عليه السِّنَة [6] ثم أخذ ضِلعًا من أضلاعه من شِقّه الأيسر وهو القصير؛ فخلق منها حَوّاءَ فاستيقظ، فإذا هي عند رأسه، فسألها: ما أنتِ؟ فقالت: امرأة، قال: ولم خُلِقْتِ؟ قالت: لتسكن إليّ؛ فذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ وكان من هبوطهما إلى الأرض، وانتشار الذرية منهما ما كان».

روى عبدُ الرحمن بن ميسرة أن رجلًا أتى إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجلُ يتزوج المرأة

---

(١) أي شامل يغنيك عن غيره، بما يتضمنه من الجوانب التي تناولها المؤلف وبسط الرأي فيها.

(٢) وهن اللائي يحل للمسلم الزواج بهن. (٣) ورأس كل شيء أعلاه، ورأس القوم سيدهم.

(٤) الشهوة إما كاذبة ومنها قوله تعالى: ﴿ خَلْفٌ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾ [مريم: ٥٩]، أو صادقة كقوله تعالى: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ [الزخرف: ٧١] أو تحتملها كما نحن فيه. وتزيين الله عبارة عن جعل القلوب متعلقة بها مائلة إليها، وتزيين الشيطان وسوسته وتحسينه الميل إليها. وجاء في حسن الأسوة باب ما نزل في حب الشهوة: المراد بالناس الجنس، والشهوات: جمع شهوة، وهي نزوع النفس إلى ما تريده، وتوقانها إلى الشيء المشتهي، والمراد هنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مرغوبًا فيها، أو تحقيرًا لها، وقوله: ﴿ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [النساء: ٣] بدأ بهن لكثرة تشوق النفوس إليهن، والاستئناس والالتذاذ بهن، لأنهن حبائل الشيطان، وأقرب إلى الافتتان.

(٥) شاعرًا بالوحشة والغربة لعدم وجود أنيس من جنسه يجالسه أو يسكن إليه!

(٦) السِّنة: بالسين المشددة المكسورة الأخذ في النعاس والدخول فيها. والحديث صرح به محمد بن إسحاق ونقله ابن كثير في تفسيره، انظر تفسير ابن كثير (١/ ٧٩).

لا يعرفُها ولاَ تعرفه، ثم لا يكون إلا ليلة حتى لا يكون شيء أحب إليه منها، وإليها منه. فقال رسول الله ﷺ: «تلك أُلْفَةُ الله» وتلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[1] [الروم: ٢١].

قال طاوس في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] قال: إذا نظر إلى النساء لم يتمالك. وقال قتادة في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال: هو الصبر على النساء. وفي الحديث أن النبي ﷺ كان يقول في تعوُّذه: «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النساء وعذاب القبر»[2]. عبد الرحمن بن زيد العمي بإسناده عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا النساءُ لعُبِدَ اللهُ حَقًّا»[3] عبد الرحمن راوية منكر الحديث. البخاري عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تركت فِتنةً هي أضَرُّ على الرجال من النساء»[4].

مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صباح إلا ومَلَكَان يُنَادِيان: سبحان الملك القُدُّوس، وملكان يناديان: اللهم أعْطِ مُنفقًا خَلَفًا ومُمْسِكًا تلفا، ومَلَكان مُوَكَّلان بالصُّور ينتظران متى يؤمران فَيَنْفُخَان، ومَلَكَان يناديان: يا باغِيَ الخير هَلُمَّ، ويا باغِيَ الشَّرِّ أَقْصِر، وملكان يناديان يقول أحدهما: ويل للرجالِ من النساءِ، ويقول الآخر: وويل للنساء من الرجال»[5].

مسلم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدنيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإن الله مُسْتَخْلِفُكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أولَ فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[6].

وقال ﷺ في بعضِ خُطَبه: «النساء حبائلُ الشيطان، والشبابُ شُعْبَةٌ من الجِنة»[7].

قال سعيد بن المسيب: «ما يئس الشيطان من وَلِي قَطُّ إلا أتاه من قِبَلِ النساء»[8] وكان سعيد قد بلغ بِضعًا وثمانين سنة وكان يقول: ما أمْسَيْتُ أخاف على نفسي إلا النساء.

أبو عثمان النّهدي قال: مر أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته بطريق من طرقِ المدينة،

---

(١) قال ابن كثير: المودة هي المحبة، والرحمة هي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها، أو لرحمة بها بأن يكون نها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما، وغير ذلك.

(٢) ذكره العلامة المناوي في فيض القدير برقم (١٥٤٥) بلفظ (اللهم إني أعوذ بك من فتنة النساء، وأعوذ بك من عذاب القبر...) وعزاه للخرائطي في اعتلال القلوب عن سعد (رضي الله عنه).

(٣) أخرجه الديلمي عن أنس في الفردوس برقم (٥٠٨٠)، وذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة (١٥٩٢)، وقال: لا أصل له وله شاهد ذكره الثقفي في الثقفيات بلفظ (لولا المرأة لدخل الرجل الجنة) وفيه بشر وهو متروك، ورواه ابن عدي عن عمر مرفوعًا وقال: هذا الحديث منكر، انظر الفوائد المجموعة كتاب النكاح برقم (١)، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة: موضوع وله طريقان، انظر السلسلة الضعيفة برقم (٥٦)، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات(٢/ ٢٥٥) وقال: لا أصل له.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب النكاح انظر فتح الباري حديث رقم ٥٠٩٦، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء باب بيان فتنة النساء، وابن ماجة في كتاب الفتن باب النساء حديث رقم ٣٩٩٨، ووجه كونهن أضر، لأن الطباع تميل إليهن كثيرًا، وتقع في الحرام لأجلهن، وتسعى للقتال والعداوة بسببهن، وأقل ذلك أن ترغبه في الدنيا وإفسادها أضر.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الأهوال ٤/ ٥٥٩ وقال: تفرد به خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم، وتعقبه الذهبي بقوله: قلت: خارجة ضعيف، والبزار في مسنده، انظر مجموع الزوائد (١٠/ ٣٣١) قال الهيثمي: فيه خارجة بن مصعب وهو ضعيف.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء باب فتنة النساء حديث (٩٩)، وابن ماجة في سننه كتاب الفتن باب فتنة النساء حديث (٤٠٠٠)، والبيهقي في السنن ٧/ ٩١، قوله: (إن الدنيا حلوة خضرة) يحتمل أن المراد به شيئان: أحدهما حسنها للنفوس ونضارتها ولذاتها، والثاني سرعة فنائها كالشيء الأخضر. أفاده النووي.

(٧) أخرجه أحمد في الزهد من حديث طويل ص ١٤١، والبيهقي في دلائل النبوة، انظر الدر المنثور ٢/ ٢٢٥، والديلمي في الفردوس حديث ٣٦٦٥، وذكره السيوطي في جمع الجوامع وعزاه لابن لال والخرائطي في اعتلال القلوب، وصاحب كشف الخفاء برقم ١٥٣٠، قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث: (النساء حبائل الشيطان) أي مصايده واحدتها حبالة، وحبالة ما يصاد به انظر النهاية ١/ ٣٣.

(٨) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ١٦٦ بلفظ (ما أيس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء).

فسمع جاريةً تهتف بمحمدِ بن القاسم بن جَعْفر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في شعرٍ غنّت به، فسألها: أَحُرّةٌ هي أم مملوكة؟ فقالت: مملوكة، فاشتراها وبعث بها إليه وقال له: هؤلاء فتَن الرجال كم مات بهنّ من كريم، وعَطِبَ بهن من سليم!!

قال يونس: صحبت الحسن البَصْرِيَّ ثلاثين سنة ما سمعته قط خاض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا إنما كان أكثرُ ذكره الموت حتى أَتَتْه امرأة يوما، ناهيك [1] من امرأة شبابًا وجمالًا وشحما ولحما يدفع بعضها بعضًا فجلَسَتْ بين يديه وقالت: يا شيخَ الإسلام، أيحل للرجل أن يتزوج على امرأته وهي شابة جميلة وَلُود [2] ؟! قال: نعم، أحل اللهُ له ذلك، فكشفت عن وجهٍ لم يُرَ مِثلُه حُسنًا وقالت: أَوَ عَلَى مثلي؟!، قال: نعم. قالت: سبحان الله العظيم، بعيشِك [3] يا أبا سعيد لاتُفْتِ الرجالَ بهذا، ثم قامت منصرفة وأتْبَعها الحسنُ ببصره ثم قال: ما ضَرّ امْرَأكانت هذه عنده ما فاتَهُ [4] من دُنياه!.

• أيهما يستحق العجب؟

وأنشد أبو الفرج في كتاب (النساء) للأسود الخاقاني وقد عاتبته امرأة على هوًى له.

وَيْـكِ إن الـمَـلامَ يُـغْـرِي المَلُومَا ... لَيْس جُرْمِي كما زَعَمتِ عظيما [5]

إنْ أَكُـنْ عـاشِـقًـا فلم آتِ إلا ... مـا أَتَـتْـه الـرجـالُ قَـبْـلِـي قَديمَا

إنـمـا يـكـثـرُ الـتَّـعَـجُّـبُ مِـمّـن ... كـان مـن فِـتْـنَـةِ الـنـسـاء سَليما

• النساء شياطين أم رياحين؟!:

ابن الجوزي في كتاب الأذكياء قال: مرّ شاعرٌ بنسوة فأعجبه حسنُهن فأنشأ يقول:

إن الـنّـسَـاءَ شياطينٌ خُـلِـقْـنَ لَنَا ... نـعـوذُ بـالـلـه مـن شـرِّ الشياطينِ

• هُنّ رياحين خُلقن للشم والضم :

حكى صاحب كتاب «واجب الآداب» قال: وقع خالد [6] بن يزيد بن معاوية يومًا في عبد الله بن الزبير، فأقبل يصفه بالبُخل، وزوجته رَمْلَة بنت الزُّبَيْر أختُ عبدِ الله جالسةٌ، فأطرقت ولم تتكلم بكلمة، فقال لها خالد: مالك لا تتكلمين؟ أرضًا بما قُلتُه أم تَنَزُّها عن جوابي؟! فقالت: لا هذا ولا ذاك، ولكنّ المرأة لم تخلق للدخول بين الرجال إنما نحن رياحينُ للشمِّ والضمِّ فما لنا وللدخول بينكم؟! فأعجبه قولها وقام وقبل بين عينيها.

• المرأة ريحانة وليست قهرمانة!

والأصل فيه قول عليٍّ رضي الله عنه لولده: لا تملك المرأةُ من أمرِها ما جاوزَ نفسها، وإنما هي ريحانةٌ وليست بقهرمانة [7].

---

(١) ناهيك: أي تكفيك عن تطلب غيرها ويقال أيضًا - امرأة ناهيتك من امرأة. غاية فيما تطلب. المعجم الوسيط.

(٢) غير عاقر، والعرب يفضلونها ولودًا تلد لهم البنين والبنات.

(٣) أستحلفك. أو بحق عيشك. كما تقول: بحياتك.

(٤) لأن مثلها هي الدنيا.

(٥) وَيْك: عجبًا.

(٦) ذكره السيوطي في الوشاح في فوائد النكاح. ووقع فيه: نال منه وتناوله بالذم والقَدْح.

(٧) القهرمانة: مدبرة البيت ومتولية شئونه. (مُعَرّب).

• من العصمة أن لا تجد!

يزيد بن حبيب عن عائشة رضي الله عنها قالت : كلكم حَصان ما لم يُراوَد، قال الراوي: ما لم يتعرض له النساء [١] !!

• حبائل الشيطان:

قال أبو المختار: لقيت امرأةً من قومي بمكةَ فجلست أحَدّثها وعبد الله بن عباس يصلي فسمعني أقول لها: يا فلانةُ! استوحشَ لفراقك القلبُ [٢]، وجاورني من لا أهوى فكنت كما قال الأوَل:

أيَبْعُدُ مَنْ أَهْوى ويُشْعِفنا النّوى بمَن لا يُبالي أن يُفارقَه أهلي؟! [٣]

فأقبل عليّ ابن عباس وقال: ما هذه المرأة منك؟ قلت: من العشيرة وبنات العم، فقال: قم وإلا وقعنا في فتنة. إن النساء حبائل الشيطان فإياك أن تخلو بامرأة إلا أن تكون مَحْرَمًا [٤].

• الخلوة بالنساء:

البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه: «لا يَخْلُوَنّ رجلٌ بامرأة إلا مع ذي محرم، فأيّما رجل خلا بامرأة كان الشيطانُ ثالثَهما» [٥].

• لماذا كان حمو المرأة موتا:

وعن ابن عباس أيضا قال: قال رسول الله ﷺ : «إياكم والدخول على النساء، قال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو .؟ قال: الحمو الموت» [٦]. قال الهروي في غريبه: إنه أراد أن خلوة الحمو معها أشد من خلوة غيره من البُعَداء [٧]، قال ثعلب : سألت ابن الأعرابي عن قوله: «الحمو الموت» فقال: هذه الكلمة تقولها العرب مثلًا كما يقولون: «الأسد الموت»، وكما يقولون: «السلطان نار» والمعنى: احذروهما كما تحذرون الموت والنار!!

• المرأة في إقبالها وإدبارها:

مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ رأى امرأة فأتى زوجته زينب، فقضى حاجتَه منها، ثم خرج إلى أصحابه فقال: «إن المرأة تُقْبِلُ وتُدْبر في صورة شيطانٍ فإذا أبصر أحدُكم امرأةً فليأتِ أهلَه فإن ذلك يَرُدُّ ما في نفسِه» [٨].

---

(١) لا تظهر عفة الرجل وحصانته إلا إذا وضع في تجربة فتعفف ومنع نفسه فإذا لم تكن هناك تجربة فالكل سواء ولهذا قال بعضهم: (من العصمة ألا تجد). والحصَان العفيف وكذا الحصناء بينة الحصانة.

(٢) أحَسّ بالوحشة والغربة لمفارقتك له وبعدك عنه فلم يجد من يحب على القرب منه.

(٣) النّوى البعد وشغفه الحب: أحرقه.

(٤) لا يحل لك أن تتزوجها، كالأخت وغيرها من المحرمات.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، وأورده السيوطي في جمع الجوامع وعزاه للطبراني، وذكره المنذري في الترغيب.

(٦) الحَمُ: كل قريب للزوج مثل الأب والأخ والعم ففيه أربع لغات: حَمًا مثل عَصًا، وحمٌ مثل يَدٌ، وحموها مثل أبوها، وحَمء بالهمزة، مثل خَبْء. وكل قريب من قبل المرأة فهم الأختان، ولكن ابن فارس يرى أن الحمء من الجانبين. وهكذا نقله الخليل عن بعض العرب. والحديث أخرجه البخاري في كتاب النكاح، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب وعزاه للبخاري ومسلم والترمذي انظر الترغيب والترهيب ٣/ ٣٨٠.

(٧) انظر غريب الحديث للهروي ٣/ ٣٥٣- ٣٥٤.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب النكاح باب من رأى امرأة حديث رقم (٩)، وذكره العلامة المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير - رواه أحمد في مسنده وأبو داود عن جابر وصححه. وقال العلامة المناوي: وذلك الذي وجده في نفسه من الإعجاب بالمرأة هي جبلة الآدمية ثم غلبها بالعصمة فانطفأت وقضى من الزوجة حق الإعجاب والشهوة الآدمية بالاعتصام والعفة.

• ماذا يفعل الزوج عندما تعجبه أجنبية عنه؟!!

وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا أحدُكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه، فليعمد إلى امرأته فلْيُواقِعْها فإن ذلك يَرُدُّ ما في نفسه»[١].

• إيضاح وبيان:

قال عياض في الإكمال قوله: «إن المرأة تُقْبل وتدبر في صورة شيطان» إشارة إلى أنها تدعو للهوى والفتنة بجمالها، وما جعل الله في طباع الرَجل من الميل إليها، كما يدعو الشيطان بوسوسته وإيائه لذلك. وقوله: «إذا أبصر أحدُكم امرأةً فَلْيأتِ أهلَه» تنبيه لدواء الداء المحرك للشّهوة بإطفائه بالمواقعة[٢] وتسكين النفس.

• إزالة ما قد يكون من لبس!

قال: ولا تظنن بمواقعة النبي ﷺ لزينب حين رأى المرأة أنه قد وقع في نفسه شيء منها! بل هو ﷺ مُنَزّه عن الميل ولكنه ﷺ فعل ذلك لتقتدي به أمته في الفعل ويمتثلوا أمره بالقول.

قال: وقد يكون ﷺ عند رؤية شخصٍ ظاهرِ الحسن تَذَكَّر به من عنده فذهب فقضى حاجته منها!

الباب الثاني

في العفاف والتصوُّن وثواب من منع النفس عن هواها، وقمعها[٣] عن شهواتها المحرمة ومُناها

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ -٤١].

• من أحب فعف...

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «من أحب فَعَفّ فمات فهو شهيد»[٤] ذكره أبو الفرج في كتاب النساء. وفي رواية: «من أحب فكتم وعف فمات»[٥] يروي هذا الحديث سويد بن سعيد عن يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه، وسُوَيْد بن سعيد قد تُكُلّم فيه. على أن مسلمًا رحمه الله خرج له في صحيحه، وعيب ذلك على مسلم أيضًا[٦].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب النكاح حديث رقم (١٠).

(٢) المعاشرة الجنسية والجماع.

(٣) التصوّن: وقاية لنفس من المعايب، والقمع: الإذلال والمنع والزجر والنهي.

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير برقم ٥٧٠٩ وعزاه للخطيب من حديث عائشة، قال الألباني: سنده ضعيف انظر السلسلة الضعيفة برقم ٤٠٩، وذكره العجلوني في كشف الخفاء برقم ٢٥٣٨ وعزاه لابن عساكر في تاريخه والحاكم في تاريخ نيسابور والخرائطي في اعتلال القلوب.

(٥) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة بلفظ (من عشق فعف وكتم فمات مات شهيدًا) حديث رقم ١١٥٣.

(٦) ولم يقع هذا اللفظ (العشق) في القرآن الكريم، ولا في السنة إلا في حديث (سويد بن سعيد) ويقول ابن القيم: وهذا حديث باطل على رسول الله ﷺ قطعًا لا يشبه كلامه، وقد صح أنه عد الشهداء ستة فلم يذكر فيهم قتيل العشق شهيدًا ولا يمكن أن يكون كل قتيل بالعشق شهيدًا فإنه قد يعشق عشقًا يستحق عليه العقوبة، وقد أنكر حفاظ الإسلام هذا الحديث على سويد، وقد تكلم الناس فيه. اهـ.

• إني أخاف الله!

مالك عن حبيب بن عبد الرحمن الأنصاري عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد أو عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «سبعة يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. فذكر منهم شابًّا نشأ في عبادة الله عز وجل ورجلًا دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال: إني أخاف الله». هكذا روى هذا الحديث عن مالك رضي الله عنه على الشك في أبي سعيد أو أبي هريرة وكذا رواه غير مالك رضي الله عنه [١].

عقبة بن عامر الجُهَنِيّ قال: قال رسول الله : «يَعْجَبُ ربُّك من شابٍّ ليس له صَبْوة» [٢].

• أفضَل الجهاد !

ابن عمر قال: كانت يمين رسول الله ﷺ : «لا وَمُقَلِّب القلوب» قال: وكان يقول: «أفضلُ الجهاد جهادُ الهوى» [٣].

وفي غير هذا الحديث أن رسول الله ﷺ كان يكثر أن يقول: «يا مقلبَ القلوب ثبِّت قلبي على طاعتك» قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله إنك تُكثر أن تدعو بهذا الدعاء فهل تخشى؟ قال: «وما يُؤَمِّنُني يا عائشةُ وإنما قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن فإذا أراد أن يقلب قلب عبده قلبه، وقلب السبابة والوسطى» [٤]. وجاء في أثر : «اعصَ الهوى والنساء، وافعل ما شِئت».

• النظرة الأولى... والنظرة الثانية!

علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله ﷺ يذكر النظر إلى النساء فقال: «النظرة الأولى لك يعني نظرة الفُجاءَة والثانية عليك لا لك، والنظرة إلى المرأة سهم من سهام إبليس فمن تركه خوف الله تعالى. آتاه الله تعالى إيمانًا يجد حلاوتَه في قلبه» [٥].

قال الأعمش في قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١].

قال : نُهِيَت المرأة أن تنظر إلى غير زوجها [٦].

• سؤال حول خيرِ النساء!

قال أبو الفرج في كتاب النساء : سأل رسولُ الله ﷺ عليًّا رضي الله عنه وجماعةً من الصحابة-

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة، ومالك في الموطأ كتاب الشعر باب ما جاء في المتحابين في الله، وذكره العلوني في كشف الخفاء وقال: رواه مالك والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنهما وأبي سعيد، ورواه ابن زَنْجوية عن الحسن البصري مرسلًا، وابن عساكر عن أبي هريرة بلفظ (سبعة في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظلُّه...) بلفظ مختلف... وقال السيوطي: رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد.

(٢) الصبْوة: الميل إلى الهوى وهي المرة منه - كما ذكرها ابن الأثير في غريب الحديث فقد قال: ومنه الحديث (وشاب ليست له صَبْوَة). أخرجه أحمد في مسنده بلفظ (إن الله عز وجل ليعجب من الشاب ليست له صبوة) انظر أحمد (٤/ ١٥١).

(٣) جاء الحديث في فيض القدير شرح الجامع الصغير تحت رقم ١٢٤٧ - أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه. وعزاه لابن النجار في تاريخه عن أبي ذر - رضي الله عنه - ويقول المناوي: أخرجه الحافظ أبو نعيم والديلمي من حديث أبي ذر بلفظ: أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٦/ ٢٥١.

(٥) أورده الحافظ المنذري بلفظ «يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليس لك الثانية) وقال: رواه أحمد والترمذي وأبو داود، وأخرجه ابن أبي شيبة، انظر الدر المنثور ٥/ ٤٠.

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٨/ ٩٢.

رضوانُ الله عليهم- عما هن خير النساء؟ فلم يدروا ما يقولون! فانصرف علي رضي الله عنه إلى فاطمةَ فذكر لها ذلك فقالت: خير النساء اللاتي لا يَرَوْنَ الرجال ولا يَرُونَهُنَّ، فأخبر علي رضي الله عنه بذلك رسول الله ﷺ فقال: أعنك هذا أم من غيرك؟ قال: أخبرتني به فاطمة! فأعجب ذلك رسول الله ﷺ وقال: «إنما فاطمة بَضْعةٌ مِنّي»[1].

• قد غفر الله لذي الكفل!

سعد مولى طلحة قال: لقد سمعتُ من رسول الله ﷺ حديثًا لَوْ لَمْ أسمعْه منه إلا مرةً أو مرتين حتى عد سبعا لما حدثت به ولكن سمعته أكثر من ذلك قال: قال: «كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع عن ذنب يأتيه فأتته امرأة فأعطاها دنانير على أن يطأها فلما قعد منها مَقعد الرجلِ من امرأته ارتعدت فرائصُها فقال لها: ما شأنك أَكْرَهْتُك؟! قالت: لا، ولكن هذا عملٌ لم أعمله قَطُّ، قال: فما حملك عليه؟ قالت: الحاجة، قال: فنزل فقال: اذهبي والدنانير لك، ثم قال: والله لا يَعصى الله «ذو الكفل» أبدا فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه قد غفر الله لذي الكفل»[2].

• اتق الله ولا تفضض الخاتم إلا بحقه!!

البخاري عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما ثلاثةُ نفرٍ يمشون إذ أخذهم المطر فأَوَوْا إلى غار في جبل فانحطّت عليهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم الغار! فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة فادعوه بها، فقال أحدهم: اللهم إنه كانت لي ابنة عم فأحببتُها كأَحَبّ ما يحب الرجالُ النساءَ فطلبت إليها نفسَها فأبت حتى آتيها بمائة دينار: فبقيت- وفي رواية أخرى- فسعيت حتى جمعتها فأتيتها بها، فلما قعدت بين رجليها قالت: يا عبدَ الله اتّقِ اللهَ ولا تَفْضُضِ الخَاتَم إلا بحقّه!، فقمت عنها فإن كنتَ تعلم أني فعلت ذلك ابتغاءَ وجهك فافرِجْ لنا فُرجَةً، قال: فرفع الله من الصخرة فُرجَةً..»[3]. وقال الآخران مثل ذلك في أعمال عَمِلاها خالصةً لله تعالى ففرّج عنهم بقية الصخرة». وفي بعض روايات البخاري «فطلبتُ إليها نفسَها فامتنعتْ حتى أَلَـمَّتْ بها سَنَة[4] من السّنين فأجابتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تُخَلِّيَ بيني وبينها ففعلَتْ، فلما قدرت عليها قالت: يا عبد الله لا يَحِلُّ لك أن تَفْتَح الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها وهي أحب الناس إليّ وتركت لها ما كنت أَعْطَيْتُها».

---

(١) البَضْعةُ بالفتح: القطعة من اللحم. كما ذكر ابن الأثير في النهاية. وقال: وقد تكسر أي أنها جزء مني كما أن القطعة من اللحم جزء من اللحم. والحديث أخرجه مسلم في مناقب الصحابة باب مناقب فاطمة، وأحمد في مسنده ٤/ ٥.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٢٣، وذكر ابن كثير في تفسيره هذه الرواية قال: هكذا وقع في هذه الرواية الكفل من غير إضافة والله أعلم- وهذا الحديث لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة وإسناده غريب. وعلى كل تقدير فلفظ الحديث إن كان الكفل ولم يقل (ذو الكفل) فلعله رجل آخر. والله أعلم. انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٢٠٠، وقال قبل أن يروي الحديث: روى الإمام أحمد حديثًا غريبًا، ثم ذكر الحديث. وقال عن ذي الكفل: إنه رجل صالح غير نبي تكفل لنبي قومه أن يكفيه أمر قومه وإن كان الظاهر من السياق أنه نبي لذكره مع الأنبياء قبله. ووقف ابن جرير في ذلك. وقوله: مقعد الرجل من امرأته: أي كما يقعد من يريد نكاح زوجته. والفرائص: جمع فريصة وهي لَحْمَةٌ بين الجنب والكتف لا تزال تُرْعَد وتهتز من الدابة، وجمعها فريص. ويراد بها عصب الرقبة وعروقها التي تهتز، لأنها هي التي تثور في الغضب، وقال الترمذي: هذا حديث حسن كما أشار إلى ذلك ابن القيم في كتابه روضة المحبين. ورواية الجامع الصحيح: الكفل. وكذلك هو في تهذيب التهذيب في ترجمة سعد مولى طلحة راوي القصة عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب إجابة دعاء من بر والديه، انظر فتح الباري حديث رقم ٥٩٧٤ بتمامه. غريب الحديث: الفُرجة: بالضم الفتحة في الحائط والانفرج.

(٤) ألمت: نزلت. والسنة الحول وقد يراد بها الجدب وفي الحديث: (اللهم اجعلها عليهم سنينًا كسنين يوسف).

• ألا يعلم من خلق؟!

فُضَيْل بن رُزين قال: دخل رجل غَيْضَةً [1] له فقال: لو خَلَوْتُ هنا بفلانة فلم يرَنا أحدٌ فسمع صوتا ملأ الغَيْضَة: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

وهذا كما قال نابغة بني شيبان: أنشده أبو علي في الأمالي:

إنّ مَـنْ يَـرْكَـبُ الْـفَـواحِـشَ سِـرًّا ... حين يخلو بسـرِّه غـيـرُ خـالـي !!
كـيـف يـخـلـو وعـنـده كـاتـباه ... شـاهـداه وربُّـه ذُو الْـجَـلالِ ؟!

• جَلّ من لا يغفل ولا ينام!!

وقال آخر:

إذا مـا خـلـوت الـدّهْـرَ يـومـا فلا ... تقل خلوتُ؛ ولكن قُلْ عَلَيّ رقيبُ !
ولا تَـحْـسَـبَـنّ الـلـهَ يَـغْـفـلُ ساعةً ... ولا أن مـا تُخفيه عـنـه يَـغـيـبُ !

• جارية ذات دين!

قال رجل: خرجت في ليلة مظلمة فإذا أنا بجارية كأنها عَلَم فتعرّضتُ لها فقالت: أما لك يا هذا زاجر من عَقْلٍ، إذا لم يكن لك نَاهٍ من دين؟! قلت: يا هذه، إنه والله لا يرانا إلا الكواكب.

فقالت: يا جاهل، وأين مُكَوْكِبُها [2]؟! ثم ذهبت عني!

• قالت: والله إن المكان خال. فما يمنعك؟

قال أبو الفرج: كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار من بني جشم ابن معاوية ينزل مكة، وكان من عُبّادِ أهلِها فسمى القَسَّ لعبادته، فمر ذات يوم بدار سلّامة المغنية المعروفة بسلّامة القَسّ، وإنما سميت به، لأنه مرّ بدارها وهي تغني، فوقف يسمع غِناءها فرآه مولاها فدعاه إلى أن يدخل إليها ليسمع منها فأبى، فقال له: إني أُقْعِدُك في مكان تسمع منه ولا تراها ولا تراك، قال: أما هذا فنعم، فأدخله داره وأجلسه حيث يسمع غِناءها، ثم أمرها فخرجت إليه، فلما رآها، عَلِقَتْ بقَلبِه، فهام بها واشتهر وشاع خبره.

قال: وجعل يتردد إلى منزل مولاها مُدّة طويلة ثم إن مولاها، خرج يوما لبعض شأنه، وخَلّفه مقيمًا عندها فقالت له: والله إني لأحبك، فقال لها: والله إني كذلك [3]؛ فقالت: وما يمنعك والله إن المكان خالٍ ؟! قال: يمنعني قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧]؛ فأكره أن تتحول مودتي لك عداوة يوم القيامة، ثم نهض فخرج وهو يبكي فما عاد إليها !!

• صفقة خاسرة!

صاعد في الفصوص قال: جاء أعرابي لامـرأة فهمّ بها فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة [4]

---

(١) الغَيضة: بفتح الغين وسكون الياء: الأجَمَةُ وهي الشجر الملتفّ وجمعها غياض مثل روْضة ورياض وغيضات مثل بيضة وبيضات.

(٢) كأنها عَلَم: العلم الجبل، والمراد أنها كانت ضخمة فخمة وربما كانت كأنها غلام. واضحة في الظلام. ومُكَوْكِبُها: جاعلها تضيء وخالقها.

(٣) ذكر ابن القيم أنها قالت له: فإني والله أحب أن أضع فمي على فمك، قال: وأنا والله أحب ذلك، قالت: فما يمنعك...إلخ.

(٤) سقطت هذه العبارة من (أ).

أدركته عصمةُ الله فتنحّى عنها ثم قال: إن امرَأً باع جنةً عرضُها السموات والأرض بمقدار ما بين رِجْلَين لمَغْبُون الحَظّ، وفي رواية لقليل البَصَرِ بالمبايعة [١].

• ما كنت صانعًا لو ظفرت بها؟!

قيل لبعض الأعراب وقد طال حبه لجارية، ما كنتَ صانعًا لو ظَفِرتَ بها ولا يراكما إلا الله تعالى؟ قال: إذًا والله لا أجعله أهونَ الناظرين، ولكن أصنع معها ما أصنع بحضرة أهلها: حديثٌ طويل، ولَحْظٌ [٢] كليل، وترك ما يكرهه الرب، ولا ينقطع به الحب.

• من أولئك الذين إذا عشقوا ماتوا؟

قال سعيد بن عقبة: قلت لأعرابي: ممّن أنت يا أعرابي؟ فقال: ممن إذا عَشِقُوا ماتوا!! قلت: فأنت إذًا من بني عُذْرَة قال: أجل، قلت: ولم كان ذلك فيكم، قال: في نسائنا صَبَاحَة، وفي فتياننا عِفّة [٣].

• ما بال العشق يقتلهم؟

وقال سفيان بن زياد: قلت لرجل من بني عذرة وقد رأيتُ هوىً غالبًا عليه: ما بال العشق يقتلكم معاشر عُذْرَة من دون العرب؟ فقال: فينا جمال وتعفف وراء مَحَاجِرَ لا ترونها [٤].

• مثل أعلى!

وأنشد أبو الفرج في كتاب النساء لأم فروة الغطفانية يقول:

وما ماء مزن أيّ مزن تقوله ... تَحَدّر عن غُرٍّ طوالِ الذّوائب
نفى الريح إن هب القذى عن متونه ... فليس به عيب تراه لشارب
بمنعرج من بطن واد تقابلت ... عليه رياح الصيف من كل جانب
بأطيبَ ممن يقصر الطرف دونه ... تُقى الله واستحياء بعض العواقب

وذكر هذه الأبيات «صاحب الزهر» وقال: إنها لعاتكة المرية في ابن عم لها كانت تهواه [٥].

• لا خير في لذة من بعدها النار !!

وروى سفيان الثوري: أن عليًّا بنَ أبي طالب رضي الله عنه كان ممن يتمثل بقول الشاعر:

تفنى اللذاذة ممن نال شهوتَه ... من الحرام ويَبْقى الإثمُ والعارُ
تبقى عواقبُ سوءٍ في مَغَبّتها ... لا خيرَ في لَذّة من بعدها النارُ [٦]

---

(١) ليست لديه خبرة ولا بعد نظر في التجارة الرابحة!
(٢) الحظ: نظر، كليل: غير نافذ تنفيذًا للأمر بغضّه.
(٣) ذكره ابن الجوزي في ذم الهوى.
(٤) ذكره ابن الجوزي في ذم الهوى. والمحاجر: جمع مَحجر: ما أحاطَ بالعين.
(٥) قال الحصري قبل عرض الأبيات الأربعة في زهر الآداب الجزء الأول ص ٢٢٨: وعشقت عائشة المرّية ابن عم لها فراودها عن نفسها فقالت:

وما طعم ماءٍ أي ماء تقوله ... تحدّرُ عن غُرِّ طوالِ الذوائب
بمنعرج من بطن وادٍ تقابلت ... عليه رياح الصيف من كل جانب
نَفَتْ جريةُ الماء القذى عن متونه ... فما إن به عيبٌ تراه لشارب
بأطيبَ ممن يقصرُ الطرف دونه ... تُقَى الله واستحياء بعض العواقب

وهي تريد أنه ليس هناك ما هو أطيب مما يُتقى حياءً وخوفًا من الله.
(٦) المغبة: العاقبة والنهاية والخاتمة.

• حلاوته فانية، ومرارته باقية!!

وكان زبير يستحسن قول ابن مطير الشاعر :

وقد تَغْدِر الدنيا فيَضْحَى غنيُّها ... فقيرًا ويَغْنَى بعد بُؤس فقيرُها
فلا تَقْرَبِ الأمرَ الحرامَ فإن ... حلاوته تَفْنَى ويَبْقى مريرها

قال اليزيدي : دخلت على الرشيد وفي يده ورقةٌ ، تارة ينظر إليها وتارة ينظر إليّ، فسألته عنها فقال: بيتان وجدتهما فأضفت بهما ثالثًا أقرؤهما، وأنشد :

إذا سُدَّ بابٌ عنك من دونِ حاجةٍ ... فدَعْه لأخرى يَنْفَتِحْ لك بابُها
فإن قِرابَ البطن يكفيه مِلْؤُه ... ويكفيك سوءات الأمور اجتنابُها
ولا تكن مِبذالًا لعِرضِك واجتنب ... ركوبَ المعاصي يَجْتَنِبْك عِقابُها

• من الظريف؟

وأنشد ابن الجوزي وصاحب الزهر لإبراهيم بن عرفة المعروف بنفطويه شعرًا :

ليس الظريف بكامل في ظرفه ... حتى يكونَ عن الحرام عفيفا
فإذا تعَفَّفَ عن مَحارم ربه ... فهُنَاك يُدْعى في الأنامِ ظريفا

• كم تستطيع المرأة أن تصبر عن زوجها؟

ابن الجوزي أيضا في كتابه المؤلف في أخبار عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسنده عن السائب ابن جبير عن ابن عباس وعن مجالد يدخل حديث بعضهما في بعض قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف المدينة وكان يفعل ذلك كثيرا فسمع امرأةً تغني وتقول[1] :

تطاول هذا الليلُ واشتدت جوانبُه ... وأرّقني ألّا خليلٌ ألاعِبُه
فوالله لولا الله لا ربَّ غيره ... لزُعزعَ من هذا السريرِ جوانبه
وبست إلهي غير بدع منعما ... هَضيم الحشا لا يحتويه صاحبُه
ولكنني أخشى رقيبا مُوَكَّلا ... بأنفسنا لا يضرّ الدهرَ كاتبُه

ثم تنفست الصَّعْداء وقالت: لهانا عن عمرَ بن الخطاب وحشتي وغيبة زوجي عني، فتأوّه عمر ثم توجه إلى ابنته حفصة فقالت : ما جاء بك يا أمير المؤمنين في هذه الساعة؟! قال لها: أردت أن أسألك: كم تستطيع المرأة أن تَصْبرَ عن زوجها؟ فقالت: «ستة أشهر» فكتب عمر بإقفال زوجها إليها، وكان بعد ذلك لا يغزو جيشًا له أكثر من ستة أشهر.

• أبى فؤادي أن يطاوعني!!

ونحو من هذه الحكاية حكاية أخرى يرويها الشَّعْبي قال: مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلًا في بعض طُرُقِ المدينة فسمع امرأةً تقول :

دعتني العينُ بعد فِراقِ عَمْرٍو ... إلى اللذات تَطّلع اطّلاعا

---

(١) ذكره السيوطي في الوشاح في فوائد النكاح مخطوط.

فقلت : أَبَـى فـؤادي أن يطاوعَني وإن طـالـت إقـامـتُـه أطـاعـا
أحـاذِر إن أطـعـتك حَـرَّ نـار ومـخـزاة تـجـلـلـنـي قـنـاعـا

فضرَب عليها البابَ، واستعادها الأبيات، فأعادتها عليه فقال لها: وما يمنعكِ من مطاوعة عينك؟ قالت: الحياء وإكرام عرضي فقال عمر: من استحى وقّى ومن وقّى اتّقى. فقال: أين زوجك؟ قالت: في بعث كذا، فكتب إلى صاحب جيشه فأقفله عليها .

• تعدو الذئاب على من لا كلاب له!

قال الهيثم بن عدي : قدمت امرأة مكة وكانت من أجمل النساء فنظر إليها عمر بن أبي ربيعة [١] فوقعت في قلبه؛ فكلّمها فلم تُجبه ، فلما كان في الليلة الثانية تعرض لها، فقالت: إليك عني [٢]! فإنك في حرم الله، وفي أيام عظيمة الحرمة؟! فألحَّ عليها فخافت الشّهرة [٣]! فقالت لأخيها في الليلة الثالثة: اخرج معي فَأَرِني المناسك، فتعرض لها عمر فلما رأى أخاها معها أعرض عنها فتمثلت بقول الشاعر:

تعدو الـذئـابُ على مَـن لا كِـلابَ له وتَتّقِي صولةَ المستأسد الضّاري [٤]

وسمع أبو جعفر المنصور هذا الخبر فقال : وددت لو أنه لم يبق فتاة من قريش إلا سمعت بهذا الخبر.

• أبو الأسود وامرأته!

وذكر أبو الفرج في الأغاني هذا الخبر على وجه آخر فذكر أن أبا الأسود الدؤلي حج مع امرأته وكانت جميلة، فبينما هي تطوف عرض لها عمر، فلم تكلمه، فأخبرت أبا الأسود بذلك فلامه فأنكر عمر، ثم طافت ثانية، فعاد عمر إلى معارضتها فأخبرت أبا الأسود فعاتبه، فأنكر ذلك، وكذلك ثالثة ثم خرجت في الليلة الرابعة، وخرج أبو الأسود معها مشتملا على سيفه فلما رآها عمر أعرض عنهما فتمثل أبو الأسود بالبيت المذكور أولا.

• تعليم النساء سورة النور :

حصين بن عبد الرحمن عن أبي عطية قال: أتانا كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن حَلُّوا نساءَكم الفِضّة، ولا تُحَلّوهُنّ الذهب، وعلموهن سورةَ النّور، إنما خَصَّ عمر رضي الله عنه النساء بتعلم هذه السورة ليبعثَهُن على العفة ولزوم الحياء والتَّخَفُّر [٥]، وذلك أنهن إذا تأملن ما فيها من أحكام الزنا وإغلاظ العقوبة لهن، وترك الهَوادة في أمورهن ارتدَعْن عن الفواحش [٦].

وإذا تدبرن ما فيها من بيان أمر الحجاب، وما أخذ عليهن من غض البصر، وحفظ الأطراف، وترك التبهرج بالزينة لَزِمْنَ الحياء والتخَفُّر ويأتي الكلام في هذا الأثر إن شاء الله تعالى.

---

(١) زعيم شعراء الغزل.
(٢) إليك عني... ابتعد.
(٣) الشهرة... أن يشتهر أمرها... أو يُشهّر بها في شعره ولذا فضلت الصمت لكي تفكر في مخرج.
(٤) وفي المثل من لم يتذأب أكلته الذئاب!
(٥) الاستحياء أشد الحياء.
(٦) ارتدع عن الفواحش انكف عنها.

الباب الثالث

في الحض على النكاح . والإنكار على من ترك النساء زهداً وذكر اختلاف الناس في وجوب النكاح واستحبابه

• العجب ممن يدعون النكاح:

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النور : ٣٢] . قال سفيان بن عتبة حدثنا ابن عجلان قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إني لأعجب من يدَعُ النكاح بعد سماعه هذه الآية .

• النكاح سنتي!

أبو بكر بن شبل في «كتاب النساء» له من حديث سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن عبيدة ابن مَعْمَر قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ أحبَّ فِطرتي فليَستَنَّ بسنتي ومن سنتي النكاح»[(١)] .

أبو داود عن أبي نُجَيْح ويقال: ابن أبي نجيح قال: قال رسول الله ﷺ : «من كان موسرا لأن ينكح فلم ينكح فليس مِنّا» . والحديث مرسل من مراسيل أبي داود[(٢)] .

• ما في نكاح النساء من غنى!

وأيضا عن هشام بن عروة قال : قال رسول الله ﷺ : «انكحوا النساء فإنهن يأتينكم بالمال»[(٣)] .

وهو معنى قوله تعالى : ﴿ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النور : ٣٢] .

• الودود الولود:

النسائي عن معاوية بن قرة عن معقل بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ : «تزوجوا الوَدُود الوَلُود فإني مكاثر بكم الأمَم يوم القيامة»[(٤)] .

• من فوائد النكاح!

وفي بعض روايات هذا الحديث : «فإني مُباهٍ بكم» . فيه تنبيه على أن فائدة النكاح كثرة النسل وحفظ الوجود؛ إذ لا يمكن بقاء العالَم إلا بالنكاح، والفقهاء يقولون من فوائده: الاطلاع على بعض اللذات الأخروية .

---

(١) الذي ذكره الغزالي في الإحياء:(النكاح سنتي فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي) رواه أبو يعلي في مسنده مع تقديم وتأخير من حديث بن عباس. وأخرجه ابن ماجة في كتاب النكاح بلفظ (النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني) والدارمي بلفظ (من قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب المراسيل باب ما جاء في النكاح والمرسل ما حذف من السند ذكر الصحابي، وقال التابعي - مباشرة - قال رسول الله ﷺ. وقال النووي: المرسل حديث ضعيف عند جماهير المحدّثين والشافعي وكثير من الفقهاء وأصحاب الأصول. وقال مالك وأبو حنيفة في طائفة: صحيح (تدريب الراوي ج١ ص١٩٨). قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: وللدارمي في مسنده، والبغوي في معجمه، وأبي داود في المراسيل من حديث أبي نجيح، (فمن قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا) وأبو نجيح اختلف في صحبته.

(٣) أخرجه أبو داود في مراسيله باب ما جاء في النكاح، والسيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٥/ ٤٥ وقد عزاه لابن أبي شيبه.

(٤) أخرجه النسائي كتاب النكاح باب كراهية تزويج العقيم.

• لذة النكاح في رأي الغزالي!

قال الغزالي في الإحياء: ولَعَمْري إن ما قالوه الصحيح، وإن في هذه اللذة التي لا توازيها لذة لو دامت تَنْبيهًا على اللذات الموعودة في الجنان، إذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقًا لا ينفع فلو رغب العِنّيين [١] في لذة الجماع، والصبي في لذة المِلْك لم ينفع الترغيب فيه وإحدى فوائد هذه اللذة في الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون ذلك باعثا على عبادة الله عز وجل .

• لله حكمة!

قال : فانظر إلى حكمة الله تعالى ثم رحمته كيف جعل تحت شهوة واحدة حياتين: حياةً ظاهرةً، وحياةً باطنة، فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله، والحياة الباطنة هي الحياة الأخروية فإن هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام [٢] تحرك الرغبة الكاملة بلذة الدوام، فتحث على العبادة الموصلة إليها .

انتهى كلام الغزالي رحمه الله .

• فائدة أخرى!

ويُروى عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول: إني لَأتزوج المرأة وما لي حاجة بها فأطؤها وما لي فيها شهوة، قيل: فما حملك على ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: أحب أن يخرج مني من يكاثر به النبيُّ ﷺ النبيين عليهم الصلاة والسلام يوم القيامة .

• هل لك في جارية شابة، تذكرك بما مضى؟!

مسلم عن علقمة بن قيس قال : كنت أمشي مع عبد الله يعني ابن مسعود بمِنًى فلقيه عثمان، فقام معه يحدثه، فقال له عثمان: يا أبا عبد الرحمن، ألا أزَوِّجُك جارية شابة لعلها تُذَكرك بعض ما مضى من زمانك! وفي رواية: لعلها تُرْجع إليك ما كنت تَعْهَد فقال عبد الله: لئن قلت ذلك، لقد قال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشرَ الشباب، من استطاع منكم الباءةَ فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء» [٣] .

• أضواء كاشفة!

الباءة تطلق ويراد بها النكاح الذي هو العقد وتطلق ويراد بها الوطء.

قال المازري في «المعلم» : والمراد بها في الحديث العَقْد، لأنه قال: ومن لم يستطع فعليه بالصوم، ولا يبعد عندي أن تكون «الباءة» في الحديث بمعنى الوطء وتكون الاستطاعة كناية عن وجود الأسباب أي: من قدر على أن يتوصل إلى الوطء بوجود أسبابه وهي: المال مثلا فليتزوج، ومن لم يقدر عليه أي تعذرت أسبابه فليصم.

وقوله: فعليه بالصوم قال المازري: فيه إغراء بالغائب ومن أصول النُّحَاة لا يُغْرَى بغائب [٤] .

وقال عياض: هذا الذي قاله المازري موجود لبعضهم بنصه وفيه غلط من وجهين :

---

(١) المصروف عن النساء والمحبوس عنهن لعيب عضوي أو نفسي.

(٢) الانصرام: المضيّ والانتهاء والانقضاء، ونقول: في العام المنصرم.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب النكاح باب استحباب النكاح، والبخاري كما في فتح الباري حديث رقم ٥٠٦٥، وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: (من استطاع منكم الباءة فليتزوج... إلخ) متفق عليه من حديث ابن مسعود.

(٤) حيث قال: (فعليه) والضمير = الهاء = للغائب.

أحدهما: قوله: «لا يُغْرَى بغائب» وهو لفظ جاء على غير تأمّل، وإنما الصواب: فيه إغراء الغائب ولا يغرى غائب[1].

والوجه الثاني: عد قوله «فعَلَيْه» من إغراء الغائب قال: والصواب أنه ليس فيه إغراء غائب جملة وأن الكلام كله والخطاب للحاضرين الذين خاطبهم النبي ﷺ من الشباب فقال: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم».

قال: فالهاء هنا ليست لغائب وإنما هي لمن خصه من الحاضرين بعدم الاستطاعة، إذ لا يصح خطابه بكاف المخاطبة، لأنه لم يتعين منهم مع أنه حاضر.

قال: وهو كثير في القرآن والحديث والكلام. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ ﴾[2] [البقرة:١٧٨]. فهذه الهاء لمن قام منهما وهما حاضران. هذا معنى كلام عياض- رحمه الله.

فأما الوجه الأول من الوجهين اللذين ذكرا فكلامه فيه تبين صحيح.

وأما الوجه الثاني فهو إلى الغلط أقرب من المازري وذلك أنه فهم من الحضور المشترط في الإغراء الشهود وعدم الغيبة فأخذ يذكر ما ذكر من الأبيات والمثل، ولم يعلم أن المراد بالحضور فيه أن يتصل بالعامل ضمير من ضمائر الخطاب وأن لا يكون الضمير المتصل به من ضمائر الغيبة وإن كان صاحبه حاضرًا فإن كلام النحو وصناعته إنما هي في الألفاظ وشهود صاحب الضمير حين التكلم أو غيبته لاعتبار به عند النحوي فتأمل هذا الموضع، فإنه من أغلاط القاضي- رحمه الله تعالى.

وقد طال الكلام على هذه اللفظة. ومن تأمل كلامه وجد فيه أغلاطا أُخَر!! يخرج تتبعها عَمّا نحن بسببه.

• ما رأي الفقهاء في النكاح؟ أواجب هو أم مستحب؟:

البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رَهْط[3] إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبِرُوا كأنهم تَقَالّوها[4]، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟! قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا[5]، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال لهم: «أنتم الذين قُلتم كذا وكذا.. أمَا والله إني لأخشاكُم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأرقد وأتزوج النساء فمن رَغِبَ[6] عن سنتي فليس مني».

---

(١) في النحو بابان: أحدهما الإغراء والثاني التحذير - يغري إنسان آخر بشيء محمود ليفعله، ويحذره من مكروه ليجتنبه، ونحن نغري ونحذر من يكون حاضرًا معنا حتى يكون ذلك أدعى إلى الاستجابة الفورية ويسمى ما يحذّر منه: محذّر منه، وما يغري به: مُغرًى به. ومن صور الإغراء السماعية عليك بكذا... أي الزمه.

(٢) القصاص معاقبة الجاني بمثل ما جنى وهي بكسر القاف. النفس بالنفس والعين بالعين.

(٣) الرَهط: هم عشيرة الرجل وأهله وهم من الرجال ما دون العشرة وقيل: إلى الأربعين ولا تكون فيهم امرأة؛ ولا واحد له من لفظه ويجمع على أرهط وأرهاط وأراهط جمع الجمع.

(٤) كأنهم تقالُّوها: (أي استقلوها واعتبروها من وجهة نظرهم قليلة) وهو: تفاعُل من القِلّة.

(٥) الأبد: الدهر. ولأبد الآباد: أي لآخر الدهر. ومثله: أبد الآبدين. قاله في الصحاح.

(٦) رغب عن الشيء: تركه وانصرف عنه: أما رغب فيه فعكسها. والحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح.

وقال مسلم في الحديث : قال بعضهم : لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش [1]، قال عياض: قد يحْتَجّ بقوله : «ومن رغب عن سنتي فليس مني» من يقول بوجوب النكاح. قال: ولا حُجّةَ في الحديث لأنه قال في أوله: عن بعضهم أنه قال: لا أنام على فراش، وعن بعضهم أنه قال: لا آكل اللحم ثم قرن ﷺ ذكر النكاح بالأكل والنوم وعلى جميعه رد قوله: «فمن رغب عن سنتي فليس مني» لا على النكاح وحده. ولا قائل يوجب النوم على الفراش ووجوب أكل اللحم. انتهى كلام عياض- رحمه الله .

• بيان اختلاف الفقهاء؟

وهذه مسألة قد وقع الخلاف فيها بين الفقهاء أعني وجوب النكاح واستحبابه، قال المازري في «المعلم»: المشهور من قول فقهاء الأنصار أن النكاح مستحب على الجملة .

• وجوبه في رأي داود!

وذهب داود إلى وجوبه : وسبب الخلاف تعارض الظواهر فلداود قوله تعالى : ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء : ٣] . والأمر للوجوب. وفقهاء الأمصار عليه، إن الله خَيَّر هذه الأمة بين النكاح وملْك اليمين. والتسرر [2] غير واجب باتفاق، فلو كان النكاح واجبا ما صحّ التخيير بينه وبين مِلْك اليمين إذ لا يصح على مذهب أهل الأصول التخيير بين واجب وما ليس بواجب؛ لأن ذلك مؤدٍّ إلى إبطال حقيقة الواجب وأن يكون تاركه غير مذنب .

• مذهب مالك أن النكاح مندوب إليه:

قال : والذي يطلق في هذا من مذهب مالك أن النكاح مندوب إليه وقد يختلف حكمه بسبب اختلاف الأحوال: فيجب تارة في حق من لا يكف عن الزنا إلّا به.

ويكون مندوبا إليه في حق من يكون مشتهيا له ولا يَخشى على نفسه الوقوع في المحرّم ولا ينقطع به عن أفعال الخير . ويكون مكروها لمن لا يشتهيه وينقطع به عن العبادات والقربات .

قال: وقد يختلف فيمن لا يشتهيه ولا ينقطع به فعل الخير فيقال : يندب إليه للظواهر الواردة في الشرع بالحَضّ على النكاح ويقال في حقه : مباح .

قال عياض- رحمه الله: أما في حق من يُرجى منه النسل ، ولا يخشى العَنَتَ [3] على نفسه، وإن لم تكن له إليه حاجة لشهوة فهو في حقه مندوب لقوله ﷺ : «فإني مُكاثِرٌ بكم الأمم» [4]. ولظاهر الحض على النكاح والترغيب فيه وكذلك كل من كان له رغبة في نوع من الاستمتاع بالنساء وإن كان ممنوعًا من الوطء لكن النكاح يغض بصره، وأما في حق من لا ينسل ولا أرَبَ [5] له في النساء جملةً ولا مذهب له في الاستمتاع بشيء منهن فهذا الذي قد يقال في حقه إنه مباح إذا علمت المرأة بحاله، وقد يقال : إنه مندوب لعموم الأمر بالتزويج .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب النكاح باب استحباب النكاح.

(٢) التسرر: اتخاذ سرية (أمة مملوكة).

(٣) العنت المشقة إذا هو لم يجامع ولم يتزوج.

(٤) ذكره الغزالي في الإحياء بلفظ (تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة...) وعلق عليه العراقي بقوله: رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث ابن عمر. دون قوله: (حتى بالسقط) وإسناده ضعيف، وذكره بهذه الزيادة البيهقي في المعرفة عن الشافعي.

(٥) رغبة وقصد وحاجة والجمع مآرب.

• إخوان الشياطين!

مكحول عن عطية بن بشر عن عطاف بن وداعة أن رسول الله ﷺ قال له : «يا عطاف، ألك امرأة؟ قال : لا، قال: فأنت إذن من إخوان الشياطين، إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وإنْ كُنتَ منَّا فإن من سنتنا النكاح»[١].

• لو أجاز لنا التبتل لاختصينا:

مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : أراد عثمان بن مظعون التبتل[٢] فنهاه رسول الله ﷺ ولو أجاز له لاختصينا[٣].

• قالت عائشة لا تفعل!

وفي حديث آخر أخرجه النسائي عن سعد بن هشام: أنه دخل على عائشة رضي الله عنها فقال لها: إني أريد أن أسألك عن «التبتل» فما ترين فيه؟ قالت: لا تفعل. أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾[٤] فلا تَبَتُّل مع هذا .

• التبتل والاختصاء:

التبتل : معناه الانقطاع عن النساء وترك النكاح، ومنه امرأة بتول إذا كانت لا شهوةَ لها في الرجال، وأصل التبتل القطع . قال بعض العلماء: أما التبتل وهو ترك النساء فقد يجوز للإنسان إذا علم أنه الأصلح له في دينه.

وأما الاختصاء: فلا يجوز لأحد أصلا، لما في ذلك من إفساد خاصّية الذكورية وتغيير خلق الله تعالى، وإذهاب حكمته في ذلك العضو، وتركيب الشهوة فيه لعمارة وذَرْء النسل .

• من أفضل هذه الأمة؟!

البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال : «أفضل هذه الأمة[٥] أكثرها نساء» . قال عياض- رحمه الله- في الشفاء : يشير بذلك إلى النبي ﷺ فإن كان ما قاله عياض صحيحًا فيريد ابن عباس رضي الله عنهما كثرة من اجتمع عنده ﷺ منهن في وقت واحد فإن نساءه ﷺ كُنَّ تسعًا. أو كثرة من أبيح له منهن فإنه قد كان أبيح له أن يتزوج من النساء ما شاء لابد من أحد هذين الاعتبارين، ولابد على هذا أن يجعل النبي ﷺ داخلا في لفظة «الأمة» فيكون الأمة عنه وعن أتباعه وفاء بشرط أفعل في ألا يضاف إلا لمن هي بعضه، وقد استوفينا الكلام في هذا كله في كتابنا في شرح الشفاء .

• حب النساء هل هو من حب الدنيا المذموم؟

محمد بن كثير قال : كان الأوزاعي يقول: ليس حبُّ النساء مِنْ حب الدنيا، يريد الأوزاعي والله

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ١٦٣ بلفظ (ياعكاف) وعبد الرزاق في مصنفه ٦/ ١٧١، والعقيلي في الضعفاء ٣/ ٣٥٦، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٢٥٠، وقال: أخرجه أحمد وفيه راو لم يسم، وبقية رجاله ثقات، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٦٠٩.

(٢) التبتل: البعد والانقطاع عن النساء والانشغال بالعبادة.

(٣) اختصينا: تخلصنا من خِصينا، وقضينا على الشهوة فينا وهو (الوجاء) والخصي شق الأنثيين وانتزاع البيضتين، وأخرجه مسلم في كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن وجد مؤنته، والنسائي في كتاب النكاح باب النهي عن التبتل انظر سنن النسائي ٦/ ٥٩.

(٤) الحديث أخرجه النسائي في كتاب النكاح باب النهي عن التبتل انظر سنن النسائي ٦/ ٦٠.

(٥) كناية عن النبي ﷺ رواه البخاري انظر فتح الباري حديث رقم ٥٠٦٩ في كتاب النكاح.

أعلم «مِنْ حُبّ الدنيا المذموم» وإلا فقد قال رسول الله ﷺ : «حُبِّبَ إليّ من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وجعلت قُرّةُ عيني في الصلاة»[1] فذكر منها «النساء».

ويُقَال : إن الشَّيء قد يكون من الدنيا، ويكون حُبُّه من الآخرة لإعانته عليها .

• رأي عمر رضي الله عنه:

ويروى عن عمر -رضي الله عنه- أنه قال : ليس في النساء شَرَف ولا في تركهن عبادة ولا زُهد .

• الزواج كما يراه عليّ كرم الله وجهه!

الزبير بسنده إلى سفيان قال : كان عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه أربعُ زوجات، وتسعُ عَشْرةَ وليدة. وكان يقول: إني لمشتاق إلى العُرْس .

• خير متاع الدنيا!

مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «الدُّنيا مَتاع، وخيرُ متاع الدّنيا المرأةُ الصالحةُ»[2] . ومن مراسيل ابن رباح عن النبي ﷺ قال : «خير فائدة يفيدُها المرءُ المسلم بعد الأخ الصالح المرأةُ الصالحة التي إذا نظر إليها سَرّته وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها ومالها» ورواه منصور عن مجاهد مُرْسلا أيضا[3] .

قال عبد الحق في الأحكام : لا يصح فيما أعلم قوله: «بعد الأخ الصالح».

الباب الرابع

في تخيُّر الرجل لنطفته ، وبيان الخصال التي تُتزوَّج بها المرأة، وما ينبغي للرجل أن يقصده من ذلك؟ ومن يتجنّب من النساء ؟

• تخير الرجل لنطفته:

قال الدارقُطْنى من حديث الحارث بن عمرانَ الجَعْفِيّ عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «تَخَيَّروا لنطفكم؛ وانكحوا الأكْفاءَ وأنكحوا إليهم»[4] . يرويه الحارث عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها والحارث ضعيف.

---

(١) أخرجه النسائي في سننه كتاب عشرة النساء باب حب النساء، وأحمد في مسنده ٣/ ١٢٨، والحاكم من الحديث أنس بدون لفظ (ثلاث) وصححه، ووافقه الذهبي، قال السيوطي: وفي بعض طرقه عند البيهقي في سننه بلفظ (إنما حبب).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الرضاع باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، وذكره المنذري وقال: رواه مسلم وابن ماجة ولفظه قال: (إنما الدنيا متاع، وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة).

(٣) المرسل هو الذي حذف من السند ذكر الصحابي فإذا قال التابعي - مباشرة- قال رسول الله ﷺ كان الحديث مرسلًا. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك. وقد أخرج أبو داود عن ابن عباس لما نزلت عليه آية التوبة ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾ [التوبة:٣٤] كبر ذلك على المسلمين، فقال عمر: أنا أفرج عنكم... الحديث وفيه ثم قال له: يعني رسول الله ﷺ : (ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة، إذا نظر إليها زوجها سرته، وإن أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته) [حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة] وقد ذكر المنذري حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه كان يقول: (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرًا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرّته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله) رواه ابن ماجة عن ابن يزيد عن القاسم عنه.

(٤) أخرجه الدارقطني في سننه كتاب النكاح باب المهر حديث ١٩٨، وابن ماجة في سننه كتاب النكاح باب الأكفاء حديث ١٩٦٨، والحاكم في المستدرك ٢/ ١٦٣ وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: الحارث متهم وعكرمة ضعفوه، وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر ٣/ ٣٧٧.

قال أبو حاتم: هذا حديث لا أصل له. انتهى كلام أبي حاتم.

وقد رواه عن هشام أيضا أبو أمية الثقفي وعكرمة بن إبراهيم وأيوب بن واقد ومندل بن علي وكلهم ضُعفاء. ورواه أبو المقداد عن هشام عن أبيه مرسلا .

• كيف يتم الاختيار؟

مُسْلِم : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «تُنْكَحُ المرأةُ لأربع: لمالها، ولحَسَبِها، ولجمالها، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»[1] .

• البعض يفضلونها محققة لغرضهم:

يقول النبي ﷺ : إن أَغْراض الناس تختلف فمنهم من يقصد المال، ومنهم من يَقْصدُ الجمالَ، ومنهم من يقصد الدين فحضّ رسول الله ﷺ على قصد الدين، وهو معنى الحديث الآخر الذي رواه عبدالله بن عمرو ابن العاص عن النبي ﷺ قال : «فلعلّ جمالها أن يُرْدِيَها، ولا تنكحوا المرأة لمالها فلعل مالها يُطْغِيها وعَلَيْكم بذات الدين»[2] .

• هل الجمال غير مطلوب مع الدين؟:

قال الغزالي - رحمه الله - في الإحياء: وليس أمره ﷺ بمراعاة الدين نهيًا عن مراعاة الجمال، ولا أمرًا بالإضراب عنه، وإنما هو نَهْيٌ عن مراعاته مجردًا عن الدين؛ فإن الجمال في غالب الأمر يُرَغّبُ الجاهل في النكاح، دون الالتفات إلى الدين، ولا نظر إليه فوقع النّهي عن هذا، وأمر ألا يُغْفِل النظر فيه.

• ما يدل على مراعاة الجمال!:

وأمرُ النبي ﷺ من يريد التزويجَ بالنظر إلى المخطوبة يدل على مراعاة الجمال؛ إذ النظر لا يفيد مراعاةَ الدين وإنما يعرف به الجمال والقُبْح.

• الدليل على أن للرجل الانتفاع بمال الزوجة:

قال عياض - رحمه الله - في الإكمال: وفي قوله : «تُنْكَح المرأة لمالها» دليل على أن للرجل الانتفاعَ بمال الزوجة وإلا كانت كالفقيرة ولم يكن لهذا الكلام فائدة . وإن كان انتفاعه عن طيب نفس منها فذلك ما لا إشكال في جوازه، وإن امتنعت فله بقدر ما بذله من الصداق .

• اختلافهم في إجبار الزوجة على التجهيز بصداقها!

قال : وعلى هذا اختلفوا في إجبارها على التجهيز بصداقها : فألزمها مالك ذلك، ولم يُجزْ لها منه قضاءَ دينٍ ولا نفقة في غير الجهاز إلا الشيء اليسير من الكثير .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب الأكفاء في الدين انظر فتح الباري حديث رقم ٥٠٩٠، ومسلم في الرضاع باب استحباب نكاح ذات الدين، وقال المنذري: رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة. تَرِبَتْ يداك: كلمة معناها الحث والتحريض. وقيل: هي هنا دعاء عليه بالفقر، وقيل بكثرة المال، واللفظ مشترك بينهما قابل لكل منهما، والآخر هنا أظهر، ومعناه: اظفر بذات الدين ولا تلتفت إلى المال أكثر الله مالك. ورُوي الأول عن الزهري، وأن النبي ﷺ إنما قال له ذلك لأنه رأى الفقر خيرًا له من الغنى. والله أعلم بمراد نبيه. اهـ الترغيب والترهيب. والحسب شرف الآباء أو حسن الفعال. فاظفر: أي فاطلب. تربت بكسر الراء من تَرِبَ إذا افتقر فلصق بالتراب. وقوله لأربع: أي أن الناس يراعون هذه الخصال ولم يرد الأمر بمراعاتها.

(٢) ولفظ الحديث كما ذكره المنذري: (لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يُرْديهِنّ ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرساء سوداء ذات دين أفضل) رواه ابن ماجة من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم.

وقال غيره : لا تُجْبر على شيء من ذلك، وهو مالُها تفعل فيه ما شاءت.

قال المازري: وفي ظاهره حُجّةٌ لقولنا، إن المرأة إذا رفع الرّجلُ في صَداقها لِيَسارها ولأنها تحمل إلى بيته من الجهاز ما جَرت به عادة أمثالها فجاء الأمر بخلافها أنّ للرجل- صوابه: للزوج- مقالا في ذلك. وأنه يُحَطّ عنه من الصداق الزيادة التي زادها لأجل الجهاز على الأصح عندنا إذا كان القصد من الجهاز في حكم ما أتيح لقصد استباحة البُضْع. وقوله لحسَبها: قال الهَرَويّ : احتاج أهل العلم لمعرفة الحسب لأنه مما يعتبر في مهر مثل المرأة. قال شمر : الحَسَب هو الفَعال الحسَان للرجل؛ ولآبائه مأخوذ من الحساب كأنهم يحسبون مناقبهم ويَعُدّونها عند المفاخرة، فالحَسْب بالسكون العدّ والحَسَب بالتحريك الشيء المعدود على القياس في مثل هذا .

• أي النساء خير؟

روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل لرسول الله ﷺ: أي النساء خير؟ قال: «التي تسره إذا نظر، وتُطيعه إذا أمر ولا تُخالفه في نفسِها ومالها بما يكرهه»[(١)] .

• وأي النساء شر؟

القضاعي في الشهاب قال رسول الله ﷺ : «إياكم وخضراءَ الدِّمَن»[(٢)] . خضراء الدمن هي المرأة الحسناء التي لا أصل لها، تشبيها بما ينبت في الدّمنة وهي السُّباطَة فهو يكون غَضًّا ناضرًا ثم لا ينبت ولا ينتفع به وإذا أكلته الماشية في حال خُضرته أصابها منه وجع في بطنها .

• من يتجنب من النساء؟

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : «إياكم وخَضراءَ الدِّمَن؛ فإنها تلد مِثلَ أصلها، وعليكم بذوات الأعراق[(٣)] فإنها تلد مثل أبيها وعمها وأخيها» .

• كيف يقع الخيار؟

قال الجاحظ في البيان : لما قدم ابن الزبير بفتح إفريقية أمره عثمان- رضي الله عنه- فقام خطيبا. فلما فرغ ابن الزبير من كلامه ، قال عثمان رضي الله عنه : أيها الناس انكحوا النساء على آبائهن وإخوتهن؛ فإني لم أرَ في ولد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- أشبه منه بهذا. أم عبد الله بن الزبير هي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وقال الأصمعي : حدثني ابن العلاء قال: قال رجل: لا أتزوج امرأة حتى أنظر ولدي منها.. قيل: وكيف ذلك؟ قال: أنظر إلى أبيها وأخيها فإنها تجيء بأحدهما.

قال قاسم بن ثابت : قال أكثم بن صيفي : يا بني تميم، لا يغلبنكم جمالُ النساء على صراحة الحَسَب؛ فإن المناكح الكريمة مَدْرَجة للشرف[(٤)] .

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب النكاح باب أي النساء خير، انظر سنن النسائي ٦/ ٦٨، وأحمد في مسنده ٢/ ٢٥١.

(٢) رواه الدارقطني في الإفراد والرامهرمزي في الأمثال من حديث أبي سعيد الخدري قال الدارقطني: تفرد به الواقدي وهو ضعيف. وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة وقال في المختصر: ضعيف. قال السخاوي في المقاصد: تفرد به الواقدي، حديث رقم ٢٧١، والسُّباطة: الكناسة تطرح في فناء البيت، والموضع الذي تطرح فيه الأوساخ.

(٣) الأعراق: جمع عرق وهو الأصول أي بنات الأصول.

(٤) مَدرَجَةٌ للشرف: أي فيها ينشأ. كما يدرج الطفل ويتحرك.

• أول خبث المرء:

وقال بكير الأسدي :

وأول خُبْثِ المرء خُبْثُ ترابه ... وأوّل لُؤمِ المرءِ لُؤمُ المناكح!

أبو علي في الأمالي قال : قال مَرْوَانُ بن زِنْبَاع العَبْسِيّ وهو مروان القرْظ: يا بني عبس، احفظوا عني ثلاثا : اعلموا أنه لم يَنْقُلْ أحدٌ إليكم حديثًا إلا نَقَل عنكم مثلَه، وإياكم والتّزَوُّجَ في بيوتاتِ السَّوْء؛ فإن له يُومًا ناجثًا، واستكثروا من الصّديق ما قَدَرتُم، واستقِلّوا من العدوّ ما استطعتم؛ فإن استكثارَه ممكن، قال أبو علي : الناجث الحافز. والنجيثة: ما يخرج من تراب البئر .

وقال ابن الدُّمَيْنة في معنى ما تقدم :

إذا كنت تبغي أَيِّمًا بجهالةٍ ... من الناس فانظر مَنْ أبوها [1] وخالُها

فإنهما منها كما هي منهما ... كقَدّك نَعْلًا إن أريد مِثَالُها

ولا تطلب البيت الدّنِيّ فِعالُه ... ولا يَدْعُ ذَا عَقْل لوَرْهَاءَ مالُها

فإن الذي ترجو من المال عندها ... سيأتي عليه شؤمها وخَبَالها

الأيّم : المرأة التي لا زوج لها صغيرة كانت أم كبيرة، بِكْرًا كانت أو ثَيِّبًا .

وأنشد أبو علي في الأمالي :

وتعرف في مجد امرئٍ مجدَ خالِه ... ويَنْذلُ أن تلقى أخًا أمه نذلا

وأنشد أيضًا :

عليك بالخال إن الخال يسري ... إلى ابن الأخت بالشبه المبين

وشملهما قول الآخر :

وأدركته خالاته واختزلنه ... إلا أن عرق السوءِ لابد مدرك

وقال آخر أنشده أبو العباس في الكامل :

وأشَرّ ما اشتهى عصام ... لا خلق منه ولا قوام

تمت وعرق الخال لا ينام

• العرق دساس!

وفي حديث طويل ذكره أبو الفرج في الأغاني : أن عروة بن الورد خرج متصعلكا فدنا من منازل هُزَيْل ليلا وأوقد نارا ثم دفنها على قدر ثلاثة أذرع وصعد صرحَه، ووصل الحي بعد وهن، قال:

---

(١) كذا في الأصل: ورواية البيتين في المحاسن والأضداد للجاحظ:

إذا كنت مرتادًا لنفسك أيما ... لنجلك فانظر من أبوها وخالها

فإنهما منها كما هي منهما ... كما النعل إن قيست بنعل مثالها

في الأصل سومها وخيالها وليس لهما معنى مناسب، ومعنى قوله ورهاء يقال: امرأة ورهاء اليدين: خرقاء.

فوقف رجل منهم على فرس له على موضع النار وقال: أقسم بالله لقد رأيت على البعد نارًا أُوقِدَت ههنا، فنزل الرجل واحتفر قدر ذراع فلم يجد شيئًا، فأقبل الحيّ على الرّجل يؤنبونه ويقولونَ له: كذبت عينك ثم انصرفوا، قال عروة: فتعَقّبتُ الرجلَ، فدخل إلى بيت من بيوت الحي فدخلت وراءه، واختبأت في كِسْر البيت، وخرج الرجل لبعض مآربه فخالفه إلى امرأته رجل وأنا أنظر: فقدّمت له لَبنًا فشرب منه، ثم شربت بعده، وانصرف ووصل الرجل فعرضت له بقية اللبن، فلما ذهب ليكرع فيه قال: أقسم بالله، لقد شممت في هذا اللبن ريحَ رجل! فقالت: أيُّ رجل يدخل بيتك؟ وجعلت تؤنبه وتعذله ! إلى أن قرّ وسكن، وآوى إلى فراشه. قال عُروة: فقمت إلى فرس له لآخذه فضرب برجله ونفخ؛ فثار الرجل وقال: ما كنت لتكذبيني فما لك، فأقبلت عليه امرأته لومًا وعذلا فعاد الرجل، قال عروة: فزجرت الفرس وسرت به ركضا فلحقني الرجل على فرس له أنثى، وسمعته يقول أثناء ركضه: الحقي؛ فإنك من نسله، فلما انقطع عن البيوت، قلت: أيها الرجل إنك لو عرفتني لم تُقْدِمْ عليّ! أنا عروة بن الورد وقد رأيت منك عَجَبًا، فأخبرني عنه، وأنا أرد عليك فرسك قال: وما ذاك، قلت: جئت مع قومك حتى ركّزْت رمحَك في موضع نار أوقدتُها، فثنوك عن ذلك فانثنيت، ثم شممت رائحةَ رجل في إنائك فصدّقت، وقد رأيت الرجل وبّينه وبين زوجتك ما لا تحب فثنتك عن ذلك فانثنيت، ثم خرجت إلى فرسك فتحرك فقمت ثم ثنتك زوجتك فانثنيت فرأيتك في هذه الخصال أكمل الناس ولكنك تنثني وترجع؛ فضحك وقال: أما ما رأيت من صرامتي فمن قِبَل أعمامي وهم من هذيل، وأما ما رأيت من كعاعتي [1] فمن قبل أخوالي، وهم بطن من خَزاعة والعرق دساس ولولا ذلك لم يقو على مُنَاوَأتي أحد من العرب قال عروة: فقلت له: خذ فرسك راشدًا؛ فقال: ما كنت لآخذه منك فإن عندي من نسله جماعة خيرا منه فخذه مباركا لك فيه !!

قال الشاعر مخالفا لجميع ما تقدم :

لا تَشْتَمَنّ امَـرأً مـن أن تكون له ... أم مـن الـروم أو سـوداء عجماء

فـإنـمـا أمـهـات الـنـاس أوعـيـة ... مـسـتـودعـات ولـلإنـجـاب آبـاء

ماذا فعل ابن عباس حين سمع الكلام الآتي؟

قال الجاحظ في البيان : قال عثمان بن أبي العاص لبنيه : يا بني، المناكح مُغْترس [2] فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه، والعِرق السوء قلّما ينجب وإني قد أنجبتكم في أمهاتكم.

قال الراوي : فسمع ابن عباس هذا الكلام فأمر بكَتْبِه [3].

• إياك أن تتزوج إلى قوم أهل دناءة !

قال الزبير في الموفقيات بسنده عن قدامة بن إبراهيم الجهمي قال : حضَرَت رجلا من ربيعة الوفاةُ فقال لابنه: يا بُنَيّ إذا أحزنك أمر فاحكك ركبتيك بركبة من هو أسن منك [4]، ثم استشرْه، قال: فمات أبي فأردت الزواج فجئت شيخًا من قومه فجلست في ناديه، فلما قام الناس من عنده قال : ألك حاجة يابن أخي؟ قلت: نعم يا عم، إني أريد أن أتزوجَ. قال: أطويلة النسب أم قصيرته؟ فالله ما اخترت ولا أبديت. فقال: إني أعرف في العين إذا عَرَفَتْ، وأعرف في العين إذا أنكرت وأعرف في العين إذا لم

(١) كعاعتي: جبني.
(٢) موضع الغرس. مثل الأرض، وهي عند النحويين اسم مكان من اغترس.
(٣) كتبه مثل كتابته.
(٤) اجلس بين يديه طالبًا المشورة والخبرة.

تَعْرِفْ ولم تُنكر فأما إذا عَرَفتْ فإنها تَتَحاوَصُ [١] للمعرفة، وأما إذا أنكرت فإنها تَجْحَظُ للفكرة، وأما إذا لم تعرف ولم تنكر فإنها تسجو سجوًا [٢]. يابن أخي، إياك أن تتزوج إلى قوم أهل دناءة أصابوا من الدنيا ميسرةً فتشركهم في دناءتهم ويستأثروا عليك بدناءتهم، فقمت وقد اكتفيت به! [٣].

• لم نفسك يا أمير المؤمنين!

ابن الكردبوس في تاريخه قال: جمع أبو جعفر المنصور يوما أولاده، فذمهم، ووبخهم لتبذّلهم وانهماكهم [٤]. فقال له أحدهم: لم نفسَك يا أمير المؤمنين في هذا؛ إذْ لم تتخير أمهاتنا كما تخيرَ أبوك لك سيدة من عقائل العرب، فعمدت إلى قيان [٥] العراق وفواسقه، فجعلت أجسامهن أوعية لنُطَفك، قال: فاستحسن المنصور كلامه وأعجبه، كذا ذكر ابن الكردبوس في هذا الحديث وليست أم المنصور من العرب، وإنما هي من مولدات [٦] البصرة.

• لا ذنب لك أيها الرجل. الذنب لمن وضعني في أمة سوداء!

أبو سعيد في كتابه «كنوز المطالب» قال: كان «علي بن موسى الرضى» أسود اللون فسبق يوما غلمانه إلى الحمام واضطجع للراحة فحركه أحد العامة وقال: قم أيها العبد وناولني كذا!! فقام وناوله ما طلب، وعلى إثر ذلك دخل من غلمانه من ارتج الحَمّام له، فدُهِشَ الرجل، فقال له علي: لا ذنب لك أيها الرجل الذنب لمن وضعني في أمةٍ سوداء!

• لا ذنب لمن قال لي: يا أسود!

وذكر أبو سعيد في الكتاب المذكور: أن عليا قال في هذه القصة:

ليس لي ذنب ولا ذنب لمن ... قال لي يا عبدُ أو يا أَسودُ
إنما الذنب لمن ألبسني ... ظُلْمةً وهو مِنّي لا يُحمد

• ذات الحسب والمنصب:

أبو داود عن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذاتَ حسب وجَمال، وإنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال: لا. ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فنهاه وقال: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة» [٧].

قال النسائي في هذا الحديث، ذات حسب ومنصب.

• الولود خير من غيرها!

وفي حديث ذكره أبو الفرج في «كتاب النساء» قال: قال رسول الله ﷺ: «سوداء ولود خير من

---

(١) تتحاوص: تنظر بمؤخر عينها. وتجحظ: تبرز وتتسع وتظهر. (٢) عين ساجية: هادئة ساكنة لا تعبر عن شيء.

(٣) وقد حكى صاحب العقد الفريد القصة وقال في آخرها. فالقصيرة النسب التي إذا ذكرت إياها اكتفت به، والطويلة النسب التي لا تُعرف حتى تُطيل في نشبتها!

(٤) التبذل: الخروج على المألوف وعن حد الوقار وانهماكهم في الملذات.

(٥) عقائل جمع عقيلة- كرائم الأحرار أما القيان فهن الجواري المغنيات.

(٦) المولّدات: جمع مولّدة. وهي الجارية التي اتخذت لتكون أم ولد فسيدها قد استولدها.

(٧) رواه النسائي في سننه في كتاب النكاح باب كراهية تزوج العقيم وأبو داود في كتاب النكاح، ذكره الشوكاني وقال: رواه أبو داود والنسائي. ثم قال: والولود: كثيرة الولد والودود الموددة لما هي عليه من حسن الخلق والتودد إلى الزوج.

حسناء عقيم» [1]. وسيأتي الكلام على هذا الحديث بعد هذا. وكيع في مصنفه عن معرب بن واصل ابن محارب بن دثار قال: قال رسول الله ﷺ: «انكحوا، وإياكم والعجز والعقر» [2]. حديث مرسل، ويقال: معروف بن واصل.

• لا تتزوج خمسًا

ومن حديث أبي حنيفة عن حماد بن سليمان عن إبراهيم النَّخَعي عن عبد الله بن بحينة قال: جاء زيد بن حارثة إلى النبي ﷺ فقال له: «أتزوجت يا زيد؟ قال: لا. قال: تزوج تستعف، ولا تتزوج خمسا: لا تتزوجنَّ شَهْبَرَةً ولا لَهْبَرَةً ولا نَهْبَرة ولا هَيدَرة ولا لفوتًا. قال زيد: والله يا رسول الله ما عرفت مما قلت شيئًا، قال: أما الشهبرة: فالزَّرقاء البَذيّة، وأما اللهبرة: فالطويلة الهزيلة وأما النّهبرة: فالعجوز المدْبرَة، وأما الهَيْدَرة: فالقصيرة القبيحة، وأما اللفوت: فذات الولد من غيرك» وكان أبو حنيفة يضحكَ إذا حدَّثَ بهذا الحديث [3].

• إياك وهؤلاء !!

قال بعض العرب لولده: إياك والرَّقُوب القَصُوب القَطُوب.

فالرقوب: التي ترقب موت زوجها لِتَرِثَه! والقَطُوب، والقَصُوب معلوم [4].

• لا تتزوج واحدة من ثلاث:

قال بعض الحكماء لابنه: يا بني لا تتزوج أنانة ولا حنّانة ولا مَنّانة.

فالأنانة: التي مات زوجها. وتزوجت بعده، فهي إذا رأت الثاني أنَّت لمفارقة الأول، وجزعت!!

والحَنّانَة: التي لها ولد من زوج سابق فهي تحن عليه.

والمنّانة: التي لها مال واسع فهي تمن على زوجها.

• ضفة لا تُنسى!

وعلى ذكر الأنّانة كانت عند لقيط بن زرارة «القدور بنت قيس بن مسعود بن خالد بن ذي الجدين» وكانت تُحبه ويُحبها فمات عنها، فخلف [5] عليها «عمرو بن الجون الكندي» وكان يسمعها تذكر لقيطًا، وتظهر الجزع عليه وتصف محاسنَه، فقال لها يوما: ويْلَكِ! والله ما كان لقيط إلا كبعض عبيدي! فصفي لي بعض ما أعجبك من محاسنه. قالت: بلى.

تَطَيَّبَ يوما وقد ظعن [6] الحي في يوم ذي زَهْرٍ وظِلّ، وكنت نائمة فكره أن يُوقِظَني، فقعد

---

(١) ذكره العجلوني: بلفظ (خير من حسناء لا تلد) وقال: ذكره الغزالي في الإحياء، وقال العراقي: أخرجه ابن حبان في الضعفاء ولا يصح،وذكره ابن الأثير في النهاية بهذا اللفظ، ورفعه الأزهري، وأخرجه غيره من عمر موقوفًا).

(٢) ذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث وقال: العُجُز: جمع عَجُوزة وهي المرأة المسنة، والعُقُر: جمع عاقر وهي التي لا تلد، انظر النهاية في غريب الحديث ٣/ ١٨٦.

(٣) نقله ابن الأثير عن ابن سلام في غريب الحديث وقال: الشَّهبَرة والشَّهربَة: الكبيرة الفانية. واللّهبرة: هي الطويلة الهزيلة والنهبرة: الطويلة المهزولة، وقيل: هي التي أشرفت على الهلاك من النهابر: المهالك. وأصلها جبال من رمل صعب المرتقى. هيدرة: أي عجوزًا أدبرت شهوتها وحرارتها، وقيل: هي بالذال المعجمة من الهذر وهو الكلام الكثير والياء زائدة. وأما اللفوتُ: فهي التي لها ولد من زوج آخر فهي لا تزال تلتفت إليه وتشتغل به عن الزوج. اهـ غريب الحديث لابن الأثير.

(٤) القَطُوب: العابسة. والقصوب: العيّابة. وقد تكون الغضوب.

(٥) تزوجها بعده.

(٦) أي رحلوا.

ينتظر انتباهي ومعه فَضلةٌ من شراب يشرب منها حتى استيقظت، فحملني وركب فرسه فعرضت لنا عانة[1] فحمل عليها، فصرع منها حمارا ثم رجع إليّ، يفوح منه ريح المسك، وريح الظل وريح الطّلّ والزهر، فتدليت إليه فضَمّني ضمةً وشَمَّني شَمّةً فليتني متُّ ثَمّةَ!! فتطيب عمرو[2] وتناول من الشراب وخرج يصيد ثم عاد إليها فضمها وقال: أين أنا من لَقيط؟ فقالت: «مرعى ولا كالسعدان، وماء ولا كصَدّاء»[3] فطلقها ورجعت إلى قومها وقالت: ابنوا عليّ قبة الأيْمة[4] فوالله لا جمعني الله مع رجل بعد لقيط أبدا.

• مغايظة الأزواج تكاد تميتهم غمًّا!

وكانت عائشة بنت طلحة رضي الله عنها مغايظة لأزواجها وكانت كثيرا ما تصف ابن الزبير لعمرو بن عبيد الله بن معمر وكانت عند مصعب قبله وتذكر جماله وكرمه وحسن خلقه فيكاد يموت غَمًّا.

قال المدائنيّ: دخل عمرو بن عبيد الله يوما على عائشة بنت طلحة وقَدْ ناله حَرٌّ شديد، وغبار فقال لها: انفُضي الغبارَ عنّي، فأخذت منديلا وجعلت تنفض التراب به عنه، ثم قالت: ما رأيت الغبارَ على وجه أحدٍ قطّ أحسنَ منه على وجه مُصْعَب. لَعَهْدي به وقد دخل عليّ وكان قد فتح فتحا عظيما وهو في الحديد[5] وكان بيني وبينه وحشة فخَرجت فهنأته والغبار على وجهه فقال: إني أشفق عليك من رائحة الحديد وأقبلت تصفه وعُمَرُ يَتّقِدُ غَيْظًا، ويكاد يموت غَيْرةً وحَسْرة.

• الحجّاج والأتانة!

أبو الفرج في كتاب الأغاني قال: تزوج الحجاج هندًا بنت أسماء بن خارجة وكانت قبله عند عبد الله بن زياد، وحملها معه إلى البصرة، وبنى هنالك القصر المنسوب إليه فلما كمل بناؤه، قال لها: هل رأيت قط مثله؟ قالت: إنه لحسن. قال لها: لِتَصْدِقَنّي. قالت: أمَا إذا أبيت، فوالله ما رأيت مثل القصر الأحمر، وفيه عبد الله بن زياد!!

والقصر الأحمر بناه عبد الله بن زياد بطين أحمر فغضب الحجاج غضبًا شديدا، وطلقها بسبب ذلك، ثم بعث إلى القصر الأحمر فهدمه وبناه بنيانًا آخر، ثم هدم بعد ذلك، وأدخل في جامع البصرة. فهذا ما حضرنا ذكره على ذكر الأتانة.

• الدقة المتوارثة!

صاعد في الفصوص: قال بعضهم: سألت ناسًا من أهل اليمن إلى من أنكح؟! فقال: لا تنكح الدقة المتوارثة وأنكح إلى من شئت. قلت: وما الدقة[6] المتوارثة؟ قال: أخلاق سيئة يرثها آخِرٌ عن أول.

---

(١) جماعة من حُمُر الوحش.

(٢) الذي خلف زوجها الأول، ليفعل مثل ما كان يفعل ويعوضها عن فقده وينسيها ذكرياته، ويُريها من نفسه ما يجعلها تذكره وتنسى حبها الأول للقيط!

(٣) وجاء في مجمع الأمثال للميداني أن أول من قال ذلك: الخنساء بنت عمرو بن الشريد وأن السعدان أجود أنواع العشب حيث يطيب المرعى. ثم قال: وقال أبو عبيد: حكى المفضل أن المثل لامرأة من طيء كان تزوجها امرؤ القيس ابن حجر الكندي.. وقال لها: أين أنا من زوجك الأول؟ وصَدّاء: ماء يضرب به المثل في الصفاء والنقاء والحلاوة!

(٤) الأيم: من مات زوجها وكانت تضرب عليها قبة (خيمة) لا ترى الرجال ولا يرونها.

(٥) ملابس الميدان.

(٦) قال في القاموس المحيط: الدّقة (بالكسر) الخساسة.

• القرابة القريبة :

الغزالي في الإحياء قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يُخْلق ضاويا»[1].

• نكاح الغرائب!

قال عمر : يا بني السائب «إذا أضويتم فانكحوا في الغرائب» وهم الذين لا قرابة بينك وبينهم.

وكانت العرب تزعم أن صُوّابَة[2] ولد الرجل من قرابته يجيء ضاويا أي نحيفًا مهزولا، وقد أضوى الرجل : إذا ولد له ولد ذكر كذلك[3]. وفي بعض الآثار «اغتربوا ولا تضووا».

وقال الشاعر :

فتى لم تلده بنت عَمٍّ قريبة ... فيضوى وقد يضوى وليد الغرائب

وقال آخر :

إن بلالًا لم يُشبه أمّه ... لم يتناسب خاله وعمه

وقال الشاعر :

تنجبتها للنسل وهي غريبة ... فجاءت به كالبدر حُسْنًا معمما

فلو شاتم الفتيان في الحي ظالما ... لما وجدوا غير التكذب مشتما

وقال آخر :

تخيرتها للنسل وهي غريبة ... فقد أنجبت والمنجبات الغرائب

وقال الأصمعي في قول كعب بن زهير :

حرف أخوها أبوها من مَهْجَنة ... وعمها خالها قوداء شمليل

قال : هذه ناقة كريمة مُدَاخَلَة النسب لشرفها. فأنكر ذلك أبو المكارم على الأصمعي وقال: ألم يعلم قائل هذا أن تداخل النسب ومقاربته مما يضعف الناقة.

وذكر البكري في اللآلئ عند قول الأعرابي «وما قربني إلا الكريم» يعني أن أباه طلب المناكح الكريمة في أهله فجاء ولده بذلك ضاويا انتهى كلام البكري .

• إذا عرف السبب بطل العجب!

قال غيره : وسبب هذا أن ابنة العم ونحوها من ذوي القرابة القريبة لا تقع في نفس الزوج موقع الغريبة، إما لأُلْفته لها، ودوام النظر إليها إن كانت كذلك. وإما لأنه يقع بينه وبينها من الحشمة والخجل مما يَكْسَل به وتَضْعُف شَهوته والولد لا يكمل خلقه وتتم قوته إلا بكمال الشهوة وقوتها ولهذا قالوا: «من اسْتَحَى من امرأته لم ينجب».

---

(١) قال العراقي: قال ابن الصلاح: لم أجد له معتمدًا: قلت: إنما يعرف من قول عمر أنه قال لآل السائب: (قد أضويتم فانكحوا في النواب) رواه إبراهيم الحربي في غريب الحديث وقال: معناه: تزوجوا الغرائب، قال: ويقال: اغربوا ولا تضووا، وذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ١٠٦ باب الضاد مع الواو، وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة وقال في المختصر: ليس بمرفوع.

(٢) صُوّابة القوم: لُبّابُهم. (٣) أي ولد ضعيف.

• بئس ما صنعت!

أبو الفرج قال : جاء منظر بن زمان الفزاري إلى حسن بن حسن وهو جده أبو أمه فقال له: لعلك أحدثت بعدي أهلا فقال: نعم تزوجت بنت عمي الحسين فقال له: بئس ما صنعت! أما علمت أن الأرحام إن التقت أضْوَتْ؟! كان ينبغي أن تتزوج في البُعَداء، قال: قد نكحت وقد رزقني الله منها ولدا! وذكر بقية الحديث .

• هل ينزل الإنسان درجة عند اختيار الزوجة؟

الأعمش عن إبراهيم قال : كان علقمة إذا خطب في نكاح قَصَّر دون أهله، قال ابن نمير: معناه يخطب إلى من هو دونه ويُمْسكُ عَمَّن هو فوقه [1].

• ثلاث... وثلاث!

قال بعض الحكماء : ينبغي أن يكون الرجل فوق المرأة بثلاث : بالسن والمال والحسب وإلا احتقرته، وأن تكون المرأة فوقه بثلاث: بالصبر، والجمال، والأدب وإلا احتقرها، وبالله سبحانه وتعالى التوفيق .

الباب الخامس

فيما يباح للرجل من النظر إلى المرأة إذا أراد نكاحها

• العين..

مُسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «كنت عند النبي ﷺ فأتاه رجل من الأنصار ، فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: أنظرت إليها؟ قال: لا، قال: فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئًا»[2] قيل: كان في أعين كثير من الأنصار حَوَلٌ، وقيل: كان في أعينهم صِغَر .

• النظر إلى المخطوبة من دعائم التوفيق:

النسائي عن المغيرة بن شعبة قال : خطبتُ امرأةً على عهد رسول الله ﷺ فقال لي النبي ﷺ : «أنظرت إليها؟» قلت: لا ، قال: «فانظر إليها فإنه أجدر أن يؤدم بينكما»[3] .

يقال: أدم الله بينهما بالقصر أَدْما بفتح الهمزة وسكون الدال، وآدم بالمدّ: أي وفق وأصلح .

• إباحة النظر إلى ما يدعوه لنكاحها!

أبو داود عن واقد بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل» [4] قال جابر: فخطبت امرأة من بني سلمة فكنت أتخبأ لها تحت الكرب حتى رأيت منها بعض ما دعاني إلى نكاحها فتزوجتها.

---

(١) وقد قال بعضهم: ارتفع درجة عند اختيار الصديق، وانزل درجة عند اختيار الزوجة.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب النكاح باب ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد الزواج وابن حبان في صحيحه باب ذكر الإباحة لمن أراد خطبة امرأة.

(٣) اخرجه النسائي في سننه كتاب النكاح باب إباحة النظر قبل التزويج انظر السنن ٦/ ٦٩-٧٠. وابن حبان في صحيحه باب ذكر الأمر للمرء إذا أراد خطبة امرأة.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح حديث رقم ٢٠٨٢.

• رأي المحدّثين في هذا الحديث:

واقد بن عبد الرحمن راوي هذا الحديث مجهول، وليس بواقد بن عمرو فإن واقد هذا ثقة معلوم الحال. وقال البزار بعد ذكره لهذا الحديث : لا نعلمه يروي إلا من هذا الوجه ولا أسند واقد- يعني ابن عبد الرحمن- عن جابر إلا هذا الحديث ، والكرب أصول سعف النخل واحدتها كربة، وهي التي تشبه الكتف .

• لا بأس بالنظر إليها!

حجاج بن أرطأة عن محمد بن سليمان عن أبي خيثمة عن أبيه قال: كنت جالسا مع محمد بن سلمة في داره فرأى امرأة من الأنصار يقال لها بثينة فطاردها ببصره، فقلت له: يَرْحَمُك الله! أتنظر هذا النظر وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟! فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا ألقى الله في قلب رجل خِطْبَتَه لامرأة فلا بأسَ أن ينظر إليها» [1].

• أصح الأحاديث في هذا الباب:

حجاج بن أرطأة ضعيف، ومحمد بن سليمان لا يُعْرَفُ حالُه والصحيح في هذا الباب حديث مسلم المبتدأ به وحديث النسائي الذي يليه .

• غرور الخلق، وغرور الخُلق وبم نُزيلهما؟

وقال الغزالي رحمه الله في الإحياء: كان من تقدم من الورعين لا ينكحون بناتهم إلا بعد النظر احترازا من الغرور، قال : والغرور يقع في الخَلْق والخُلق جميعا فيستحب إزالة الغرور في الخَلْق بالنظر وفي الخُلق بالبحث والاستيصاف .

• آداب تُراعى!

قال : وينبغي أن يكون ذلك مقدما على النكاح ، ولا يستوصف إلا بصيرا، حاذقا خبيرا بالظاهر والباطن من أحوالها، ذا دين لا يميل إليها فيفرط في الثناء ولا يحسدها فيقصر، فالطباع مائلة إلى مبادئ النكاح ووصف المنكوحات إلا الإفراط والتفريط، وقل من يصدق فيه، ويقتصر، والخِداع أغلب والاحتياط في ذلك من المهمات .

• رأي ابن القطان وغيره في النظر وأحكامه:

قال ابن القطان في فصل من كتابه المسمى «بالنظر في أحكام النظر»: «نظر الذي يريد أن يتزوج مندوب إليه» . وقال بعضهم : هو مباح ، وهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى، وكرهه بعضهم.

وقال أبو الوليد بن رشد : إن من أهل العلم من لم يجزه .

وحكى ذلك أبو حامد الإسفراييني عن بعضهم وذكر احتجاجه بالآية الآمرة بالغَضّ، وقال: ومذهب مالك- رحمه الله- من هذه الأقوال هو الإباحة إذا كان بإذنها ينظر إلى وجهها كما يجوز ذلك في الشهادات لها وعليها. ومذهب أبي بكر بن أبي الطيب وأبي حامد الإسفراييني جواز النظر

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٤٩٣، وابن ماجة في سننه في كتاب النكاح باب النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها، وقال في الزوائد: في سنده حجاج بن أرطأة الكوفي ضعيف مدلس ورواه بالعنعنة، وقد رواه ابن حبان في صحيحه باب ذكر الإباحة لخاطب المرأة أن ينظر إليها قبل العقد بإسناد آخر.

إلى وجهها وتكرار ذلك والتأمل. إلا أن أبا حامد شرط أن تكون قد أجابته إلى التزوج. واختار ابن القطان الندب وقوفا مع ظاهر الأمر ووجود الإجماع على أن ذلك ليس على الوجوب. قال: ولا يحتاج في نظره إليها بعد عزمه على نكاحها وخِطْبته لها إلى استئذانها وكره أن يستغفلها من كُوّةٍ[1] ونحوها.

قال ابن القطان: ولعل معناه في ذلك سد الذريعة، فإنه من أصوله كأنه خاف أن يتسلق به أهل الفساد إلى الاطلاع على مواضع الفتن، فإذا عُثِر على أحدهم قال: أنا خاطب، وإلا فالحديث يُبيح النظر مطلقا دون تفصيل. قال: وهذا مذهب الشافعي -رحمه الله- وابن وهب من أصحاب مالك فإنهما لا يشترطان إذنها، وقيل لأصبغ: إن ابن وهب روى عن مالك «إجازته» يعني: النظر إليها بغير إذنها قال: «لم يكن ابن وهب يرويه» وإنما كان يقول برأيه.

قال ابن القطان: وقد ورد في غير هذه المسألة حديث رواه قيس بن الربيع عن عبد الله بن عيسى عن موسى بن عبد الله عن أبي حميد قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حرج على الرجل أن ينظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجَها من حيث لا تَعْلَم»[2].

إلا أن قيس بن الربيع راويه أحد مَنْ سَاء حفظُه بعد ولايته القضاء. والأكثرون على تضعيفه.

قال: واقتصر مالك على جواز النظر إلى الوجه والكفين خاصة، وزاد أبو حنيفة- رحمه الله- ظهور القدمين على أصله في أنها ليس عليها سترهما في الصلاة: وأباح غيرهما النظر إلى جميع بدنها ما عدا السَّوءتين؛ وهذا الذي يدل عليه إطلاق لفظ الأحاديث ويكون تقييده بالتنزيل على مستقر العادة فيما هو ظاهر منها إلا أن يستر بقصد، أما ما هو مستور إلا أن يظهر بقصد فلا.

قال: وقد روى سفيان بن عُيَيْنة عن عمرو بن دينار عن محمد بن علي أن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- خطب إلى علي ابنته أم كلثوم فذكر له صِغَرَها فقيل له: إنه رَدّك فعاوده فقال له علي: أبعث بها إليك فإذا رضيتك فهي امرأتك، فأرسل بها إليه فكشف عن ساقيها فقالت: مَهْ لولا أنك أمير المؤمنين للطمت عينك. وكانت أم كلثوم هذه ولدت قبل وفاة النبي ﷺ، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ. وهذه القصة رواها قاسم بن أصبغ عن الخشني عن أبي عمر عن سفيان كما ذكرنا، ورواها عبدالرزاق في كتابه عن سفيان نحوه، ويزيد فيها أهل الأخبار: أنه بعثها إليه بثوب وقال لها: قولي له هذا الذي أخبرتك عنه، فقال لها عمر: قولي له: رضيناه، فلما أدبرت كشف عن ساقيها فقالت له ما تقدم، ولما رجعت إلى أبيها قالت: بعثتني إلى شَيْخ سُوءٍ فَعَل كذا وكذا فقال: هو زَوْجك يا بُنَيّة!

قال: فأما السوءتان فلا نظر في أنه لا يباح له النظر إليهما إلا ما يحكي عن داود من إباحة النظر إلى سائر الجسد، وهو جسد المخطوبة حتى إلى الفرج، قال: وهذه الرواية لم أرها عنه في كتب أصحابه، وإنما حكاها عنه أبو حامد الإسفراييني والأدلة المانعة من النظر إلى العورة تمنع من ذلك.

قال: ولا بأس أن يبعث امرأة تنظر له وتؤدّي إليه ما رأته، فقد روى ابن أبي شيبة عن ثابت أن رسول الله ﷺ أرسل أم سليم تنظر إلى امرأة فقال: «شمي عوارضها وانظري إلى عُرْقُوبيها»[3].

---

(١) الكوة: النافذة والفتحة المطلة.

(٢) رواه ابن حبان والطبراني عن أبي حميد الساعدي بنحوه كذلك قال صاحب الكنز الثمين حديث رقم ٢٠٧.

(٣) رواه أحمد والبزار، انظر مجمع الزوائد ٤/ ٢٧٦، وقال الهيثمي: رجال أحمد ثقات، وأبو داود في المراسيل باب النظر عند التزوج.

وروى وكيع عن سفيان أن رسول الله ﷺ خطب امرأة فبعث بمن تنظر إليها فجاءت فقالت: يارسول الله ما رأيت طائلا. فقال رسول الله ﷺ: «لقد رأيت بجسدها خالا اقشعر له كل شعرة منك»، فقالت: يا رسول الله ما دونك سر [1].

• ما يجوز للمرأة المخطوبة:

قال : ويجوز للمرأة المخطوبة مع ذلك أن تتجمل لمن أراد رؤيتها من الرجال وتشرف بزينتها، بل لو قيل إنها مندوبة لذلك ما كان بعيدا؛ فإن النكاح مأمورٌ به للنساء كما هو للرجال، إما وجوبا وإما ندبا وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب أو مندوب. وقول ابن القطان هنا «ما لا يتم الواجب... إلخ». إن عني به أن تجملها للخطاب شرط في وقوع النكاح لا يمكن أن يوجد إلا به فليس كذلك. وإن عني به أنه سبب من الأسباب التي يوجد النكاح عنها غالبا فالأمر كذلك، ولا يتم له الاستدلال بهذا القدر.

قال : ويتناقض أن يبيح للرجل النظر إليها بقصد واستعمال ثم تكون هي منهية عن البُدُوّ له.

ولو قيل : إنها يجوز لها التعرض بإبداء زينتها بعد إذ أسلمت نيتَها في قصد النكاح لم يبعد؛ فإن العادة جارية بتخلف النكاح وتعذره وتأخر الخطاب عمن لا يُعْرَفُ حالُها.

ولقد نهى عمر -رضي الله عنه- الوَليّ عن الإخبار بالمنفّر فقال : مالك وللأخبار.

ولما تَفَلَتْ سُبَيعةُ الأَسْلَميَّة من نفاسها بعد وفاة زوجها تجملت للخُطاب فدخل عليها أبو السنابل ابن بعكك فقال: ما لي أراك متجملة لعلك ترجين النكاح! والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعَشْرٌ، وقالت سُبَيْعة: فلما سمعت ذلك، جمعت عليَّ ثيابي حين أمسيت، فأتيت رسول الله ﷺ وسألته عن ذلك فأفتاني أني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج [2]، ذكره مسلم رحمه الله . وفي رواية: تشوفت للأزواج فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : «ما يمنعها وقد انقضى حَمْلُها»؟!

وفي قوله : تشوفت للأزواج وعلمه عليه السلام بذلك، وتركه إياها لم ينهها دليل على جواز ما فعلت، وكان الذي فعلت تَحَلّيها بالزينة .

ويقال : دينار مشوف أي مَجْلُوّ، ولم يُرد بقوله : تجملت للخُطّاب الذين خطبوها بعد وإنما معناه الذين هم بِصَدَدِ أن يخطبوها، وهذا ذكره ابن القطان هنا بناء على أنه فهم من قوله: تَجَمَّلت للخطاب، أنها تزينت لأن يراها الخطاب بأنفسهم وليس الحديث نصا في ذلك إذ يحتمل أن يكون تزينت لأن يرسل الخطاب إليها من يراها من النساء على ما جرت به العادة في ذلك .

وقد روى وكيع عن العَلاء بن عبد الكريم عن عمار بن عمران عن امرأة من تيم عن عائشة «أنها شوفت جارية لها، وقالت: لعلنا نتصيد بها بعض شباب قريش» إلا أنه أثر ضعيف للجهل بمن فوق وكيع في هذا السند .

• تزين الخاطب للمخطوبة:

قال ابن القطان : وأما الرجل ففي جواز ذلك له من التزين والتعرض بالمحاسن التي لا يجوز له إبداؤها لغير المخطوبة من السواك والخضاب وتحسين اللبسة والمشية نظر. قال ابن القطان :

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه من طريق عائشة ١/ ٣٠١ وابن سعد في الطبقات ٨/ ١١٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الطلاق باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل.

والظاهر جواز ذلك إن لم يتحقق في المنع منه إجماعا. أما إذا لم يكن خطب، ولكنه يتعرض بنفسه ذلك التعرض للنساء فلا يجوز ذلك له لأنه تعرض للفتن وتعريض لها والله أعلم وبه التوفيق .

الباب السادس

في ذكر الصَّدُقات، وما ورد في كثرتها، وقلتها، وكراهة المغالاة فيها !!

قال الله تعالى : ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ (١) نِحْلَةً (٢) فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ [النساء : ٤] .

قال بعض العلماء : المخاطب بهذه الآية : الأزواج . أي أدوا الصَّدُقات عن طيب نفس منكم كما تطيبون نفسًا بسائر الطيبات . وقال بعضهم : بل الخطاب بذلك للأولياء دون الأزواج، وكان الأولياء في الجاهلية لا يُعطون النساء من مهورهن شيئًا، وكانوا يقولون لمن وُلدت له بنت : «هنيئًا لك النافجة» بالجيم يعنون أنه يأخذ مهرها إبلًا فيضمها إلى إبله فتنفجها: أي تكثرها .

• هل تنفذ هبة المرأة صداقها لزوجها؟

وقوله تعالى : ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا ﴾ إلى آخر الآية .

قال ابن العربي في «أحكام القرآن» : لم تختلف العلماء أن المالكة لأمر نفسها إذا وهبت صَدَاقها لزوجها أن ذلك ينفذ عنها، ولا رجوعَ لها فيه. إلا ما روى عن شُرَيْح أنه رأى أن لها الرجوع في ذلك، وزعم أنه أخذ ذلك من الآية؛ فإنها لو طابت به نفسًا لم تطالبه به .

قال : وهذا ليس كذلك فإنها قد كانت طابت به نفسًا حتى مَلَّكته إياه ورجوعها بعد ذلك فيه لا ينفي طيبَ نفسها أوَّلًا به .

• وهل للزوج أن يأخذ من المهر شيئًا؟

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ٢٠] .

يريد والله أعلم إذا لم يكن ذلك بمرادِهِنّ واختيارهن، وأما إذا طاب نفسًا فيجوز لهم أخذه كما تقدم في الآية السابقة .

الزبير في الموفقيات عن عمر عن عبد الله بن مصعب قال : قال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- يوما على المنبر : «ألا لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية ولو كانت بنت ذي الغصّة، يعني: يزيد بن الحصين الحارثي (٣) . فمن زاد ألْقيَت الزيادة في بيت المال، فقامت امرأة من صف النساء طويلة فقالت: ليس ذلك لك، قال: ولِم؟، قالت: إن الله عز وجل يقول : ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ فقال عمر : امرأة أصابت ورجل أخطأ .

---

(١) الصدقات: جمع صَدقة: وهي التي تُعطاها المرأة عند الزواج صداقًا. وقد يقال: إنه سمي بذلك لدلالته على صِدقِ الرغبة. معجم ألفاظ القرآن الكريم.

(٢) النِّحلة: العطية عن طيب نفس.

(٣) في القاموس المحيط: الحصين بن يزيد هو ذو الغصة. والحديث ذكره ابن كثير في تفسيره لسورة النساء ١/ ٤٧٨.

رأي حجة الإسلام الإمام الغزالي في مقدار الصداق وهل هناك حد لأكثره وأقله؟

قال الغزالي- رحمه الله- وهذا لم يقله عمر على وجه التحريم ولكن على وجه النّدب والتعليم.

قال : وقد تناهى الناس في الصَّدُقات؛ حتى بلغ صداق امرأة ألف ألف، وهذا قَلَّ أن يوجد من حلال.

قال : وقد سئل عطاء عن رجل غالَى في صَداق امرأة؟ أَيَرُدُّ السُّلطان [1]؟ قال: لا.

قال : وقد ورد أن عمر تزوج أمَّ كُلثوم بنت علي- رضي الله عنه- وأمها فاطمة- عليها السلام- بنت رسول الله ﷺ وأصْدَقها [2] أربعين ألف درهم.

قال : وتزوج عروة البارقي بنت هانئ بن قبيصة على أربعين ألف درهم.

وعن غيلان بن جرير أن مطرفًا تزوج امرأة على عشرة آلاف أوقية .

قال : وقال إبراهيم : السُّنّة في الصداق الرطل من الوَرِق [3]. وكانوا يكرهون أن تكون مهور الحرائر مثل أجور البغايا .

قال عياض- رحمه الله -في الإكمال: لا خلاف بين العلماء أنه لا حَدّ لأكثر الصَّدُقات.

وأما أَقَلُّه فقال مالك: لا يجوز النكاح بأقلّ من ربع دينار لقوله تعالى: ﴿أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ [4] [النساء : ٢٤] .

ولقوله تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [النساء : ٢٥] .

فدل على أن المراد ما له بالٌ [5] من المال .

وأقله ما استبيح به العضو في السرقة وذلك ربع دينار، وهذا مما تفرّد به مالك وكافة العلماء من الحجازيين والبصريين والكوفيين والشاميين وغيرهم على جوازه بما تراضى عليه الزوجان أو من له العقد مما فيه منفعة كالسوط والنعل ونحوه، وإن كانت قيمته أقل من درهم. وهو قول الشافعي وربيعة وأبي الزناد وابن أبي ذئب، ويحيى بن سعيد، والليث بن سعد، وسفيان الثوري، والأوزاعي، وابن أبي ليلى، وداود وفقهاء الحديث- رضي الله عنهم- أجمعين مع استحباب بعضهم أن يكون ماله بال.

وقال أبو حنيفة وأصحابه: أقله «عشرة دراهم» .

قال ابن شُبْرُمة: أقله «خمسة دراهم» اعتبارا بما يستباح به العضو في السرقة على مذهبهما، وكره النّخعيّ أن يتزوج بأقل من أربعين درهما .

وقال ابن العربي في أحكام القرآن : «وقد روي أن رجلا تزوج امرأةً على عهد النبي ﷺ على نعلين، فقال لها: أرضيتِ بما لَكِ بفتح اللام «بهاتين النعلين» [6] فقالت: نعم، فأجازه النبي ﷺ» .

وقال عياض رحمه الله : واستحب مالك رضي الله عنه تقديم ربع دينار فأكثر قبل الابتناء [7] .

---

(١) أي هل من حق السلطان أن يرد الزيادة؟

(٢) أعطاها صداقًا (مهرًا).

(٣) الوَرِق: الفضة.

(٤) محصنين: أي متزوجين.

(٥) البالّ: الشأن. والطوْل - بالفتح - الفضل والقدرة والغنى والسَّعة والعلوّ كما جاء في معجم ألفاظ القرآن.

(٦) جاء في حسن الأسوة. وعن عبد الله بن عامر عن أبيه أن امراة من بني فزارة تزوجت على نعلين، فقال رسول الله ﷺ: أرضيت من نفسك ومالك بنعلين؟) قالت: نعم. فأجازه النبي ﷺ. أخرجه الترمذي وصححه. انظر الحديث في كتاب النكاح باب ما جاء في مهور النساء وأحمد في مسنده ٣/ ٤٤٥.

(٧) الابتناء: الدخول.

قال : ومطالبة النبي ﷺ للرجل الذي أراد أن يتزوج المرأة بأن يحضر ولو خاتَما من حَديد [١] دليل على أنه لابد من تقديم ما يصلح أن يكون مهرًا إذ لو ساغ الدخول قبل التقديم لسأله: هل يرجو أن يكتسب في المستقبل شيئًا ولم يطالبه بإحضاره الآن.

• البركة في عدم المغالاة:

مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة»[٢]. أبو داود عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «خير النكاح أيسره» [٣]. النسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة»[٤].

• التّياسر في الصداق:

الخطابي في غريب الحديث قال : قال أبو حسن : قال رسول اللهﷺ: «تياسروا في الصّداق فإن الرجل لَيُعْطِي المرأة حتى يبقى ذلك في نفسه حَسيكَة» [٥] . تياسروا: أي ارضوا بما تيسر، والحسيكة: العداوة . ونحو هذا أيضا عن ابن عمر رضي الله عنه قال : «ألاَ لا تَغَالَوْا بصداق النساء فإن الرجلَ لَيُغالى بصداق المرأة حتى يكونَ ذلك لها في قلبه عَدَاوَة» .

أبو العجفاء السّلمي قال : خطبنا عمر بن الخطاب فقال : «ألا لا تَغْلُوا في مهور النساء فإنه لو كان مكرمةً في الدنيا أو تقوى في الآخرة كان أولاكم بها النبي ﷺ، ما أصدقَ رسول الله ﷺ امرأة من نسائه ولا أُصْدِقت امرأة من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية» [٦] . وفي رواية أخرى: «أكثر من أربعمائة وثمانين درهماً»، ولم يذكر عمر ههنا النش .

وقد ثبت في الصحيح عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : سألت عائشة رضي الله عنها زوجة النبيﷺ كم كان صداق النبي ﷺ لأزواجه؟ قالت: كان صداقه ﷺ لأزواجه ثنتي عشْرة أوقيةً ونشا، قالت: أتدري ما النَّشّ؟ قلت: لا. قالت: نصف أوقية، فذلك خمسمائة درهم فهذا صداق النبي ﷺ لأزواجه . أخرجه مسلم [٧].

قال الخطابي : (النَّشُّ) : اسم لما ذكرته عائشة رضي الله عنها غير مشتق من شيء.

وقال كراع: النش نصف الشيء، ولا يعترض على هذا الحديث والأثر الذي قبله بالحديث الذي يرويه يونس عن الزهري أن النّجاشي زوَّج أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان من رسول الله ﷺ وأمْهَرها عنه

---

(١) متفق عليه عن سهل بن سعد كما ذكره الشوكاني.

(٢) رواه أحمد ٦/ ٨٢ من طريق عائشة ٦/ ١٤٥، وذكره الشوكاني في النهي عن المغالاة في مهور النساء عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: (إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة).

(٣) رواه أبو داود في سننه كتاب النكاح باب فيمن تزوج ولم يُسَمِّ صداقًا حتى مات، وقال أبو داود: وهذا من زيادة عمر بن الخطاب وقال: يخاف أن يكون هذا الحديث ملزمًا لان الأمر على غير ذلك، وجاء في المقاصد الحسنة (خيركن أيسركن صداقًا) حسن لغيره.

(٤) حديث عائشة الذي رواه أحمد، (إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة)، انظر الحديث في مسند أحمد ٦/ ٨٢، ١٤٥، وأخرجه أيضًا الطبراني في الأوسط بلفظ (أخف النساء صداقًا أعظمهن بركة) ثم قال الشوكاني: وفي إسناده الحارث بن شبل وهو ضعيف، وأخرج نحو أبو داود والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله: (خير الصداق أيسره).

(٥) ذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٣٨٦ باب الحاء مع السين.

(٦) رواه النسائي في القسط في الأصدقة انظر السنن ٦/ ١١٧، وقال الشوكاني: رواه الخمسة وصححه الترمذي... ثم قال: وحديث أبي العجفاء صححه أيضًا ابن حبان والحاكم، وأبو العجفاء اسمه هرمز بن نسيب قال يحيى بن معين: بصري ثقة. وقال البخاري: في حديثه نظر. وقال أبو أحمد الكرابيسي: حديثه ليس بالقائم. [اهـ الشوكاني في نيل الأوطار].

(٧) أخرجه مسلم في كتاب النكاح باب الصداق، وقال الشوكاني: رواه الجماعة إلا البخاري والترمذي.

أربعة آلاف درهم وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فقبله، فإن هذا شيء فعله النّجاشي، وتطوع به من ماله، ولم يبتدئه النبي ﷺ ولا أداه من ماله .

البخاري : عن أنس «أن عبد الرحمن بن عوف تزوج امرأةً على وزن نَواةٍ فرأى النبي ﷺ بشاشة العُرس فسأله، فقال: إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب»[1] .

قال المبرد في الكامل: أصحاب الحديث يقولون: على وزن نواة من ذهب قيمتُها خَمسةُ دراهم، وهذا خطأ وغَلَط، وإنما النواة اسم لخمسة دراهم كما يقال: العشرون درهمًا: نَشّ. والأربعون درهمًا أوقية، فإنما هذه أسماء لهذه المعاني.

قال الوقشي في طرره على الكامل : إنما روى أصحاب الحديث مما تقدمَ يعني مما ذُكرناه في حديث البخاري أنه يتزوج على وزن نواة من ذهب لم يخرج النواة في الحديث عن معناها عند العرب. وهذا الذي قاله الوقشي يحتاج إلى بيان ومعناه : أن المجرور الذي في قوله من ذهب صفة للوزن الذي بمعنى الموزون لا للنواة. أي على شيء من ذهب وزنه نواة أي خمسة دراهم.

مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني تزوجت امرأة من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: «هل نظرت إليها» ، قال: قد نظرت، قال: «على كم تزوجتها؟». قال: على أربع أواق، فقال النبي ﷺ : «على أربعِ أواقٍ كأنما تنحتون الفضة من عُرض هذا الجبل، ما عندنا ما نُعطيك ولكنّ عسى أن نبعثك في بعث تصيبُ منه» قال: فبعث بعثًا إلى بني عَبْس بعث ذلك الرجل فيهم»[2] . محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : أصدَقَ عليٌّ فاطمةَ عليها السلام بنتَ محمد ﷺ دِرْعًا من حديد هذه الدرع هي درعُه المعروفة بالحَطْمِيَّة .

قال ابن العربي في أحكام القرآن : وقد روى شريك عن سعيد بن طريف عن الأصبغ ابن بنانة عن علي قال: زوجني رسول الله ﷺ فاطمة على أربعمائة وثمانين درهما[3] .

قال: وهذا ضعيف بل زوجه إياها على درعه الحَطْمِيّة، والحَطْمِيّة: بفتح الحاء وسكون الطاء المهملتين منسوبة إلى حَطْمة بطن من عبد قيس مخصوصين بعمل الدروع.

وقال محمد بن حبيب النسّابة : حَطْمة بطن من محارب، وقد يقال في النسبة إليهم حُطَمِي : بضم الحاء وبفتح الطاء وهو من شواذ النسب .

● لابد في عشرة نسوة من امرأة توافقك!

أبو الفرج في كتاب النساء قال : قال رجل لحيوة بن شريح : إني أريد أن أتزوج قال: فما المهر؟ قال: مائة دينار، قال: لا تفعل، تزوج بعشرة دنانير فإذا وافقتك ربحت تسعين، وإن لم توافقك تزوجت بعشرة أخرى ولابد في عشر نسوة من امرأة توافقك .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [النساء:٤] انظر فتح الباري حديث رقم ٥١٤٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب النكاح باب ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد الزواج.

(٣) وقد روى الشوكاني في باب تقدمة شيء من المهر قبل الدخول حديثًا عن ابن عباس في هذا الشأن قال: لما تزوج علي فاطمة قال له رسول الله ﷺ: (أعطها شيئًا. قال: ما عندي شيء! قال: أين درعك الحطمية؟) رواه أحمد ١/ ٨٠ وأبو داود بنحوه حديث رقم ٢١٢٥ والنسائي ثم ضبط كلمة الحُطَمية بالضم فقال: الحطمية - بضم الحاء المهملة - وفتح الطاء المهملة أيضًا - منسوبة إلى الحطم سميت بذلك لأنها تحطم السيوف. وقيل منسوبة إلى بطن بني عبد القيس يقال له: حطمة بن محارب كانوا يعملون الدروع. كذا في النهاية.

• مهر سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة:

أبو الفرج في الأغاني والزبير في الموفقيات يدخل حديث بعضهما في بعض : قال : تزوج مصعب ابن الزبير سُكَيْنَة بنتَ الحسين وعائشةَ بنتَ طلحة فأمهر كلّ واحدة منهما ألف ألف درهم!! قال الزبير: فقال فيه عبد الله بن همام :

أبلغ أمير المؤمنين رسالةً ... من ناصح لك لا يريد خِداعا
بُضْع الفتاةِ بألفِ ألفٍ كاملٍ ... وتبيت حرّاسُ الثغورِ جِياعا!!

وقال أبو الفرج : إن هذا الشعر لأنس بن زينم الليثي، وأظن أن ابن العربي حين قال: وقد تناهى الناس في الصَّدُقات حتى بلغ صَداق المرأة ألف ألف إنما أشار إلى هذا.

• أتراك تغرف من بحر؟!

قال أبو الفرج : فبلغ ذلك أخاه عبد الله فقال : «إن مُصْعبًا قدَّم أيْرَه وأخَّرَ خيْره» فكتب إليه يؤنبه على ما فعل ويأمره بالشخوص [١] ويقسم عليه ألا يتزوج بمكة، ولا بالمدينة وأن يكون نُزُله بالبيداء [٢]، وقال : إني لأرجو أن يكون هو الذي يخسف به في البيداء، فصار إليه مصعب يترضاه، فقال له: ويحك يا مصعب!، أرأيت مَن صنع ما صنعت؟ أتعمد إلى مال الله فتُمهر منه عائشة ألف ألف؟ أتراك تغرف من بحر؟ فَلَانَ له مُصعب! وقال: قد كان ما كان. فتغافل عنه وعاد مُصعَب إلى عمله ودخل بها [٣].

• تعليق لاذع!

ولما بلغ عبد الملك بن مرْوان قولَه : «إن مصعبًا قدّم أيْرَهَ وأخَّرَ خيره» تعجب منه! وقال: أرأيتم هذا اللئيم كيف عير أخاه بما فعل؟! لكنه والله أخر أيره وأخر خيره، فلا منفعة لأحد فيه، وكان عبد الله بن الزبير بخيلا ولم يكن في آل الزبير جواد غير مُصْعب.

أبو داود عن يحيى بن يعمر قال : قال رسول الله ﷺ : «استحلوا فروج النساء بأطيب أموالكم» [٤].

الباب السابع

في الوقت المستحب لعقد النكاح، وذكر الوليمة، وما ينبغي أن يدعى به للمتناكحَيْن

• لماذا كان الأشياخ يفضلون النكاح يوم الجمعة؟

قال حمزة بن حبيب : كان أشياخنا يستحبون النكاح يوم الجمعة؛ لما في ذلك من لفظ الاجتماع وكانوا يختارون آخر النهار دون أوله . ذهبوا إلى تأويل القرآن واتباع السنة في «الفأل» لأن الله سبحانه وتعالى سمى الليل سكنًا والنهار نشورًا [٥].

---

(١) الشخوص: الحضور بين يديه.

(٢) الصحراء وعبارة عبد الله يقصد بها أنه لم يفكر إلا في شهوته. و(الأير) اسم لعضو التناسل في الرجل.

(٣) انظر الأغاني لأبي الفرج في اخبار عائشة بنت طلحة قصة زواجها من مصعب بن الزبير ١١/ ١٨٦.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب المراسيل باب في المهر.

(٥) إشارة إلى الآيتين: (أ) ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام:٩٦]، (ب) ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان:٤٧].

وقال رسول الله ﷺ في الطِّيَرة «أصدقها الفأل»[1]. فآثر الناس استقبال الليل بعقد النكاح تيمُّنًا بما فيه من الهدوء والسكون وكرهوا الاجتماع على صدر النهار لما فيه من التفرق والانتشار.

• ولماذا كره الناس الاجتماع في شوال؟!

وأما كراهة الناس الاجتماع في شوال فإن أهل الجاهلية يتطيرون منه ويقولون: إنه يَشُول بالمرأة من قولك «شالت نعامتهم» و«شالت النوق بأذنابها». فعلقه الجهال منهم.

• الرسول ﷺ يبطل ذلك!

وأبطله النبي ﷺ بنكاحه عائشة رضي الله عنها في شوال فكانت عائشة تستحب نكاح نسائها في شوال وتقول: «أي النساء كان أحظى عند رسول الله ﷺ مِنّي؟، وكان قد تزوجني في شوال وبَنَى بي في شوال»[2] [أخرجه عنها مسلم].

• الترغيب في شهر صفر:

وورد أيضا ترغيبه في شهر صفر، روى الزُّهري أن رسول الله ﷺ زوّج ابنته فاطمة رضي الله عنها في شهر صفر على رأس اثنى عَشَرَ شهرًا من الهجرة.

• إعلان النكاح واستحباب العقد في المسجد:

قال الغزالي رحمه الله في الإحياء: ويُسْتَحَبّ أيضًا أن يكون العَقْد في المسجد، وأن يَحْضر لذلك جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة[3].

وذكر حديثًا عن النبي ﷺ أنه قال: «أعلنوا النكاح واجعلوه في المساجد»[4].

• الوليمة ولو بشاة:

مسلم عن أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ رأى عَلَى عبد الرحمن بن عوف أَثَر صُفْرَة فقال: ما هذا؟ قال: يا رسول الله إني تزوجت امرأةً على وزن نواة من ذهب، قال رسول الله ﷺ: أَوْلِمْ ولو بشاة»[5]. وعنه قال: «ما رأيت رسول الله ﷺ أَوْلَم على امرأة ما أَوْلَمَ على زينب فإنه ذبح شاة».

وفي رواية: «ما أَوْلَم رسولُ الله ﷺ على شيء من نسائه ما أَوْلَم على زينب، أَوْلَم بشاة»[6].

---

(١) كان رسول الله ﷺ - كما قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث - يتفاءل ولا يتطير. والفأل - مهموز فيما يسر ويسوء. والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء. وإنما أحب الفأل لأن الناس إذا أملوا فائدة الله تعالى ورجَوْا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي فهم على خير، ولو غلطوا في جهة الرجاء فإن الرجاء لهم خير وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشرّ. وأما الطِّيَرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء، ومعنى التفاؤل: أن يكون رجل مريضًا فيتفاءل بما يسمع من كلام فيسمع آخر يقول: (يا سالم). ثم ذكر الحديث (أصدق الطيرة الفأل) وقد تكرر ذكره في الحديث. وقد ذكره أحمد عدة مرات، انظر مسند أحمد ٢/ ٢٨٩، ٤/ ٦٧، ٥/ ٧٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب النكاح باب استحباب التزوج والتزويج في شوال.

(٣) انظر الإحياء للغزالي كتاب النكاح: باب العقد.

(٤) ذكره الزرقاني في مختصر المقاصد الحسنة بلفظ (أعلنوا النكاح واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدف) تحت رقم ١١٤ وقال: حسن. انظر المقاصد ٦٦، والتمييز ٢٣ والكشف ١/ ١٤٥ وضعيف الجامع برقم ١٠٦٥. وذكره العجلوني في كشف الخفاء برقم ٤٢٢، وقال: رواه الترمذي في كتاب النكاح باب ما جاء في إعلان النكاح عن عائشة وضعفه لكن له شواهد فيكون حسنًا لغيره بل صحيحًا على ما سيأتي ثم أخذ يعدد الشواهد.

(٥) رواه مسلم في صحيحه في كتاب النكاح باب إثبات وليمة العرس والبخاري في كتاب النكاح باب الوليمة ولو بشاة انظر فتح الباري حديث رقم ٥٦١٧.

(٦) قال الشوكاني: (متفق عليه) وقال: هذا محمول على ما انتهى إليه أنس أو لما وقع من البركة في وليمتها حيث أشبع المسلمين خبزًا ولحمًا من الشاة الواحدة.

فقال ثابت البناني: «بم أولم؟ قال: أطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه».

• تلبية الدعوة إلى الوليمة:

البخاري عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعى أحدكم إلى الوليمة فلْيَأتِها»[1].

وفي بعض روايات مسلم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا أحدُكم أخاه فلْيُجب إن كان عرسا كان أو نحوه»[2]. قال: فكان ابن عمر يأتي الدعوة في العُرس وغير العُرس ويأتيها وهو صائم.

مسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دُعِيَ أحدكم إلى طَعام فلْيجب، فإن شاء طعم وإن شاء ترك»[3]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دُعِي أحدكم فلْيُجب، فإن كان صائمًا فلْيُصَلِّ وإن كان مفطرًا فليطعم»[4] قوله: «فليصل» أي فلْيدع ولْيُبَرِّك.

• كيف تصبح الوليمة شر طعام؟!

وعنه أن النبي ﷺ قال: «شر الطعام طعام الوليمة يُمنَعُها من يأتيها، ويُدعى إليها من يأباها ومن لم يجب الدعوة فقد عَصَى الله ورسوله»[5].

قال صاحب العين: الوليمة هي طعام النكاح.

وقال الخطابي: هي طعام الإملاك ولعل كلاهما واحد.

• أهي مستحبة أم واجبة؟

وقال المازري في «المعلم»: الوليمة عندنا مستحبة ليست بواجبة خلافا لداود.

• حجة من قال: الوجوب:

وأحد قولي الشافعي في إيجابها أخذًا بظاهر قوله عليه الصلاة والسلام «أَوْلِم» وقوله عليه الصلاة والسلام: «ومن لم يُجب الدَّعوة فقد عصى الله ورسوله».

قال: وعندنا أن قوله ﷺ: «أَوْلِمْ» محمول على الندب ولا حجة لهم في قوله: «ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله»؛ لأنه رتب العصيان على ترك الإجابة، وهي ولو كانت واجبة لا تدل على وجوب الوليمة. إذ غير بعيد أن تكون الوليمة غير واجبة، والإجابة واجبة كما أن الابتداء بالسلام غير واجب، والرد واجب.

قال عياض: استدل بعضهم من ظاهر حديث عبد الرحمن بن عوف على استحباب الوليمة وهو ظاهر قول مالك رضي الله عنه في كتاب محمد.

وحكى ابن حبيب استحبابها عند الإملاك وعند الدخول ورآها بعضهم قبل الدخول آكد حتى يكون الدخول بعد الشهرة.

---

(١) أخرجه البخاري في باب حق إجابة الوليمة والدعوة انظر فتح الباري حديث رقم ٥١٧٣.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب النكاح باب الأمر بإجابة الداعي إلى الدعوة.

(٣) رواه مسلم في كتاب النكاح باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوته، وقال الشوكاني: رواه أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجة وقال فيه: وهُوَ صائم.

(٤) رواه مسلم في صحيحه باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوته، وقوله ليبرك: أي يدعو لها بالبركة يقال: برَّك عليه أي دعا له بالبركة كما ذكر ابن الأثير في غريب الحديث.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله، ومسلم في صحيحه كتاب النكاح باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة.

قال : وقوله : «ولو بشاة» دليل على التوسعة فيها لأهل الوُجْدِ بالذبح وغيره وأن الشاةَ لأهل الجِدَة والقُدْرة أقل ما يمكن، وليس على طريق التحديد، وأنه لا يجزئ أقل منها لمن لم يجدها بل على طريق الحض والإرشاد، ولا خلاف أنه لا حد لها ولا توقيت .

• الرأي في تكرارها أكثر من يومين:

قال : واختلف السلف في تكرارها أكثر من يومين : فمن قائل بإباحة ذلك، ومن قائل بكراهيته، واستحب أصحابنا لأهل السَّعة تكرارَها أسبوعًا.

قال بعضهم: وذلك إذا دُعِيَ في كل يوم من لم يُدْع قبله، ولم يكرر عليهم كراهة للمباهاة والسمعة.

• إجماع العلماء على وجوب الإجابة في وليمة العرس واختلافهم فيما عداها:

قال : ولم يختلف العلماء في وجوب الإجابة في وليمة العرس يعني النكاح، واختلفوا فيما عداها: فمالك وجمهورهم على أنها لا تجب. وذهب أهل الظاهر إلى وجوب الإجابة في كل دعوة بظاهر الحديث المتقدم.

وقال الشافعي: ذلك واجب في الوليمة ولا أرخص في ترك غيرها من الدعوات التي لا يقع عليها اسم الوليمة كالختان والإملاك والنفاس وحادث سرور ولا يتبين لي أن تاركها عاص كتارك الوليمة.

• دعوة أهل الفضل إلى الطعام:

وقد كره مالك لأهل الفضل الإجابة إلى الطعام الذي يدعون إليه .

قال بعضهم : يعني في غير الوليمة وقال بعضهم : فيما يصنع تفضلا دون موجب، من ختان ونفاس وما أشبه ذلك . قال : واختلف في وجوب الأكل للمفطر فيها، فلأهل الظاهر فيه قولان .

وقال الشافعي : إذا كان مفطرًا أكل، وإذا كان صائما صلى ودَعَا على ما جاء في الحديث .

قال مالك : يجيب وإن لم يأكل، وخفف أصبغ في الإجابة إذا لم يكن معها الأكل، ورأى الإجابة إنما تتعين لأجله .

• ما الحكم عندما يكون في الوليمة لعب؟!

واختلفوا أيضا في الحضور إذا كان في الوليمة لعب مباح أو منكر. فالمباح: الأكثرون يبيحون الحضور فيه إلا لذوي الفضل والهيئات. وفي مذهبنا قولان. والمنكر: الأكثرون يمنعون الحضور فيه إلا أبا حنيفة- رضي الله عنه- وبعضهم فإنهم يجيزونه. قال: وعندنا فيه قول شاذ .

• وليمتان لم يكن في الإسلام مثلهما!

أبو ياسر البغدادي في رسالته المعروفة برسالة الطيب ، قال : ويقال : إن وليمتين كانتا لم يكن في الإسلام مثلهما ولا تَقَدَّم لهما نظير قبلهما .

• ما ظنك بوليمة الرشيد؟!

فالوليمة الأولى : وليمة الرشيد عند دخوله بزُبَيْدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور .

قال أحمد بن طاهر صاحب تاريخ بغداد : لما زوجها المهدي من ابنه هارون واستعد لها ما لم يستعد لأحد قبلها من الآلات والآنية والفُرُش والمتاع والثياب والطيب والجوهر والخدم والوصائف

وعمل لها درع در يتجاوز الصفة. لم يقف المقومون له على قيمة، ويقال: إنه الدرع الذي كان لعبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية امرأة هشام بن عبد الملك، ودخل بها في المحرم سنة ١٦٥هـ في قصر الخلد وحشر الناس من الآفاق وفرق في ذلك العرس من الأموال ما لم يتوهم أن بيوت الأموال تحويه، وكانت أواني الذهب تُملأ بالدراهم وأواني الفضة تملأ بالدنانير، ويدفع ذلك لوجوه الناس إلى ما يتبع ذلك من نوافج المسك وقطع العنبر وخلع عليهم الخلع الوشي.

قال : وأحضر المهدي نساء بني هاشم جميعا فكان يدفع لكل واحدة منهن ثوب وشي وخريطة فيها دنانير ودراهم وآنية طِيب .

قال : ويقال إن «العود القماري» إنما سقط وتقدمه «العود الهندي» في هذه الوليمة لما امتحنا جميعا فوجد الهندي أطيبهما وأبقاهما في الثياب. قال : ونظمت الشعراء في هذه الوليمة نظمًا يمدحونه فيها ويهنئونه وكتب أهل البلاد للمهدي والرشيد يهنئونهما بها فيقال: إنه لم يكن في الإسلام وليمة مثلها.

قال أبو ياسر : وبلغت النفقة في هذه الوليمة من بيت المال الخاصة سوى ما أنفقه الرشيد من ماله خمسين ألف ألف دينار .

• حقائق أغرب من الخيال ولا تكاد تخطر على بال!

أما الوليمة الثانية : فهي وليمة المأمون على بوران بنت الحسن بن سهل.

قال أبو الفرج : لما خطبها المأمون استعد لها استعدادا يجل عن الوصف وخرج المأمون إلى «فم الصلح» في شعبان، سنة عشر ومائتين فأملك بها وفعل الحسن في تلك الوليمة ما لم يفعل ملك في جاهلية ولا إسلام نثر على الهاشميين والقُوّاد والكتاب بنادق مسك فيها رِقاع بأسماء ضِياع وأسماء جوارٍ وتعيين صِلات وغير ذلك من كل شيء نفيس، فكان إذا وقع شيء مَن ذلك في يد مَنْ نثر عليه شيءٌ منها فتحه وتوجه فاستوفى قبض ما فيه، ثم نثرت بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وقطع العنبر وأقام الوظائف والنفقات لجميع ما اشتمل عليه عسكر المأمون لكل رجل على قدره فيقال : إن العسكر اشتمل على ستة وثلاثين ألف سلاح سوى أهل العسكر من سائر الناس.

وقال أبو ياسر البغدادي حاكيا عن الحسن بن رجاء: على نيف وسبعين ألف سلاح.

وقال أبو الفرج : ولما جليت بوران القرشية فرش لها حصير من ذهب وجيء بإناء عظيم من ذهب مملوء دُرّا فنثر على الحصير، وكان فيمن حضر من النساء «زبيدة» و«حمدونة» ابنتا الرشيد وغيرهما من بنات الخلفاء فلم تلتقط واحدة منهن شيئا من الدر فقال لهن المأمون: أكرمنها بالتقاطكن فمدت كل واحدة منهن يدها وأخذت واحدة وبقي الدر ظاهرا على حصير الذهب فقال المأمون : قاتل الله الحسن بن هانئ كأنه كان حاضرا مجلسنا حيث قال :

كـأن كـبـرى وصـغـرى مـن فواقعها حَصْباء دُرٍّ على أرضٍ من الذهب

قال أبو ياسر : وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبر وزنها ثمانون رطلا فأنكر المأمون ذلك وقال: هذا إسراف، فأمرت زبيدة برفعها وقالت: هاتوا الشمع المشتعل.

قال : وسأل المأمون زبيدة عن مقدار النفقة في هذه الوليمة فقالت : ما بين خمسة وثلاثين ألف

ألف إلى سبعة وثلاثين ألف ألف، فبلغ ذلك الحسن بن سهل فقال : كأن النفقة كانت على يدها والله لقد حصرتها فكانت ثمانية وثلاثين ألف ألف. قال : وأقامت البغال وعدتها أربعة آلاف بغل تنقل الحطب قبل الوليمة أربعة أشهر ففي أثناء ذلك أعوزهم الحطب فكانوا يوقدون الكتان عوضا عن الحطب .

• وماذا فعل الحجاج عندما زوج ابنه محمدًا؟!

الهيثم بن عدي قال : لما زوّج الحجاج ابنه محمدا قال : لأطعمن في عرسه طعامًا لم يعمل أحد قبله ولا أحد بعده مثله، فقيل له: أصلح الله الأمير، لو بعثت إلى من أدرك كسرى أبرويز فوصف لك شيئًا مما عمله في بعض أيامه، لتعمل على رسمه، فإن معهم المعرفة والسياسة! فأرسل إلى شيخ مِمّن أدرك كسرى فقال له: صف لي أطيب طعام عمله كسرى وأكثره وأشهره .

قال : نعم أصف لك بعلم ، لما أراد كسرى أن يبتني بابنة فلان بعث إلى عماله في مملكته كلها فأشخص من كل بلد عامله وكاتبه ورجلين من وجوه أهل البلد فاجتمع عنده منهم أربعة آلاف رجل فبسط لهم بُسُطَ الديباج المنسوجة بالذهب عليها وسائد منها ثم أتوا بأخاوين الفضة على صحائف الذهب فيها من كل غريب الطعام، فإذا فرغ كل رجل من طعامه أعطى مثقال مسك لغسل يده يصنع به ما شاء، فصنع بهم ذلك ثلاثة أيام، ثم قسمت بينهم الفرش والآنية وأعظمت لهم الجوائز وردهم إلى بلدانهم، فقال الحجاج: أفسد علينا هذا العِلْجُ ما أردنا، انظروا جزائر فانحروا في كل مربعة من مربعات واسط جزورًا يقسمها أهلها .

• مواطن القدوة!

مسلم ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : «لما بني بي رسول الله ﷺ أخذت بيدي أم رومان فأدخلتني بيتا فإذا بنسوة من الأنصار فقلن : على الخير والبركة وأيمن طائر» [١] .

وقال البخاري : «على الخير والبركة وعلى خير طائر[٢]».

قال عياض في الإكمال : فيه حجة لما يقال للمتزوج قال : وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ من رواية معاذ نحوه، وأنه دعا لرجل من الأنصار شهد إملاكه فقال: «على الألفة والخير والطير المأمون والسعة في الرزق بارك الله لكم» [٣] .

• ماذا يقال للعروسين؟

قال : وروى عنه كراهة قول العرب في ذلك : «بالرفاء والبنين» .

وقال ﷺ لبعضهم : «بارك الله لكم وعليكم» [٤] . قال: ومعنى «الطائر» هنا: الحَظُّ أي على أيمن حظ وأفضله. ويقال : للحظ من الخير والشر طائر. وقيل ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ [الإسراء : ١٣] . انتهى كلام عياض رحمه الله .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب النكاح باب تزوج الأب البكر الصغيرة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح باب الدعاء للنسوة اللاتي يهدين العروس وللعروس انظر فتح الباري حديث رقم ٥١٥٦ .

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط، وأشار إليه البيهقي في سننه وقال: إسناده مجهول والله أعلم، انظر اللآلئ المصنوعة ٢/ ١٦٥ - ١٦٦، قال السيوطي: بشر روى عن الأوزاعي موضوعات.

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب النكاح باب تهنئة النكاح.

• النهي عن قول العرب: بالرّفاء والبنين:

وقوله فيه وروى عنه كراهة قول العرب «بالرفاء والبنين». جاء ذلك في حديث يرويه الحسن بن دينار عن الحسن البصري أن رسول الله ﷺ نهى أن يقال بالرفاء والبنين. الحديث مرسل، والحسن بن دينار متروك.

• ماذا نقول في هذه المناسبة السعيدة؟

وتزوج عقيل بن أبي طالب فقيل له : «بالرفاء والبنين» فقال: قال رسول الله ﷺ : «إذا رفأ أحدكم فليقل: على الخير والبركة. بارك الله لك وبارك عليك» (١). قال إسحاق بن يحيى : رأيت عقيل بن علقمة يقول لرجل من الأنصار: بالرفاء والبنين والطائر المحمود، قال، فقلت له: يا أبا علقمة: إنه يكره أن يقال هذا!، فقال: يابن أخي إن هذا قول أخوالك في الجاهلية وإلى اليوم لا يعرفون غيره!

قال إسحاق: فحدثت الزُّهري بذلك فقال : عقيل بن علقمة كان جاهلًا جافيًا.

أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا رفأ المتزوج يقال له : «بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير» (٢). سعيد بن المسيب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما ابتنى علي رضي الله عنه بفاطمة عليها السلام دخل رسول الله عليهما فقال: «قوما إلى بيتكما جمع الله بينكما وبارك فيكما وأصلح بالكما». ثم قام فأغلق عليهما بيده. وفي رواية عن أنس : أن رسول الله ﷺ قال لعلي حين أراد تزويجه : «إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة بنت خديجة إن رَضِيتَ»، قال : رضيتُ يا رسول الله. قال أنس: فقال النبي ﷺ : «جمع الله شملكما وأقرَّ عينكما وأسعد جَدَّكما وأخرج منكما خيرا كثيرا طيبا» (٣) . قال أنس: فوالله لقد أخرج منهما خيرًا كثيرًا طيبًا -رضوان الله عليهم أجمعين .

الباب الثامن

في جلاء (٤) العروس عند ابتناء زوجها (٥) بها ودخولها على الرجل ليلا أو نهارًا واستحباب اللهو في ذلك. وما ينبغي للرجل والمرأة أن يتمثلاه عند الاجتماع. وقبل الوقاع . وذكر جمل من آداب الجماع

• عادة قديمة ما تزال إلى عصرنا!

لم تزل العادة القديمة وإلى الآن جارية بجِلاء العروس بين أهلها قبل أن تصلَ إلى زوجها، ثم عند زوجها بعد وصولها إليه .

---

(١) رواه ابن ماجة بنحوه في سننه كتاب النكاح باب تهنئة النكاح حديث رقم ١٩٠٦.

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب النكاح باب ما يقال للمتزوج حديث رقم ٢١٣٠.

(٣) رواه الطبراني، انظر مجمع الزوائد ٩/ ٢٠٤، قال الهيثمي: رجاله ثقات.

(٤) قال في المصباح: جلوت العروسَ جِلْوةً بالكسر والفتح لغة وجلاء مثل كتاب. واجتليتُها مثله. والمقصود تهيئتها وإبراز محاسنها. وقد جرت عادة النساء بذلك منذ القدم.

(٥) ابتناء زوجها بها: يقال بني على أهله دخل بها، وأصله أن الرجل كان إذا تزوج بني للعروس خِباءً جديدًا وعمره بما يحتاج إليه أبو بني له تكريمًا ثم كنى به عن الجماع. قال ابن دريد: بنى عليها وبنى بها والأول أفصح. قال ابن السكيت بنى على أهله إذا زُفّت إليه.

• ما ورد في جلاء العروس:

وقد ورد في ذلك حديث يرويه القاسم بن عبيد الله العمري عن ابن دينار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ اجتلى عائشة رضي الله عنها عند أبويها قبل أن يَبْتَنِى بها.

قال ابن القطان في «كتاب النظر» : هو كناية عما جرت به عادة النساء من جلاء العروس بينهن قبل دخولها على زوجها . قال : و«القاسم بن عبيد الله» ضعيف عند المحدثين .

• جلاء فاطمة:

سعيد بن المسيب عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما زوج النبي ﷺ ابنته فاطمة رضي الله عنها عليا رضي الله عنه قام فدخل على النساء وقال : «إني قد زوّجت ابن عمي ابنتي فاطمة وقد علمتُنّ منزلتَها مني، وأنا دافعها إليه الآن إن شاء الله تعالى فدُونَكنَّ ابنتكن» ، قال: فقمن إليها فغلفنها من طِيبهن وكَسَوْنها من جلابيبهن. ثم إن النبي ﷺ دخل فلما رآه النساء وثبن، وتخلفت أسماء بنتُ عُمَيس، فقال لها النبي ﷺ: مَنْ أنتِ؟ قالت: أنا التي أحرس ابنتك، فإن الفتاة ليلةَ يُبْنَى بها لابد أن تكونَ امرأةٌ قريبًا منها إن عرضت بها حاجة أو أ رادت شيئًا أفضَتْ بذلك إليها [١]. فقال النبي ﷺ : «حَرَسَك الله من بين يديك، ومن خلفك، وعن يمينك، وعن شمالك من الشيطان» [٢].

• مهمة من تتولى جلاء العروس!

قالوا : وينبغي للمرأة التي تتولى جلاء العروس أن تعرض على الرجل جميع محاسنها وتُظْهِرَ له ما خَفِي من خِضَابها أو زينتها فإن أغفلت شيئا من ذلك نبهتها العروس له بيد أو رجل أو إشارة .

• صورة واقعية لما كانت تقوم به الماشطة!

قالت رعيب «الماشطة» : جلوت رَيّا بنت الحبحاب على زوجها قدامة ابن وكيع، وكانت جارية تملأ المِرط [٣] تنظر بعيني مَهاةٍ [٤] وتتلفت عن جِيد [٥] غزال، فائقة الحسن جامعة الخلق .

قالت : فإني لأرفع يدها لأُري زوجها حُسْنَ خِضابها [٦] إذْ أخرجت رجلها من تحت غلالتها [٧] فعلمتُ ما تريد. فجعلتُ أريه مَرةً يَدَهَا ومَرّةً رجلَها، قالت: فقال لي: يا رعيبُ ما رأيت قَطّ خِضابًا أحسنَ من هذا الذي أرى في يَد هذه العروس [٨] ورجليها، ولقد شغلني عما سواه، وإني لأنظرَ إليها بكل نظري فكلما ارتد طرفي إلى يديها مال إلى رجليها، فما قضيت وطري [٩] من حلاوة نظري! قالت: فكان ذلك يُعجبها ويتبين لي منه السرور في وجهها .

• صورة من أرشيف ماشطة!

قالت : وجلوت أم البنين بنت موسى بن عقال على زوجها عمرو بن الفريد وكيل المهدي وكانت

---

(١) أفضت إليها: كاشفتها وحدثتها بشأنه.

(٢) أخرجه الطبراني، انظر مجمع الزوائد ٩/ ٢٠٨ من حديث طويل، قال الهيثمي: فيه يحيى بن يعلي وهو متروك.

(٣) المِرْط: كل ثوب غير مخيط وكساء من صوف ونحوه يؤتزر به.

(٤) المهاة: البقرة الوحشية يشبه بها في حسن العينين.

(٥) الجِيدُ: العُنُق.

(٦) الخِضَاب: ما يخضب به الأصابع من الحناء وغيرها.

(٧) الغلالة: القميص الرقيق الشفاف الذي يكون تحت الثوب. والغلالة كما جاء في أساس البلاغة: شعار يلبس تحت الثوب للبدن خاصة وتقول: قولوا للحلائل: لا يبرزن في الغلائل.

(٨) العَروس: الرجل والمرأة ما داما في عُرسهما. ويقال للمرأة أيضًا: العروسة دفعًا للالتباس.

(٩) الوطر: الحاجة والبُغْية وجمعه: أوطار.

جارية قد أغناها حسنها عن التَّحلّي فزادها الْحَلْي حسنا وكل النساء يتحدثن بجمالها وكمالها وشدة حيائها، فجعلت لا أمد يدي إلى شيء من محاسنها إلا سبقتني إليه، فلما دخل عليها فركته لنقصان [1] شهوته ولم تزل تبدي البُغضة له، والنفورَ من مَضْجعه، إلى أن أجبرَ نفسَه على طلاقها.

• أم منظور بين بثينة وعائشة بنت طلحة:

قال الهيثم بن عدي: دخل مصعب بن الزبير على عائشة بنت طلحة وهي تَمَتَشِط فتمثل بقول جميل:

ما أَنْــسَ لا أَنْــسَ منها نظرة سَلَفَتْ بالحِجْر لما جَلَتْها أُمُّ مَنْظور

فقيل له: إن «أم منظور» ههنا وكانت عجوزًا من «عُذْرَة» فاستدعى بها فأقبلت؛ فقال: يا أمّ منظور، أخبريني كيف كان جلاؤك لبُثَيْنَة؟! قالت: مشّطْتُ رأسَها، وجعلت فيها شيئًا من خَلُوق [2]، وجمّلتها، وألبستها وِشَاحًا [3] وقِلادَةً من بلج، ثم أقبل جميل على راحلته [4]، فوقف مَليًّا [5] ينظر إليها ثم انصرف. قال: فقال لها مصعب: فإني أقسم عليك إلا جلوتِ عائشة كما جَلَوْتِ بُثَيْنَة، ففعلت، ووقف مُصْعَب ينظر إليها مَليًّا ثم انصرف.

• الوقت المفضل لدخول المرأة على الزوج:

ويختار أن يكون دخول المرأة على زوجها ليلا، فإنه وقت السكون والهدوء وانقطاع التصرف، والنهار محل التفرق، والانتشار، وقد سمى الله تعالى الليل سكنا والنهار نُشُورًا [6].

• ما ورد من الابتناء نهارا!!

وورد شيء من الابتناء نهارا. قالت عائشة رضي الله عنها: تزوجني رسول الله ﷺ لستٍّ سنين، وبني بي وأنا بنت تسع سنين! قالت: فقدمنا المدينَة فوُعِكْتُ شهرًا [7]، فوَفى شعري جُمَيْمَةٌ فأتتني «أم رومان» [8] وأنا على أرجوحة، ومعي صواحبي، فأدخلتني بيتا، فإذا نسوة من الأنصار، فقلن: على الخير والبركة، وعلى خير طائر [9] فأسلمتني غليهن فغسلن رأسي وأصلحنني، فلم يَرُعْنِي إلا رسول الله جاء ضُحًى فأسْلمتِني إليه. أخرجه مسلم [10].

---

(١) لم يملأ عينها ولم تجد فيه رجلها المنشود! والفَروك: الكارهة. (٢) الخلوق (بفتح الخاء): الطيب (مجموعة العطور والروائح).

(٣) الوِشاح: شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها. والقلادة ما يوضع في العنق من الحلي.

(٤) راحلته. ناقته. (٥) مَليًّا: طويلًا.

(٦) إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا ﴾ الآية: ٩٦ من سورة الأنعام. وإلى قوله في سورة الفرقان الآية: ٤٧: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾.

(٧) أصابها ألم من شدة التعب أو المرض. والوعْكة: المرضة.

(٨) الجُمّة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين وقال ابن الأثير في غريب الحديث: ومنه حديث عائشة- رضي الله عنها - حين بنى بها رسول اللهﷺ قالت: (وقد وفَتْ لي جُمَيْمَةٌ) أي كثرت. والجميمة: تصغير الجُمَّة. وهي تريد أن تقول: أخذني ألم الحُمّى شهرًا، وفي الكلام حذف تقديره: فتساقط شعري بسبب الحمى، فلما شفيت تربى شعري فكثر وهو معنى قولها: (فوفى شعري) أي صار نازلًا إلى المنكبين بعد أن كان المرض قد ذهب به وأم رومان: هي أم عائشة - رضي الله عنها.

(٩) أي على أفضل حظ ونصيب وطائر الإنسان نصيبه.

(١٠) في الحديث سقطت عبارة: (وأنا على أرجوحة ومعي صواحبي فصرخت بي فأتيتها وما أدرى ما تريد بي، فأخذت بيدي فأوقفتني على باب، فقلت هَهْ هَهْ. ومعنى حتى ذهب نفسي: أي زال عني ذلك النفس العالي الحاصل من الإعياء. ويرعني: يدهشني! م٤/ ١٧٦.

• جواز الابتناء بالأهل نهارًا:

قال عياض- رحمه الله- في الإكمال : في جواز الابتناء بالأهل بالنهار وعليه ترجم البخاري في باب الابتناء بالأهل نهارا بغير مركب ولا نيران .

وقال بعضهم : كلما اشتهر النكاح بمركب أو نيران كان أَوْلى، قال : ومعنى النيران كثرة السُّرُج عند الزفاف، وذلك إنما يكون ليلا، قال: وقد تكون النِّيران «كناية عن الولائم» كما قال بعضهم في الحديث الآخر ويروى دُخَان وسيأتي ما قيل في الوطء ليلا والوطء نهارًا في باب بعد هذا .

• اللهو عند الزفاف:

البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة زُفّت إلى رجل من الأنصار فقال رسول الله ﷺ : «يا عائشة ما كان معهم لهو فإن الأنصار يُعْجبُهم اللَّهْوُ»[(١)] . ذكره البخاري في باب النسوة يُهْدِينَ المرأة إلى زَوْجها .

النسائي عن محمد بن حاطب[(٢)] الجُمَحيّ قال : قال رسول الله ﷺ: «فصل ما بين الحلال والحرام: الصوت، والدُّف في النكاح»[(٣)] . ذكره الترمذي وقال فيه : حسن، وقال غيره: صحيح .

• السنة في الدخول:

قال شريح : من السنة إذا دخل الرجل على المرأة أن يُصلّي ركعتين وتصلي خلفه، فيسألان الله تعالى خيرَ ليلتِهما، ويتعوذان بالله من شَرّها .

• ابن سيرين يحكي تجربته في هذا المجال:

قال ابن سيرين : تزوجت امرأة من بني تميم فلما كان ليلة البناء بها دخلت عليها فإذا هي جالسةٌ على باب خِدْرها[(٤)] فأهويت إليها بيدي، فقالت على رِسْلك[(٥)]، فحَمَدت الله وأثنت عليه، ثم قالت: إن الله يضع العلم حيث يشاء، وإنه بلغني أن الرجل يؤمر إذا دخل على أهله أن يصلي ركعتين، وأن تُصَلّي امرأته معه، فإذا فرغ قال: اللهم بارك لي في أهلي، وبارك لأهلي فيَّ، اللهم ارزقني أُلْفَتَهم وَمَوَدَّتَهم وارزقهم أُلْفتي ومَوَدّتي، وحَبّب بعضَنا إلى بعض فقُمْت ففعلت فلما فرغت أهويت بيدي إليها، فقالت: على رِسْلك! إن الرجل يؤمر إذا أراد غِشْيان[(٦)] أهله أن يقول: اللهم جنبنا الشيطانَ، ولا تجعلْ له بيننا نصيبا فقلت ذلك فلم أزل أعرف إلا الخير والبركة!

قولها : «إن الرجلَ يُؤمر إذا دخل على أهله أن يصلي ركعتين، وأن تصلي امرأته معه» جاء ذلك في حديث أخرجه البزار عن الحجاج بن فروخ عن ابن جريج عن ابن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه عن سلمان قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا تزوج أحدكم فكانت ليلةُ البناءِ فلْيُصَلّ ركعتين ولْيأمرها أن تصلي خلفه فإن الله جاعلٌ في البيت خيرا»[(٧)] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح انظر فتح الباري حديث رقم ٥١٦٢.

(٢) هو أول من سمي في الإسلام محمدًا وأمه أم جميل ودعا له الرسول بالبركة روي عن النبي ﷺ وعن أمه وعن علي. (الإصابة) جزء ٦ صفحة ٨).

(٣) رواه النسائي في سننه كتاب النكاح باب إعلان النكاح بالصوت وضرب الدف.

(٤) الخدر (بكسر الخاء) ستر يُمَدّ للزوجة في ناحية البيت. وأهويت إليها بيدي: أي مددتها لألمسها.

(٥) على رِسْلك: انتظر وتمهل.

(٦) غشيان: جماع ومعاشرة جنسية.

(٧) رواه البزار انظر الحديث في مجمع الزوائد ٤/ ٢٩١ باب ما يفعل إذا دخل بأهله.

الحجاج بن فروخ قال أبو حاتم : شيخ مجهول! وقال ابن مُعين: ليس بشيء.

وقولها : إن الرجل يؤمر إذا أراد غِشْيانَ أهله أن يقول : «اللهم جنبنا الشيطان» جاء ذلك في حديث أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله: بسم الله، اللهم جنبني الشيطان وجَنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قدر بينهما ولد لم يضره شيطان أبدا» [١]. وقال عياض في الإكمال : هو أن لا يَصْرَعَه الشيطان .

وقيل : أن لا يَطعَن فيه عند ولادته كما جاء في الحديث ، قال : ولم يحمله أحد على عمومه في الوسوسة والإغواء وشبه ذلك .

• نساء بني تميم:

وروى الزبير في الموفقيات عن عمه عن الهيثم بن عدي عن السَّرَيّ بن إسماعيل عن الشَّعبيّ قال: قال لي شريح: عليك يا شعبي بنساء بني تميم، قال : وأخبرني أنه تزوج امرأة منهم ، قال : فأقسمت على أهلها بعد تمام العقد ألا تَبيتَ إلا عندي! فقالوا: اللهم غفرًا! نريد أن نَصْنَعَها لك [٢]، ونُهَيِّئَها؟ فقلت: حسبي ما رأيت [٣]! وقد كنت رأيتها قبل نكاحها فَهيَّئُوها، ثم زَفُّوها إليّ من ليلتهم، فأقبلت إليّ مع النساء، فلما وقفت بباب الحجرة، واستخفى تلك النساء منها، ثم دخلت البيت [٤]، فقمت إليها فقلت: أيتها المرأة، إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم الزوج فيصلي وتصلي خلفه!، ويسألان الله تعالى خيرَ ليلتهما، ويتعوذان الله من شرها، ثم تقدمتُ إلى الصلاة فإذا هي خلفي، فصليت، ثم انْقَلَبْتُ [٥]، فإذا هي على فِراشها فأخذت بناصيتها فدعوت وبرّكت [٦]، ثم مَدَدْت يدي فقالت : على رسلك [٧]! ثم قالت : الحمد لله أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . أما بعد : فإني امرأة غريبة، وأنت رجل لا أعرف أخلاقك فأخبرني بما تحب؛ فآتيه، وبما تكره فأجتنبه. أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم !

قال: فقلت : الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد : فإنك قَدمْت خيرَ مَقْدَم على أهل دار، زَوْجُك خيرُ رجالهم وأنت إن شاء الله خير نسائهم. أحب كذا، وأكره كذا، قالت: فأخبرني عن أختانك [٨]. أتحب أن يزوروك؟، قال: فقلت: إني رجل قاض فأكره أن يملوني. فبت بخير ليلة وأصبحت فأقمت عندها ثلاثا ثم خرجت إلى مجلس القضاء، فلبثْت فيه حولًا لا أرى فيه يوما إلا وهو أحب إلي من الذي قبله! فلما كان عند رأس السنة، انصرفت من مجلس القضاء إلى منزلي فإذا بعجوز تأمر وتنهي، فقالت: كيف أنت يا أبا أمية؟ فقلت: ومن أنت؟ فقالت: ختنتك، فقلت: حياك الله بالسلام إني بخير عافاك الله! قالت: كيف رأيتَ صاحبتَك؟ قلت: خير امرأة. قالت: إن المرأة لا تكون في حال أسوأ خُلقِ منها في حالتين: إذا حَظِيتْ عند زوجها، وإذا ولدت غلامًا، فإن رأيت منها شيئًا فالسوط ؛ فإن الرجال ما حازت شيئًا إلى بيوتها شرًّا من الوَرْهاء

---

(١) رواه البخاري في كتاب النكاح باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله انظر فتح الباري حديث رقم ٥١٦٥.

(٢) نجلوها ونعدها بما تقوم الماشطة بعمله. (٣) إنها ليست في حاجة إلى صنع وتهيئة لما رأيته من جمالها وهذا يكفيني!

(٤) مكان البيتوتة والنوم من الحجرة والمسكن. (٥) انقلبت: تحولت عن وجهي إليها وانصرفت.

(٦) الناصية: مقدم الرأس. وبرّكْتُ دعوت لها بالبركة. (٧) تقول: على رِسْلك بالكسر أي على هينتك. لا تتعجل!

(٨) جمع خَتَن. وهم كل من كان من قِبَل المرأة كالأب والأخ. وقال الأزهري: الختن: أبو المرأة والختنة أمها. وهي تستفسر عما يحبه الزوج في شأن زيارة أهلها.

المدللة. قلت: أشهد أنها ابنتك. قد كفتني الرياضة [1] وأحسنت السياسة والأدب. قال: فكانت تأتي في كل سنة توصي بهذه الوصية التامة ثم تنصرف فذلك حيث أقول:

إذا زينب زارَها أهلُها ... حشَدت وأكرَمَتْ زُوّارَها
وإن هي زارتهم زُرْتها ... وإن لم أكن آتها دارها

قال: فأقامت عندي عشرين سنة ما غضبْتُ عليها يوما قطُّ، ولا ليلة إلا يوما كنت لها ظالما، وذلك أني كنت إمامَ قومي، فصليت ركعتي الفجرِ فأبصرت في الدار «عقربًا» فأعجلني المؤذن عن قتلها [2]، فكفأت عليها إناء وأمرتها أن لا ترفعه حتى أرجع، فجئت فوجدتها قد رفعته، فضربَتْها العقرب، فلو رأيتني يا شعبيّ وأنا أستخرج الدم من إصبعها، وأقرأ عليها فاتحة الكتاب والمعوِّذتين !!

قال: وكان لي جار من كندة لا يزال يضرب امرأته، فذلك حيث أقول:

رأيت رجالًا يضربون نساءَهم ... فشُلّت يميني حين أضرب زينَبا!
أأضربها من غير جُرم أتت به ... إليّ فما عذري إذ كنت مُذْنبا
فزينبُ شمس والنساء كواكبٌ ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكبا [3]

وماتت، فوالله لقد بغَّضَت إليّ الحياة وأفسدت عليّ النساء فوددت أني تبعتها.

• أنا أزوجك ابنتي إن رضيت!

ويشبه هذا الخبر الخبر الذي يرويه مالك عن يحيى بن سعيد قال: كان لسعيد بن المسيب جليس يقال له: عبد الله بن أبي وداعة فأبطأ عنه أياما، فسأل عنه فقيل له: إن سعيد بن المسيب سأل عنك، فأتاه وسلم عليه ثم جلس، فقال له سعيد: أين كانت غيبتك يا أبا محمد فقال: إن أهلي كانت مريضة [4] فمرضتها، ثم ماتت، فدفنتها، فقال: يا عبدَ الله، ألفلا أعلمتنا بمرضها، فنعودَها، أو بموتها فنشهَد جنازتها، ثم عزّاه عنها ودعا له ولها، ثم قال: يا عبد الله، تزوّج ولا تَلْقَ الله وأنت أعزب، فقال: رحمك الله، ومن يزوجني؟ فوالله ما أملك غير أربعة دراهم! فقال: سبحان الله! أو ليس في أربعة دراهم ما يستعِفّ به الرجل المسلم؟! يا عبدَ الله أنا أزوجك ابنتي إن رضيت. قال عبد الله: فسَكتُّ استحياء منه، وإعظاما لمكانه، فقال: ما لك سكت؟! لعلك سخطت ما عرضنا عليك!! قال: فقلت: يرحمك الله وأين المذهب عنك [5] فوالله إني لأعلم أنك لو شئت زوجتَها بأربعة آلاف وأربعة آلاف قال: قم يا عبد الله فادع لي نفرا من الأنصار [6]، فقمت فدعوت له حلقة من بعض حِلق الأنصار فأشهدهم على النكاح بأربعة دراهم ثم انقلبنا فلما صلينا العشاء الآخرة وصرت إلى منزلي إذا برجل يقرع الباب فقلت: من هذا؟ فقال: سعيد فوالله خطر ببالي كل سعيد بالمدينة غير سعيد بن المسيّب؛

---

(١) رياضتها وتأديبها وتقويمها لما هي عليه من كمال.

(٢) جعلني نداؤه أسرع وألبى داعي الله ولا أنشغل بقتلها. والورهاء: الخرقاء.

(٣) البيت للنابغة الذبياني في الاعتذار والمدح ولفظه:

كأنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يَبْدُ منهن كوكب

وأعذر: كثر ذنبه وعيبه. وفي الحديث: (لن يهلك الناس حتى يُعذروا من أنفسهم) أي تكثر ذنوبهم وعيوبهم. قال أبو عبيد: ولا أراه إلا من العذر أي يستوجبون العقوبة فيكون لمن يعذبهم العذر.

(٤) أهلي: زوجتي. (٥) وهل هناك من ينصرف الإنسان إليه غيرك؟

(٦) الحِلق: بكسر الحاء جمع حَلْقة بسكونها. وجاء الجمع بالفتح على غير قياس. وهم الجماعة.

وذلك أنه ما رؤى قط خارجا من داره إلا إلى جنازة أو إلى المسجد. فقلت: من سعيد؟ فقال: سعيد بن المسيب فارتعدت فرائصي [١]، وقلت: لعل الشيخ ندم، فجاء يستقلني [٢]، فخرجت إليه أجرّ رجلي وفتحت الباب، فإذا أنا بشابة ملتفة بساجة، ودواب عليها متاع، وخادم [٣] بيضاء فسلم عليّ، ثم قال لي: يا عبد الله، هذه زوجتك! فقلت مُسْتَحيًا منه: يرحمك الله، كنت أحب أن يتأخر ذلك أياما! فقال لي: لِمَ؟ أوَ لَسْتَ أخبرتني أن عندك أربعة دراهم؟!، قال: هو كما ذكرتُ لك ولكن كنت أحب أن يتأخر ذلك! قال: إنها إذا عليك لَغَيْر ميمونة وما كان الله ليسألني عن عُزْبَتِك [٤] وعندي لك أهل، هذه زوجتك وهذا متاعكم، وهذه خادم تخدمكم معها ألف درهم نفقة لكم؛ فخذها يا عبدَ الله بأمانة الله، فوالله إنك لتأخذها صوّامة قوّامة عارفة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فاتّق الله فيها، ولا يمنعك [٥] مكانها مني إن رأيت منها ما تكره أن تُحْسنَ أدبها ثم سلمها إليّ ومضى. قال: فوالله ما رأيت امرأة قط أقْرَأ لكتاب الله، ولا أعرف بسنة رسول الله ﷺ، ولا أخوف لله عز وجل منها، لقد كانت المسألة المعضلة تعيي الفقهاء فأسألها فأجد عندها منها عِلْمًا.

قال: فأقامت عندي ما شاء الله، ثم رزقني الله منها حَمْلًا، وكان سعيد بن المسيب كثيرًا ما يسألني عنها فيقول: ما فعلت تلك الإنسانة؟ فأقول: بخير فيقول: يا عبد الله، إنْ خفّت عليك أن تزيرناها فافعل [٦] فلما حضر وِلادُها [٧] خرجت لأنظرٍ في بعض ما ينظر فيه [٨] الرجل لأهله ورجعت إلى الدار وإذا بها شخص مَا رأيته قطّ، فرجعت مولّيا فنادتني من ورائي، يا عبدَ الله ادخل فقد أحلّ الله لك هذه النظرة فقلت: ومن أنت يرحمك الله؟ قالت: أنا أم الفتاة. يا عبد الله! كيف رأيت أهل بيتك؟ قلت: جزاكم الله من أهل بيت خيرًا؛ لقد رَبَّيْتم فأحسَنْتم، وأدبتم فأحكمتم فقالت: يا عبد الله، لا يمنعك مكانُها منّا أن ترى بَعضَ ما تكره فتُحسنَ أدبها، يا عبدَ الله لا تُمَلكْها من أمرها ما جاوزَ نفسَها؛ فإن المرأة رَيْحَانة وليست بقهرمانة [٩]، ولا تكثر التبسم في وجهها فتستخف بك، يا عبد الله بارك الله لكما في المولود وجعله مباركا خائفًا لله، ووقاه الله فتنةَ الشيطان وجعله شبيهًا بجَدّه سعيد، فوالله إني لزَوْجتُه منذ أربعين سنة ما رأيته عصَى الله تعالى معصيةً قط. وهذه نفقة بعث بها إليكم، قال: فأخذتها منها فإذا هي خمسة دنانير، ثم خرجتُ فلم أرَ لها وجهًا ثمان عشرة سنة حتى قضى الله عليها بالموت.. انتهى. قال الغزالي رحمه الله: استعجال سعيد في زفاف المرأة إلى زوجها من ليلتها يعرفك غائلة الشهوة [١٠] ووجوب المبادرة في الدين إلى إطفائها بالنكاح.

• ماذا نقول عند الزواج أو شراء خادم؟

أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادما فليقل: اللهم إني أسألك خيرَها، وخيرَ ما جَبَلْتَها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه» [١١].

---

(١) جمع فريصة وهي: لحمة بين الجنب والكتف ترتعد عند الخوف. والفريصُ أيضًا عصبُ الرقبة وعروقها يثور عند الغضب.

(٢) يستقلني: أي يستقل ما دفعت من مهر ويطلب مزيدًا ويستقيلني يطلب مني أن أقيله مما اتفقنا عليه. والساجة ضرب من الملاحف.

(٣) الخادم يطلق على المذكر والمؤنث. (٤) مبيتك أعزب دون زوجة. والعُزْبة كالعُزْلة: العُزوبة.

(٥) منزلتها. (٦) إن سهل عليك أن تتيح لها زيارتنا. (٧) ولادها: موعد ولادتها.

(٨) ما تتطلبه الولادة. (٩) القهرمان: أمين الدخل والخرج، والوكيل.

(١٠) كيف تستبد بالإنسان وتأخذه من حيث لا يدري وانظر الإحياء للغزالي كتاب النكاح دفع غوائل الشهوة.

(١١) رواه أبو داود في سننه في كتاب النكاح باب في جامع النكاح حديث رقم ٢١٦٠، وأشار ابن الأثير في غريبه إلى حديث الدعاء. (أسألك من خيرها وخير ما جُبلتْ عليه) أي خُلِقَتْ وطُبعت عليه.

قال أبو الزناد -رحمه الله تعالى- : كنت رجلا مِثْنَاثًا فقيل لي : استغفر الله قبل المجامعة ففعلت؛ فولد لي بضعة عشر ذكرا .

• واجب المرأة ليلة بنائها:

ويستحب للمرأة ليلة بنائها ألّا تفْرط في التمنع على زوجها فيما يريد منها، ولا بأس بالامتناع الخفيف الذي يهيجه، ويقوي حرصه، فإن قوى امتناعها فربما يؤدي إلى انكسار شهوته وعجزه عن الافتضاض من ليلته تلك ، فتبيت المرأة معه بليلة حرة. ويقال : باتت العروس بليلة حرة -على الإضافة- إذا لم يقدر بعلها على افتضاضها أول ليلة، فإن افتضها من ليلته قيل: باتت بليلَة شيبًاء [١] - على الإضافة أيضا- قال النابغة :

شُمُسٌ موانعُ كلِّ ليلةِ حُرّةٍ يُخْلِفْن ظنَّ الفَاحِشِ المِغيار

قال الأصمعي : أراد موانع كل ليلة شيبًا فوضع حرة موضع «شيبًا» للازدواج الآتي والعلم بما أراد. وربما تمادى انكسار الشهوة أول ليلة إلى انكسارها زمنا طويلا فيجب على المرأة أن تحذر كل الحذر من هذا .

• إما أن تقومي إليَّ وإما أن أقوم إليك!

صاحب نثر الدرر وأبو الفرج في الأغاني قالا : لما أهديت نائلة بنت الفرافصة إلى عثمان- رضي الله عنه- وكان أخوها زوّجها منه وضع لها سريرًا إلى جانب سريره فجلست عليه ثم قال لها : إما أن تقومي إليّ وإما أن أقوم إليك، فقالت: والله ما تجشَّمت إليك سماوَة كَلْب، وأنا أمتنع إليك في مجلسك بعرض البساط! وقامت وجلست معه فوضع قَلَنْسُوتَه وقال: لا يروعك ما تَرَيْن من صَلَعي فإن من وراء ذلك ما تُحبين، قالت: إني من نسوة أَحَبُّ أزواجهن إليهن الكهول [٢] الصُّلْع، قال: ألقي رداءك، فألقته، قال: اطرحي خِمَارك [٣] فطرَحَتْه، ثم قال: انزعي دِرْعك [٤] فنزعته، ثم قال: حلي [٥] إزارَك قالت: ذلك إليك، قال: صدقت، وبنى بها فأعجبته فولدت له ابنته مريم وقُتِل، وهي عنده فخطبها بعد أشراف قريش فلم تنكح بعده أحدًا حتى ماتت. الفَرافصة هنا مفتوح الفاء الأولى. قال ابن الأنباري: كل فُرافصة في العرب فهي مضموم الفاء الأولى إلا أبا نائلة هذا [٦].

• حكمة معاوية وحسن تصرفه مع ابنته!

أبو الفرج في كتاب النساء : عن ابن الماجشون قال : زوج معاوية ابنته هندا من عبد الله بن عامر فسمع معاوية يوما جاريتين له يتحدثان ويذكران أنها لم تُمكن زوجها من شيء ! وذلك بعد دخولها عليه بشهر! فركب معاوية حتى أتى باب عبد الله، فدخل معه البيت وأرْخَت قُبَّتَها فتحدث معاوية مع عبد الله ساعة ثم ضرب معاوية جانب القبة بخيزُرانة كانت في يده، وقال :

مِنَ الخَفِرات البيضِ أمّا حَرامُهَا فَصَعْبٌ وأما حِلُّها فَذَلُولُ [٧]

---

(١) وقد ذكرها صاحب أساس البلاغة على الوصفية لا على الإضافة.

(٢) الكهول جمع كهل الذي جاوز الثلاثين وخطه الشيب.

(٣) ما يخمر الوجه ويغطيه.

(٤) درع المرأة قميصها وهو مذكر.

(٥) الإزار: كل ما ستر (الملخصة) والحاج يلبس إزارًا، ورداء.

(٦) انظر الأغاني لأبي الفرج أخبار نائلة بنت الفرافصة ونسبها ١٦/ ٣٤٩.

(٧) الخفرات: الحَيات. وصعب أن يُنال حرامُها... وأما ما هو حلال فذَلُول سهل ميسر ليس فيه تمنع - وكأن معاوية يطلب إليها ألا تتمنع عن زوجها ما دام ذلك حلالًا. وقد كان بعد أن سمعت البيت، وكأنما كانت تنتظر شارة البدء من أبيها!

ثم قام وفهمت هند ما أراد ودخل عبد الله عليها بعد ذلك فمكنته منها وما برح حتى قضى حاجته منها.

• من الأدب الإسلامي عند الجماع:

النسائي: عن عبد الله بن سَرْجس أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أتى أحدكم أهله فلْيُلْق على عَجزه وعَجُزها شيئًا ولا يَتجَرّدا تجرّد العَيْرين»[1].

يتصل هذا الحديث من جهة صدقة بن عبد الله وليس بقوي عن زهير بن محمد وهو ضعيف.

• رعاية التوافق والمشاركة:

أبو أحمد بن عدي من حديث عباد بن كثير عن محمد بن جابر عن قيس بن طلق عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جامع أحدكم أهلَه فلا يُعْجِلْها حتى تقضي حَاجَتَها كما يُحِبّ أن يقضي حاجَته»[2].

عباد بن كثير الواقع في هذا السند هو شامي ضعيف وأما محمد بن جابر فروى عنه الأئمة كشُعْبة والثوري وأيوب وغيرهم.

• آداب النكاح التي حَضّ عليها رسول الله ﷺ:

قال الغزالي في الإحياء: من آداب النكاح التي حض عليها رسول الله ﷺ: إذا قضى الرجل وطَرَه[3] من الإنزال أن يُمْهِل المرأة حتى تقضي وطرها، وذلك أن إنزالها قد يتأخر عنه، فالقعود عنه إذْ ذاك إيذاءٌ لها.

قال: والاختلاف يوجب التّنافر مهما كان الرجل سابقا، وإن سبقت هي فذلك لا يضر الزوج.

• سر اللذة في التوافق:

قال: والتوافق في وقت الإنزال ألذّ للمرأة حيث يشتغل الرجل بنفسه عنها، فإنها رُبّما تستحي منه!

قال الغزالي أيضا: إن من آداب الجماع أن ينحرفَ عن القِبلة، فلا يستقبلها إكراما لها، وأن يُقَدّمَ قبل الوقاع الملاعبة، والتّلطف بالكلام، والتقبيل، وذكر في ذلك حديث عن النبي ﷺ قال: «لا يقعَنّ أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة على البهيمة، وليكن بينهما رسول. قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: القبلة والكلام»[4].

• ثلاث تشير إلى عجز الرجل:

قال: وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث من العجز في الرجل: أن يلقى من يحب معرفَته فيفارقَه قبل أن يعرف اسمه، و نسبه، وأن يُكْرِمَه أخوه فيرد عليه كرامَته، وأن يقارب المرأة فيصيبها قبل أن يحادثها ويؤانسها فيقضي حاجَته منها قبلَ أن تقضي حاجتها منه»[5].

---

(١) العَجُز: مؤخرة الإنسان. والعَيْرين حماري الوحش ويطلق أيضًا العَيْر على الحمار الأهلي. والأنثى عَيْرة. وتتم العملية بينهما دون ساتر وقد تتبع الشيخ ناصر الدين الألباني سند هذا الحديث بما يوهنه، ورواه كذلك ابن ماجة في كتاب النكاح باب التستر عند الجماع.

(٢) رواه أبو يعلي وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات، كذلك قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٢٩٥ باب في آداب الجماع. وإعجالها بإنزاله قبلها يترتب عليه مضار قد تحول دون الوفاق فالله ما أبعد نظرة الإسلام وما أحكم توجيهه ونصحه للزوجين!

(٣) وطره: حاجته. ولمزيد من التفاصيل يرجع إلى كتاب إحياء علوم الدين للغزالي باب في آداب المعاشرة وما يجري دوام النكاح.

(٤) رواه أبو منصور الديلمي في سند الفردوس من حديث أنس وهو منكر.

(٥) رواه أبو منصور الديلمي من حديث أخصر منه، وهو بعض الحديث الذي قبله.

• متى يكره الجماع؟

قال : ويكره له الجماع في ثلاث ليالٍ من الشهر: الأولى، والوسطى، والأخيرة فإنه يقال: إن الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي .

قال : وقد رويت كراهة ذلك عن علي كرم الله وجهه، ومعاوية، وأبي هريرة -رضي الله عنهم .

• الجماع يوم الجمعة:

وذكر أن من العلماء من استحبّ الجماع يوم الجمعة وليلته تحقيقًا لأحد التأويلين في قوله ﷺ: «من غَسل واغتسل» الحديث [1] .

• الحديث عما يكون من الرجل وزوجته:

مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :«إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يُفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشرُ سِرَّها» [2] .

وفي رواية : «إن من أعظم الأمانات عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها» . أخرجه مسلم من طريق عمر بن حمزة العمري وقد ضعفه ابن معين وقال: ابن حنبل أحاديثه مناكير.

• المنهي عنه في ذلك:

قال عياض رحمه الله في الإكمال : قد جاء في النهي عن ذلك أحاديث كثيرة ووعيد شديد .

قال : وإنما المنهي عنه أن يصف ما يفعله، ويكشف الحال إذ هو من كشف العورة بالنظر والوصف.

وأما ذكر مجرد المجامعة والخبر عنه على الجملة فغير منكر إذا كان لفائدة كما قال عليه الصلاة والسلام : «وإني لأفعله أنا وهذه» .

• ذكر الجماع من غير فائدة ليس من مكارم الأخلاق!

وذكره من غير فائدة ليس من مكارم الأخلاق ولا من فعل أهل المروءات.

أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «صلّى رسول الله ﷺ في المسجد ومعه صَفّان من رجال وَصفّ من نساء، أو صفان من نساء، وصف من رجال، فلما قضى صلاتَه أقبل على الرجال فقال: هل منكم الرجلُ إذا أتى أهله فأغلق عليه بابه وألقى عليه ستره و استتر بستر الله؟ قالوا: نعم، قال: ثم يجلس بعد ذلك فيقول: فعلت كذا وفعلت كذا؟ قال: فسكتوا، قال: فأقبل على النساء فقال: هل منكن من تُحدِّث؟ فسكتن، فجثت فتاة كَعَاب على إحدى ركبتيها وتطاولت لرسول الله ﷺ ليراها ويسمع كلامها فقالت: يا رسول الله إنهم ليتحدثون وإنهن ليَتحدثنه، فقال: هل تدرون ما مثلُ ذلك؟ فقال: إنما مثل ذلك مثل شيطانة لقيت شيطانا في السِّكة فقضى منها حاجته والناس ينظرون إليه [3] وذكر بقية الحديث.

---

(١) رواه أصحاب السنن وابن حِبان والحاكم وصححه من حديث أوس بن أوس، وحسّنه الترمذي.

(٢) رواه مسلم في كتاب النكاح باب تحريم إفشاء سر المرأة، ويتكاشفان ويسلم كل واحد منهما نفسه للآخر راضيًا مطمئنًا.

(٣) رواه أبو داود في كتاب النكاح باب ما يكره من ذكر ما يكون من إصابته أهله حديث رقم ٢١٧٤ والكعَاب: التي بدأ ثَدْيَها للنّهود وهي كاعِبٌ أيضًا والجمع كواعب.

• النهي عن السباع (المفاخرة بالجماع):

الخطابي في غريب الحديث : عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن السباع، قال الخطابي: السباع المفاخرة بالجماع وإفشاء الرجل ما يجري بينه وبين زوجته فيه، مأخوذ من قولك سبعت الرجل إذا اغتبته [1] وذكرت فيه ما يكرهه لأن أمر الجماع مما يكره ذكره فيستر عن الناس أمره.. انتهى كلام الخطابي.

وفي الحديث : تأويل آخر سنذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى .

• ما ينبغي للزوج أن يُفرط في الوصف أو يبالغ في الذكر كما يفعل السفهاء!

ولا بأس أن يُسأل الرجل صبيحة بنائه كيف وجد أهله فقد جرت العادة بذلك.

وقد سأل مالك بن الحرث بن الأشتر عَلِيًّا رضي الله عنه عن ذلك؛ فأجابه وأخبره بالصّفة التي وجدها عليه. غير أنه يُسْتَحبُّ له إن وجد عَيْبا من قبيح أو غيره أن يستره، ويخبر بأمر عام أنه لم يَرْضَها، وأنها لم توافق أخلاقه. وإن وجد جمالا فائقا أو حسنا بارعا، أو أدبا بالغا فلا يُفْرط في وصفه، ويُبَالغ في ذكره كما يفعله كثير من السُّفهاء، فإن ذلك ضعفٌ ودَناءَة، ثم قد ينشأ عن ذلك مفاسد كثيرة .

• خطر!... خطر!... خطر... أن يصف الزوج زوجته للآخرين!

حكى أبو عثمان في كتاب النقائص قال: كانت لمعبد السليطي امرأة تسمى حميدة وهي من بني رزام ابن مالك بن حنظلة، وكانت فائقة الجمال، وكان زوجها معبد قد أخرجه الحَجّاج في بعث خراسان فكان يحدث جلساءه بجمالها ويظهر التشوق إليها حتى هَمّ أن يعصي ويرجع فوقعت محبتُها في قلب حوط بن سنان أحد بني العتيك، فقال لمعبد: إني أحب أن ألحق بالبصرة. فقال معبد: فإني أكتب معك كتابا إلى حميدة، فلما قدم عليها أتاها بكتاب زوجها معبد وقال: لا أدفعه إلا إليها فبرزت له فكلمها وأوقع في قلبها شيئًا مما في قلبه من محبتها ولم يزل يختلف إليها ويخدعها حتى هربت إليه؛ فاختبأت عنده حولا ، فدل عليها أهلها وقد حملت فأتى بها عبد الرحمن بن عبيد العبسي وكان على شرطة الحجاج فرجمها.

وقال الشاعر في ذلك :

رزامية كان السليطي معبد بها معجبا إذ لا يخاف الدوائر !

• حذار من وصف الزوجة!

المرأة وإن كانت عفيفة، ولم تكن ممن يُخشى عليها مثل هذا، وكان السامع لوصفها كذلك، فقد يبقى في نفسه شيء من أمرها يحمله على تربص الدوائر بها، وانتظار ما يمكنه التوصل إليها على الوجه المشروع من موت زوجها أو تطليقه لها، فيثب عليها ويتزوجها بخطبة زوجها فليحذر كل الحذر من هذا والله الموفق للصواب .

---

(١) ولعله مأخوذ من معنى الآية ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات:١٢]. وقال ابن الأثير في غريب الحديث: ومنه الحديث (أنه نهى عن السّباع) وهو الفخار بكثرة الجماع وقيل: هو أن يتسابّ الرجلان فيرمي كل واحد صاحبه بما يسوءه. يقال: سبع فلان فلانًا إذا انتقصه وعابه).

الباب التاسع

في الزينة والتطيب، وما يستحب للمرأة من ملازمة ذلك، وأنه من أعظم الأسباب الموجبة لحظوتها عند زوجها

فالنساء لُعب الرجال كما قالت عائشة رضي الله عنها : فليزين الرجل لُعْبَتَه ما استطاع فإن ذلك أدعى لشهوته وأملأ لعينه، وأظهر لمحاسن المرأة، وأدوم للألفة والمودة .

• بم تنال المرأة الحظوة عند زوجها؟

قال أبو الفرج في كتاب النساء، ما معناه: إن المرأة تحظى عند زوجها بعد تمام خُلقها وكمال حُسْنها بأن تكون مواظبةً على الزينة، والنظافة عاملة بما يزيد في حسنها من أنواع الحلى واختلاف الملابس، ووجوه التزين وبما يوافق الرجلَ، ويستحسنه منها في ذلك كله ولتحذر كل الحذر أن يقع بصر الرجل على شيء يكرهه من وسخ، أو رائحة مستكرهة أو تغير مستنكر من شعث أو غيره .

• كيف تتجمل المرأة لزوجها وبم؟

وقال أبو الريحان في فصل من كتابه المسمى بالجماهر ما معناه أيضًا: إنه يجب على المرأة أن تتجمل لبعلها وتزيد في تحسين نفسها ما أمكن، وذلك بتنظيف البشرة وتنقية المنافذ والحجرة وتزيين الألوان في البدن وفيما أحاط به، أما في البدن فتبييض البشرة بالغُمْرة [١] وتوريدها وخاصة إذا كان فيها صفرة أصلية أو عارضة، وبتسويك الأسنان وتخليلها، وتنقية العين وتكحيلها، وتقليم الأظافر وتسويتها. وأما فيما أحاط بالبدن فالثياب أول ذلك وأولاه لمُمَاسّتها إياه، فواجب أن تنظفها وتصقلها؛ لئلا يسرع تعلق الأدران [٢] بها، وليكن ذلك على اللون العام المحمود وهو البياض، أو تلونها بحسب الوقت وعادة أهل الزمان .

• بم تكون إثارة الشهوة، واستكمال المتعة؟

وقال التيفاشي في قادمة الجناح : أجمع علماء الفرس وحكماء الهند العارفين بأحوال الباه [٣] على أن إثارة الشهوة، واستكمال المتعة لا يكون إلا بالموافقة «التامة» من المرأة، وتَصَنُّعها لبعلها في وقت نشاطه [٤]، بما تتم به شهوته، وتكمل متعته من التودد، والتملق، والإقبال عليه، والمثول بين يديه في الهيئات العجيبة والزينة المستظرفة التي تحرك ذوي الانكسار والفتور وتزيد ذوي النشاط نشاطا.

---

(١) قال في الصحاح: الغُمْرةُ: طلاء يُتخذُ من الوَرْس. والورس نبت أصفر تتخذ منه الغمرةُ للوجه ويصبغ به الثوب وقد غَمَّرَت المرأة وجهها تغميرًا أي طلت به وجهها ليصْفُوَ لونُها.

(٢) الأدران: الأوساخ جمع درن.

(٣) قال الفيومي في مصباحه: والباه بالمد النكاح والتزوج ويقال أيضًا الباهة وزن العاهة. والباه بالألف مع الهاء. وابن قتيبة يجعل هذه الأخيرة تصحيفًا وليس كذلك بل حكاها الأزهري عن ابن الأنباري. وبعضهم يقول: الهاء مبدلة من الهمزة. يقال: فلان حريص على الباءة والباه والباه بالهاء والقصر. أي على النكاح. قال ابن الأنباري: الباءُ الواحدة والباه الجمع ثم حكاها عن ابن الأعرابي أيضًا. ويقال: إن الباءة هو الموضع الذي تبوء إليه الابل ثم جعل عبارة عن المنزل، ثم كنى به عن الجماع؛ إما لأنه لا يكون إلا في الباءة غالبًا. أو لأن الرجل يتبوأ من أهله أي يستكن كما يتبوأ من داره. وقوله ﷺ: (من استطاع منكم الباءة) أي مؤن النكاح. على حذف مضاف.

(٤) عمل ما من شأنه أن يهيئ لحواسه متعة كاملة ويثير لذاته.

• الزوجة المثالية كيف تتصرف؟!

قال : فالمرأة الفطنة الحسنة التَبَعّل [١] تراعي جميع هذه الأحوال وما سواها مِمّا يتم به مُتعة الزوج، وتتفقد من أحوالها ظاهرها وباطنها وشاهدها وغائبها ما تأمن معه أن يَسبق إلى طرف [٢] بعلها أو أنفه حالة يذمها منها أو يكرهَها من أجلها. وترى مع ذلك أن نظرها إنما هو لنفسها وأن الحَظ في تَصَنُّعها [٣] عائد عليها خشية أن يتبين لبعلها التقصير منها فتطمح نفسه إلى غيرها .

• أهم الأوقات وأجدرها بالمحافظة:

وقال : وأعظم محافظة الفَطِنَةِ على أحوال خلوتها، وأكثر احتفالها واستعدادها للأوقات التي يعتاد فيها قربه منها وهي في غالب الأوقات التي ذكرها الله تعالى في كتابه ونهى المماليك والوِلْدان عن الدخول عليهم فيها إلا بعد الاستئذان، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ﴾ [النور : ٥٨] .. انتهى ما ذكره التيفاشي .

• القرآن والزينة!

وقد ذكر الله الزينة في القرآن فقال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾[٤] [النور:٣١] الآية.

قالت أم شبيب: سألت عائشة رضي الله عنها عن الزينة فقالت: «هي الكحل والخِضاب» .

• الحض على التزين:

وروى معاوية بن يحيى : أن امرأة دخلت على عائشة رضي الله عنها فسألها رسول الله ﷺ عنها فقالت : هي فلانة زوجة فلان فقال رسول الله ﷺ : «إني لأكره أن تكون المرأة مَرْهاء ملداء» [٥] . مرهاء: ليس في عينيها كحل، ملداء: ليس في أطرافها حِنّاء. وورد الحض على التكحل بالإثمد في غير ما حديث، وقال فيه رسول الله ﷺ: «إنه خير أكحالكم الإثمد يجلو البصر وينبت الشعر» [٦] .

• وصية أب لابنته:

وقال عبد الله بن جعفر لابنته حين إهدائها على زوجها: عليك بالزينة واعلمي أن أزين الزينة الكُحلُ ، وأطيبَ الطيب الماءُ . وقاله أبو الأسود لابنته حين أهداها إلى الحَجّاج، وقال مثله أسماء ابن خارجة لابنته حين أهداها إلى الحَجّاج فاتفقوا جميعا على توصيتهن بالزينة وأكدوا منها الكحل.

---

(١) البعالُ: النكاح ومباشرة الرجل أهلَه، والمباعلة المباشرة. ويقال لحديث العروسين: بِعالٌ. والبعلُ والتَبَعُّل: حسن المعاشرة المراد هنا.

(٢) الطَرف العين؛ فلا تقع عينه منها على قبيح ولا يشم إلا أطيب ريح.

(٣) المقصود: أن العائد والأثر والنتيجة لهذا التهيؤ وذلك الإعداد والاستعداد يكون من نصيبها أولًا، فهي التي تجني ثمرة ذلك استمرارًا للزوجية وإبقاء عليها.

(٤) جاء النهي عن إبداء الزينة في آية واحدة [النور:٣١] ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ ، ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ ﴾ . وفيها: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ .

(٥) قال ابن الأثير في غريبه: (فيه) أنه لعن المَرْه وهي التي لا تكتحل، والمرْه مرض في العين لترك الكحل. (ومنه حديث علي) خمص البطون من الصيام مُرْه العيون من البكاء. هو جمع الأمره. وقد مرهت عينه مَرَهًا).

(٦) في سنن ابن ماجة عن ابن عباس كتاب الطب باب الاكتحال بالإثمد، وأخرجه الترمذي وحسنه، وابن حبان حديث رقم ٦٠٤١، والحاكم في مستدركه، وأبو نعيم في الحلية.

• حضُ النساء على الخِضاب:

وكذلك أيضا حض النساء على الخِضاب وكره النبي ﷺ أن تكون المرأة يدها كيد الرجل. فروى الأوزاعي عن معاوية بن سلمة: أن رسول الله ﷺ رأى امرأة لا تختضب وقد جاوزت السبعين فقال: «لا تَدع إحداكن يدَها كأنها يدُ رجل»[1] قال: فما زالت تختضب وقد جاوزت السبعين حتى ماتت. انتهى. وأخرج أبو داود عن صفية بنت عصمة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أومأت امرأة من وراء ستر بيدها كتاب إلى النبي ﷺ فقبضَ ﷺ يدَه فقال: ما أدري أيدُ رجل أم يدُ امرأة، فقالت: بل امرأة فقال: لو كنتِ امرأةً لغيرتِ أظفارَك بالحِنّاء»[2] صفية بنت عصمة مجهولة لا تعرف.

• الخضاب والنقش والتطريف:

البزار عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن امرأة أتت النبي ﷺ تبايعه ولم تكن مختضبة فلم يبايعها حتى اختضبت». ليث بن أبي سليم راويه ضعيف، والمرأة هي هند بنت عتبة جاء ذلك مبينا في حديث آخر.

عبد الملك بن حبيب قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينهى عن التطريف[3] والنقش ويأمر بالخضاب.

قال عبد الملك: وليس العمل على ذلك فقد جاءت الرخصة فيه، وقد دخل النبي ﷺ على امرأة من الأنصار وهي تختضب فقال: هلا صنعت يا أم فلان كذا: ووصف بأصبع يده اليمنى على كفه اليسرى كأنه يريد النقش.

قال بعضهم: رأيت قَيْنة خضبت يدها بالحمرة ونقشت فيها بالسواد. شعرًا:

ليس حسنُ الخِضاب زَيْنَ كفِّي ... حسنُ كفّي مزينٌ للخضاب

النسائي: عن كريمة بنت هَمّام أن امرأة أتت عائشة رضي الله عنها: فسألتها عن خضاب الحِنّاء فقالت: لا بأس به! ولكني أكرهه؛ لأن رسول الله ﷺ كان يكره ريحَه.

• التوفيق بين الأحاديث:

وليس هذا الحديث بمناقض لما تقدم من الأمر بالخضاب، فإن كراهة النبي ﷺ لريحه ليس أمرا شرعيا وإنما هو طبعي، والطباع تختلف وإنما الناس متعَبَّدون باتباعه ﷺ في الأمور الشرعية.

• السواك من تمام الزينة إلى جانب ما فيه من فوائد:

ويلحق بما ذكرناه من الكحل والخضاب السواك وهو جامع بين النظافة والزينة، وقد ورد الحضّ على ذلك في الأحاديث النبوية، وتكلم الأطباء على منافعه: فذكروا أنه يجلو الأسنان ويُقويها إذا كان باعتدال، ويشد الغمور ويمنع الحُفَر، ويطيب النَكْهَة، ويُطلق حُبْسَة اللسان[4].

ويروى عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت السواك فقالت: يجلو البصر، ويذهب بالحفر،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٣٨١، ٦/ ٤٣٧.

(٢) أومأت: أشارت، والحديث ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٦٢٨ وقال: هذا حديث منكر.

(٣) قال الفيومي في مصباحه: وطرّفت المرأة بنانها تطريفًا خضبت أطراف أصابعها. وقد كان ذلك بالحناء وغيرها أما الآن فبالمانيكير.

(٤) قال في المصباح: الحُبسة بوزن غرفة وقفة وهي بخلاف الطلاقة.

ويرضي الرب، وتفرح به الملائكة، وتضاعف به الحسنات، يعني في الصلاة، فقد جاء في الحديث: «صلاة بسواك خير من سبعين صلاة بلا سواك»[١].

قال أبو الفرج في كتاب النساء: «لم يكن في عهد النبي ﷺ أكثر استعمالا للسواك من نسائه ﷺ».

• السواك والمضمضة:

قالوا: وفي فم الإنسان خصلتان من خصال السنة كلتاهما مصلحة له: السواك والمضمضة، وليس في الأرض دواء أبلغ في صحة الأسنان وبقائها من المضمضة فإن الماء مَصّاص وجَلّاء وطَهُور.

• كيفية الاستياك:

وجاء في الحديث: «استاكوا عَرْضا»[٢].

تحَرزًا مما يعرض للثة من التقلع إذا استيك طولا.

• بم يستاك؟

وينبغي أن يستاك بخشب فيه قبض ومرارة.

• أحسن ما يستاك به:

وسواك الأراك من أحسن ما يستاك به لمن قصد نقاء الأسنان خاصة.

• صبغ اللثة والشفة:

ومن قصد مع ذلك صبغ اللثة أو الشفة فقشر أصول الجزر.

• التخلل:

ويتبع السواك التخلل[٣] وهو أيضا ضروري للأسنان فإنه إن لم يخرج ما في تضاعيفها تغيرت رائحته، وحدث فساد في أصولها، فينبغي أن يخرج ذلك من غير إلْحَاح، فقد نهى عن التخلل بالقصب[٤] وبالريحان وبالحَلفاء فأما الحلفاء والقصب فقيل: إن فيهما سُمِّية تضر بالأسنان. وأما الريحان فلا أعلم علة النهي عنه. ولأبي الجوائر الواسطي في سواك قال البازخري في دمية القصر: أنشدنيه لنفسه وهو من أحسن ما سمعته في ذلك:

هنيئا على رغْـمـي لِـعُـودِ أراكـةٍ تسوك به الـذّلْـفَـاء مَبْسَمَها العَذْبا

---

(١) الذي ذكره العجلوني تحت رقم ١٦٠٤ - (صلاة بسواك خير من سبعين صلاة بغير سواك) وقال رواه البيهقي عن عائشة مرفوعًا وقال: إنه غير قوي الإسناد. وساقه أيضًا من طريق الواقدي عن عائشة أيضًا بلفظ (الركعتان بعد السواك أحب إليّ من سبعين ركعة قبل السواك) وضعفه الواقدي. وعزاه في الدرر للحاكم في مستدركه، ولأبي يعلي والحاكم عن عائشة وللديلمي عن أبي هريرة كلهم بلفظ: (صلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بلا سواك).

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفاء برقم ٣٣٨ بلفظ (استاكوا عرضًا واذهنوا غبًّا، واكتحلوا وترًا). وقال: قال النووي في شرح المهذب: هذا الحديث ضعيف غير معروف. انتهى. ونقل في اللآلىء عن ابن الصلاح وأقره أنه قال: بحثت عنه فلم أجد له أصلًا وليس له ذكر في شيء من كتب الحديث. وعقد البيهقي بابًا في الاستياك عرضًا، ولم يذكر فيه حديثًا يحتج به. انتهى. ومثله في المقاصد إلا أنه زاد: وروى أبو داود مرسلًا عن عطاء ابن أبي رباح قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا شربتم فاشربوا مصًّا، وإذا استكتم فاستاكوا عرضًا).

(٣) قال ابن الأثير في غريب الحديث نقلًا عن أبي موسى وفيه: (التخلل من السنة). وهو استعمال الخلال لإخراج ما بين الأسنان من الطعام.

(٤) القصب: كل نبات يكون ساقه أنابيب وكعوبًا. ونسميه في مصر (الغاب). أما الحلفاء نبات معروف ينبت على جوانب الترع ومصارف الماء ويكاد يسد مجراها.

لئن شعبت منه لقد زار ثغرها أراك بسيسا فانثنى صندلاً رطبا

وأهدى أبو الفتح كشاجم لبعض القيان سِواكًا وكتب إليها :

قد بعثناه لكي تجلي به واضحا كاللؤلؤ الرّطب أغر
طاب منه العَرْفُ حتى خِلْتُه كأن من ريقِك يُسْقَى في السحر
قسما بالله لو يعلمُ ما حَظِّه منكِ لأثنى وشكر
ليتني المهديَّ فيروي عطشي بردُ أنيابك في وقت السحر

• التزين بالطيب:

وأما التطيّب : فالشرع والطبع متفقان على استحسانه وقد قال رسول الله ﷺ : «حُبِّبَ إليّ من دنياكم ثلاث: فذكر النساء والطيب» (١).

وفي حديث آخر : «أربع من سنن الإسلام الخِتَانُ والتَّعَطُّر والسِّواك والنّكاح» (٢).

وأخرج أبو داود من حديثه عن أنس أن رسول الله ﷺ كان له سُكّة (٣) يتطيب منها.

وفي بعض الأحاديث : «خير نسائكم العطرة المطرة» (٤).

قال الخطابي في غريب الحديث : العطرة : التي تكثر استعمال الطيب والمطرة: التي تكثر الاغتسال بالماء .

• حكم التطيب وفوائده:

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى في الإكمال : الطِّيب مندوب إليه في الشرع لمن قصد به مقاصد الشرع من تعظيم أيام الجمع والأعياد مثلا وأن يدفع عن نفسه ما يكره من الروائح الخبيثة، وأن يدخل على المؤمنين بشم ذلك رائحة طيبة وأن يستعمل ما يوافق الملائكة؛ فقد ورد أنهم يتأذون بالرائحة الكريهة ، وأن يظهر نظافته ومروءته بين إخوانه وأهله، وأن يقوي دماغه وقلبه لتأثير الطيب في تقوية هذه الأعضاء، وأن يستعين بذلك على ما يحتاج إليه من أمور النساء، فله في ذلك من التأثير ما لا يُنْكَر. وقال أبو ياسر البغدادي في رسالته المعروفة «برسالة الطيب» وذكر منافع الطيب على اختلاف أنواعه فقال: وبالجملة فالطيب كله من أعظم لذات البشر وأقواها لدواعي الوطء وقضاء الوطر. قال: وكذلك قال مُسَيْلمة عند اجتماعه (٥) بسجاح: استكثروا لها من الطيب فإن المرأة إذا شَمّتِ الطّيبَ ذكرت البَاه!

• مضرب المثل ومورده:

وقولهم في المثل : «لا عِطْرَ بعد عَروس» يضرب لتأخير الشيء عن وقت الحاجة.

---

(١) قال في مختصر المقاصد: (حبب إلي من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة) صحيح. وزيادة (ثلاث) باطل لا أصل له.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٤٢١، والترمذي في سننه كتاب النكاح باب ما جاء في فضل التزويج والحث عليه وحسنه.

(٣) جاء في غريب الحديث لابن الأثير: وفي حديث عائشة: كنا نضمد جباهنا بالسُّك المطيَّب عند الإحرام. هو طِيبٌ معروف يضاف إلى غيره من الطيب ويستعمل.

(٤) ذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث وقال: هي التي تنظف بالماء أخذ من لفظ المطر، كأنها مُطرت فهي مَطِيرة: أي صارت ممطورة مغسولة، وابن الجوزي في غريب الحديث ٢/ ٣٦٣، وقال: هي التي تتنظف بالماء.

(٥) كلاهما ادعى النبوة ووحدا دعوتهما حين التقى بها مسيلمة في خيمته ووافقت على الزواج منه!

وقال بعضهم : وأصل المثل أن رجلا تزوج امرأة فوجدها شعثة [١] تفلة، فقال لها: أين عطرك؟ فقالت: خبأته لوقت غير هذا فقال: لا عطرَ بعد عروس .

• التحلي بأنواع الذهب والفضة وغيرهما من الجواهر:

وأما التحلي بالذهب والفضة وأنواع الجواهر فبعضهم يستحسنه من المرأة، وبعضهم يفضل العاطل [٢] على المتحلية .

• لطائف وطرائف عن جارية ابن الجهم:

قال ابن الجهم : اشتريت جارية فكنت إذا أردت أن أُحَلّيها تأبى ذلك وتقول: إنه يغطي المحاسن كما يستر القبائح.

وحكى ابن الجوزي عنه في الأذكياء قال: قلت لهذه الجارية: كم بيننا وبين الصبح قالت: عِنَاقُ مُشْتَاق!

قال: ونظرت يوما إلى الشمس كاسفة فقالت: احتشَمَتْ من مَحاسني فانْتَقَبَتْ [٣] .

قال : وقلت لها ليلة: تعاليْ نجلسْ في هذا القمر، فقالت: ما أوْلَعَك بالجمع بين الضّرائر. انتهى .

• من الجمال ما يفضح الدّر!

أبو الفرج في كتاب النساء : كست سُكَيْنَة بنت الحسين ابنةً لها دُرًا كثيرا وقالت: ما كسوتُها إياه إلا لتفضَحَه بمحاسنها انتهى ما ذكره أبو الفرج .

أخذ ذلك مالك بن أسماء فقال :

وإذا الـــدرُّ زانَ حُـــسْنَ وُجـــوهٍ ... كـــان لـلـدُّرِّ حُـسْـنُ وجـهـك زَيْـنَـا

وتَـزِيـديـن أطـيـب الـطـيـب طيبًا ... أن تـمَـسِّـيـه أيـــنَ مـثـلُـك أيْـنَـا

وفي قصيدة ابن مطير :

مُـخَـصّـرة الأوســاط زانـت عقودَها ... بـأحـسـن مـمـا زيـنـتـهـا عـقـودُهـا

وقال يزيد بن معاوية في أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر :

إنـهـا بـيـن عـامـر بـن لـؤي ... حـيـن تـدعـى وبـيـن عـبـد مـنـاف

ولـهـا فـي الأطـيـبـيـن جـدود ... ثَـمّ نـالـت ذَوائـبَ الأخـلافِ

لا تـراهـا فـي الـتـعـطـل والـبـذ ... لـة إلا كـــدُرَّةِ الأصـــداف

وكان يزيد قد بلغه عن أم كُلثوم هذه حسنٌ فائق، وجمال رائق فوقعت في قلبه، فكتب إلى أبيها يخطبها إليه وكان قد قلّ ما بيده، وكثرت ديونه، فزوجها به، وكان قبل ذلك منعه ورَدّه، وهداها إليه إلى دمشق فلما رآها ازداد بها إعجابا ولها حبا.

وأنشد الحُصْري في الزّهر لبعضهم :

---

(١) شعثة: مغبرة الرأس.

(٢) العاطل: غير المتزينة.

(٣) لبست نقابًا يغطي وجهها حال كسوفها!

تَعَطَّلْنَ إلَّا مِنْ مَحاسِنِ أَوْجُهٍ فهُنَّ حَوَالٍ في الصِّفَاتِ عواطلُ[1]
برزن عفافًا واحتجبن تسترا وشِيبَ بقولِ الحَقِّ منهن باطلِ
فذو الحلم مُرْتادٌ وذُو الجهل طامعٌ وهن عن الفحشاء جِيدٌ نواكِلُ

وقال العزيل بن الفرج فيما يتطرف طرفا من هذا المعنى :

لعب النعيمُ بهن في إظلاله حتى لبسنَ ثيابَ عيشٍ غافلِ
يأخذن زينتَهن أحسن ما ترى فإذا عطلن فهن غير عواطلِ

ومن أبيات الحماسة :

إذا ابتذلت لم يُزْرِها تركُ زينةٍ وفيها إذا ازدانت لدى نيقة حَسَبُ

النيقة : التنوق ، وهو التحسين والتزين .

• كراهية العطل:

قال عبد الملك بن حبيب : «كان رسول الله ﷺ يأمر النساء أن يجعلن في أيديهن، وأرجلهن شيئًا وكان يكره العطل» .

حصين بن عبد الرحمن عن أبي عطية قال : أتانا كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه «أن حَلُّوا نساءكم الفضة، ولا تحلوهن الذهب، وعَلّموهن سورة النور»، وذلك من عمر كراهته للترف والسَّرَف، وإلا فلا فرق بين تحلي الذهب والفضة وقد تقدم الكلام على هذا الأثر.

ومن باب الزينة لباس المصبغات بالحمرة والصفرة : وكانت العرب تستعمل ذلك للعروس عند إهدائها، وعنهم أخذها الناس، ولملازمتهم استعمال ذلك صارت ثياب العروس عندهم عَلَمًا على الثياب المصبغة.

وقالوا في قول الأسدي :

أَلْبَسْتَ ثوبَ العروسِ سَرَائهم من بعد ما لبسوا ثياب الآيب

قالوا: أراد أنه ألبسهم الدماء بعد أن كان لبّسهم الدروع وهي ثياب الذي آب من الخطيئة إلى التوبة، يعني داود عليه السلام .

القصب والمعصفر:

عبد الملك بن حبيب عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص قالت: أدركت نساءً من أزواج النبي ﷺ وما جُلّ لباسهن إلا العصب والمعصفر. [العصب : نوع من الوشم] .

وقال بشار :

فخذي ملابسَ زينةٍ ومصَبِّغاتٍ هنّ أفخرْ

---

[1] العاطل من خلا جيدها من القلائد وقد يستعمل العطل في الخلوّ من الشيء يقال: عطل الرجل من المال والأدب. وقد أورد زهر الآداب أربعة أبيات مع اختلاف في قوله: وشيب بحق القول. حَوالٍ: جمع حالية والعواطل جمع عاطل وهي التي تعطلت من الحلي. شِيبَ مُزج. جِيدٌ: جمع جَيداء وهي التي تحيد عن مواطن التهم- والنواكل: جمع ناكلة وهي النافرة من الفحش.

وإذا خرجتِ تقنّعي بالحُمْرِ إن الحُسْنَ أحْمَرْ

• ملحق بذكر الزينة:

ولنُلْحق بذكر الزينة ذكر «النّورة». يقال : إن الجن أول من اتخذوها لبلقيس !

• بلقيس وسليمان عليه السلام وما كان من أمر شعر ساقيها!

ذكر أصحاب القصص أن سليمان عليه السلام لما رآها، وكان ما قصه الله تعالى من قصتها، وأتت إليه. قالت الجن: إن رآها سليمان عليه السلام، واستحسنها وتزوجها فأولدها غلاما لن نبرح من العبودية آخر الدهر، وكانت بلقيس شَعْرَاءَ الساقين فبنوا صَرْحًا مُمَرّدا من قوارير وصوروا فيه حيوانَ البحر وجلس سليمانُ في أقصاه على كرسي واستدعى بلقيسَ لتراه، وتتعجب، وإنما أراد الجن بذلك، ليظهر لسليمان شعر ساقيها فتنبو عينه عنها فلما رأته بلقيسَ حسبته لجة وكشفت عن ساقيها كما قال الله تعالى لتخوضه فرآها سليمان فأعجبه حُسنُها واستقبح شعرَها فعزم على بعض الجن أن يعرفه بما يُذْهِبُ ذلك؛ فاخترع النّورَة [1] فاطّلَت بها وتزوجها سليمان بعد أن أسلمت معه. وهذا إخبار أهل القصص .

• اللذات أربع:

ويقال : إن اللذات أربع : فَلَذّة ساعة وهي الجِماع. ولذة يوم وهو الحَمَّام. ولذة جُمعة وهي النُّورة. ولَذّة حَوْل وهي تَزَوُّج البكر .

• ألذ الجماع:

وقالوا : ألذ الجماع بالمرأة في يوم انتيارها ، والرجل بعد ثلاث من استحداده [2]. وحكى المبرد في الكامل عن يزيد بن المهلب قال : وددت لو كانت طلْية نُورة بمائة ألف، ولو كان فرج المرأة في جَبْهَةِ الأسد حتى لا يَطلى إلا كريمٌ، ولا يَصِلُ إلى الفَرْج إلا شُجَاع.

• هل استعمل الرسول ﷺ النورة؟

أبو داود في كتاب المراسيل : من رواية اللؤلؤي والرملي عن الفضيل بن الحسين الجحدري عن عبد الواحد عن صالح بن صالح عن أبي معشر أن رجلا نَوّرَ رسول الله ﷺ فلما بلغ العانة كف الرجل فنوّر رسول الله ﷺ نفسه كذا جاء في هذا الحديث [3]. وجاء في حديث آخر: «أن رسول الله ﷺ لم يتَنوّر هو ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان» [4] أخرجه أبو داود أيضا .

• النورة في كتب اللغة:

قال ابن السيد في الاقتضاب: يقال من النورة : انتار، أو انتور انتوارًا. قال: وكان أبو العباس ثعلب

---

(١) النُورَة: حجر الكِلْس ثم غلَبت على أخلاط تضاف إلى الكِلْس من زرنيخ وغيره، وتستعمل لإزالة الشعر، وتَنَوّر اطّلى بالنُّورة، ونوّرْته: طليْته بها. قيل عربية، وقيل معرّبة. قال الشاعر:

فابعث عليهم سنةً قاشورة تَحْتَلِقُ المال كحلق النورة

ومثلها: المعاجين التي تستخدم لإزالة الشعر، ويشعر الإنسان بإنعاظ عند نبات الشعر من جديد بعد الإزالة أو الحلق.

(٢) الاستحداد: إزالة الشعر بالحديدة (الموسى). واستَحدَّ: أحَدّ شفرته.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب المراسيل باب ما جاء في النورة ص٤٩.

(٤) انظر المرجع السابق ص ٥٠.

ينكر «تَنَوّرَ». قال: ويقول إنما يقال ذلك لمن نظر إلى النار. قال: ويرد عليه ما أنشده أبو تمام في الحماسة لعبيد بن قرظ الأسدي وكان دخل إلى الحضر مع صاحبين له، فأحب صاحباه دخول الحمام فنهاهما عن ذلك، فأبيا إلا دخوله، ورأيا رجلا يتنور، فمالا عنه، فأخبرا بخبر النورة فاستعملاهما، فلم يحسنا، فأحرقتهما، فقال عبيد:

لعمري لقد حذّرتُ قرطا وجاره ... ولا ينفع التحذيرُ مَن ليس يحذَرُ
نهيتُهما عن نورةٍ أحرقتهما ... وحمّام سوءٍ ماؤه يتَسَعَّرُ
أجدكما لم تعلما أن جارنا ... أبا الحِسْلَ بالصحارى لا يَتَنَوَّرُ
فما منهما إلا أتاني موقعا ... به أثَرٌ من مَسِّها يتقشّرُ
ولم يعلما حمّامنا في بلادنا ... إذا جعل الحرباء بالجدل يخطر

أبو الحِسل: كنية الضب.

قال ابن السيد: يقال: استحَدّ الرجلُ واستَعَان إذا حلق عانته والأول: من لفظ الحديد. والثاني: من لفظ العانة.

قال: ويسمى شعر العانة: الطؤطؤه، والشعرة بكسر الشين وسكون العين.

وفي الحديث: «أن رجلا اشتكى شدة الغُلْمة، فأُمِرَ بتوفير شعْرَته فاربأن الغُلْمة شهوة[1] النكاح» واربأنّ أي سكنت غلمته. انتهى ما ذكره ابن السيد.

● **الاستحداد:**

محارب بن دثار عن جابر أن رسول الله ﷺ نهى أن يطرق الرجل أهله ليلا، وقال: «التمتشط الشَّعثة، وتستحد المغيبة»[2] قد تقدم آنفا معنى الاستحداد. وكان النساء يستعملن الحديد في إزالة ذلك منهن؛ ولذلك قالت الزّباء في خبرها المشهور، وقد وفرت عانتها: أما ذلك ليس من عدم الموسي. والمغيبة: التي غاب عنها زوجها، وقد بين الرسول ﷺ في هذا الحديث العلة التي نهى عن الطروق من أجلها، وهي الإتيان ليلا للمسافر. وفي حديث آخر «نهى أن يطرق الرجل أهله» أي يتخونهم أو يلتمس عوراتهم؛ فهذا من باب آخر. نهوا عن طروق النساء سترا عليهن لئلا يطلع منهن على ريبة.

وأنشد الحصري في كتاب «نور الطرف» لابن الرومي:

أصبحت الدنيا تسر من نظر ... بمنظر فيه جلاء للبصر
أثنت على الله بآلاء المطر ... واهاً لها مُصطَنَعًا لقد شكر
والأرض في روض كأبراد الحبر ... تبرّجت بعد حياءٍ وخَفَر
تبرُّج الأنثى تصدت للذكر

---

(1) قال ابن الأثير في غريب الحديث: ومنه الحديث: (خير النساء الغَلِمَةُ على زوجها العفيفة بفرجها).

(2) أخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق باب النهي عن أن يطرق الرجل أهله ليلًا.

الباب العاشر

في زينة الرجل وما يستحب له من التهيؤ لزوجته كما يحب أن تتهيأ له. والنهي عن إكراه المرأة الحسناء على تزوج الرجل القبيح. والحدثة على تزوج المسن

• الرسول ﷺ يسوي شعر رأسه ولحيته:

مكحول : عن عائشة رضي الله عنها قالت كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه، فخرج يريدهم، فجعل يُسَوِّي شعر رأسه ولحيته، قالت: فقلت: يا رسول الله وأنت تفعل هذا؟ قال: «نعم إذا خرج الرجل إلى إخوانه فَلْيُهَيِّئ من نفسه فإن الله جَميل يحب الجمال» [1]. أبو الفرج في كتاب النساء : في حديث رفعه قال : قال رسول الله ﷺ: «ليتهيأ الرجل لزوجته كما يُحبّ أن تتهيأ له» .

• قالت: خلصني منه يا أمير المؤمنين!

ومن الكتاب المذكور قال : أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب بزوج لها أشعثَ أغْبَرَ فقالت: يا أمير المؤمنين لا أنا ولا هذا [2]؛ خلصني منه فنظر عمر فعرف ما كَرِهَت منه، فأشار إلى رجل فقال : اذهب به فحَمِّمْه، وقَلِّم أظفاره، وخُذ من شَعْرِه، وأْتِني به، فذهب ففعل ذلك ثم أتى فأومأ [3] إليه عمر أَنْ خُذْ بيدها، وهي لا تعرفه فقالت: يا عبد الله، سبحانَ الله!! أبين يَدَيْ أميرِ المؤمنين تفعل هذا؟! فلما عرفته ذهبت معه، فقال عمر رضي الله عنه: هكذا فاصنعوا معهن فوالله إنهن لَيُحْبِبْن أن تَتَزَيَّنُوا لَهُنّ كما تُحِبُّون أن يَتَزَيَّن لكم .

• ولهن مثل الذي عليهن:

وقال بعض المفسرين : في قوله تعالى : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[البقرة: ٢٢٨].

قال : يتزَيّنُ الرجل للمرأة، كما يُحِبّ أن تَتَزَيّنَ له، ويروي ذلك عن ابن عباس [4] رضي الله عنه.

• إكراه الفتيات على الرجل القبيح!

الجوزي في كتابه المؤلف في أخبار عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسنده عن هشام بن عُروة عن أبيه قال: قال عمر رضي الله عنه : لا تكرهوا فتياتِكم على الرّجل القبيح؛ فإنهن يُحْبِبْن ما تُحِبون.

• لولا خشية الله فرّت!

أبو الفرج في كتاب النساء قال : سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأة في الطواف تقول :

فمنهن من تُسْقَى بَعذْب مُبَرّد ... نُقَاخ فتلكم عند ذلك قَرَّتِ [5]

---

[1] ذكره صاحب الكنز الثمين بلفظ (إن الله جميل يحب الجمال) حديث رقم ٦٧٤.

[2] لا نلتقي ولا نتفاهم!

[3] أومأ: أشار.

[4] أخرجه وكيع وعبد بن حميد وابن أبي حاتم، انظر الدر المنثور ١/ ٢٧٦، وابن جرير الطبري في تفسيره ٢/ ٢٧٤، وذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ٢٧١.

[5] قال في الصحاح: النقاخ (بالضمّ): الماء العذب الذي يَنْقَخُ الفؤاد بَبَرْدِه.

ومنهن من تُسْقَى بأخْضَر [1] آجنٍ أُجـــاجٍ فـلـولا خشـيـةُ الـلـه فَـرّتِ

ففهم عمر رضي الله عنه شكواها فاستدعى زوجها فرآه رجلًا قبيحا وخيره بين خمسمائة درهم أو جارية من الفيء على أن يطلقها، فاختار خمسمائة درهم؛ فأعطاه إياها فطلقها .

• زواج غير الكفء:

ابن عبد المؤمن في شرح المقامات قال : بَيْنَا معن بن زائدة يوما جالسا إذ أتته امرأة من بني سهم من أحسن الناس وجها فقالت: أصلح الله الأمير إن عمي زوّجني من ليس لي بكُفْء، فقال: عَليّ [2] بزوجها فأدخِل عليه رجل من أقبح الناس فقال: ما هذه [3] منك؟ قال: امرأتي، قال: خَلِّ سبيلها [4] ففعل الرجل ذلك فأطرق معن ساعة ثم قال :

أَتَـيْـتَ بها مثلَ المهاةِ [5] تسوقُها فيا حُسْنَ مجلوبٍ ويـا شـرَّ جَالب!
لعمري لقد أصبحتَ غير مُحَبَّب إلـيـهـا فـفـارقـهـا فـــراق الأجـانـب

قال صاعد في كتاب الفصوص : وجدت هذين البيتين بخط إسحاق بن إبراهيم الموصلي وهما لبعض العرب.

• يدب على أحشائها كل ليلة:

أنشد المبرد في الكامل لبعضهم :

ألا يـا عـبـادَ الـلـه قـلـبـي مُـتَـيَّـم بأحسن مـن صَـلّـى وأقبحِهم فِعلاَ
يـدبّ عـلـى أحـشـائِـهـا كـلَّ ليلة دَبيب القَرنبي بات يعلو نقي سهلا [6]

وأنشد غيره :

ألا رُبّ حـوراء المحاجرِ طَفْلَةٌ [7] تُـسـاق إلـى وَغْـدٍ مـن الـقـوم تِنْبَالِ
يـقـولـون : جـرتـهـا إلـيـك قـرابـةٌ فويحَ العذَارى من بني العمِّ والخالِ

• بليت بوغد!

وأنشد أبو علي في الأمالي :

أيـا عَـمْـرُو كَـمْ مـن مُـهـرةٍ عربيةٍ من الناس قد بُلْيت بـوَغْـدٍ يَقُودها
يسوسُ ومـا يَـدري لها من سِياسةٍ يُـريـد بها أشـيـاءَ ليست تُريدها

أراد بُلِيَت (بسكون اللام) تخفيفا. وبعضهم يرويه بلّت بتشديد اللام من قولك بَلّ فلان بكذا، أي صلي به .

---

(١) الأخضر الأسود. والآجن- المتّسخ يقال: أجن أجنًا اتسخ. والأجاج: شديد الملوحة.
(٢) عليّ بزوجها: أحضروه.
(٣) أي صلة بينكما؟ وما علاقتك بها؟
(٤) أطلق سراحها.. طلقها.. ارفع يدك عنها.
(٥) المهاة: أنثى بقر الوحش ويضرب بها المثل في سعة العيون ونصاعة البياض. ولعَمْري: قسم قال في المصباح: وتدخل لام القسم على المصدر المفتوح (عَمْر) فتقول: لعَمْرُك لأفعلن والمعنى: وحياتك وبقائك.
(٦) القَرنبي: دويبة تشبه الخنفساء. والنقي: الكثيب.
(٧) حوراء المحاجر: واسعة العينين جميلتهما، طفلة: بفتح الطاء ناعمة رقيقة.

• أبشر فإني وإياك في الجنة!

الجوزي في الأذكياء قال : دخل عمران بن حِطّان على امرأته حمدة وكانت تزينت وكانت امرأة جميلة وكان عمران قصيرًا قبيحا فلما نظر إليها ازدادت في عينه حسنا، فلم يستطع أن يصرف بصره عنها، فقالت: مالك؟ فقال: أصبحت والله في عينّي جميلة، فقالت له: أبشر فإني وإياك في الجنة، قال: من أين علمت هذا؟ قالت: أعطيتَ مثلي فشكرتَ وأعطيتُ مثلكَ فصَبَرت والشاكرون والصابرون في الجنة فخَجِلَ ونهاها أن تعود لمثل ما قالت [١]!.

• قالت: وماذا تريد مني وفيّ شيء لا أراك ترتضيه؟!

الأبي في نثر الدرر : قال بعضهم خرجت إلى ناحية الطّفاوة [٢] فإذا أنا بامرأة لم أر أجمل منها فقلت: أيتها المرأة، إن كان لك زوج فبارك الله له فيك وإلا فأعلميني، قال: فقالت له: وما تريد مني، وفيَّ شيء لا أراك ترتضيه؟ قلت: وما هو؟ قالت: شيب في رأسي، قال: فثَنَيْت عِنان دابتي [٣] مُوَلِّيا عنها، فاسترجعتني وقالت، والله ما بلغتُ العشرين وهذا رأسي! فكشَفَت عنه فإذا عناقيد كالحُمَم [٤]، ولكني رأيت في رأسك مثل ذلك فأحببت أن تعلم أنّا نكره منكم ما تكرهون منا!!

• التوافق في السن!

الخطابي في غريب الحديث قال : قال عمر : «لا يَنْكِحُ أحدُكُم إلا لُمَتَه من النساء» مُخفّفًا [٥] من كان في سنه كأنه كره للمسن أن يتزوج الشابة وللشاب أن يتزوج المسنة .

• إنها صغيرة!

عبد الله بن يزيد عن أبيه قال : «خطب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ فقال لهما رسول الله ﷺ : إنها صغيرة، وخطبها على رضي الله عنه فزوجها منه» [٦] أخرجه النسائي وترجم عليه في باب تزوج المرأة مَنْ كان مثلها في السن .

قال بعضهم : كان سن فاطمة إذ ذاك خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وسنَّ على رضي الله عنه إحدى وعشرين سنة وأربعة أشهر وكان بين علي وأبي بكر في السن ثماني عشرة سنة وبين علي وعمر ثمان سنين.

• إني أخشى من الشيخ أن يدنس ثيابي!!

المراعيني في بعض تآليفه قال : خطب الحارث الأسدي إلى علقمة الطائي ابنته وكان الحارث شيخًا فقال علقمة لامرأته: انظري ما تقول ابنتك في ذلك! فقالت: أيْ بُنَيّة، أيُّ الرجال أحبُّ إليك؟

---

(١) انظر الأذكياء لابن الجوزي - إصدار مكتبة القرآن- باب طرف من أسماء النساء المتفطنات ص٢٢٦.

(٢) الطفّاوة: حي من قيس عيلان.

(٣) كناية عن العودة والرجوع عما اعتزمه! والعِنان بالكسر سير اللجام الذي تمسك به الدابة. وهما طاقا: مستويان.

(٤) الحُمَم: الفحم، والرماد، وكل ما احترق من النار، واحدة حممة. والمراد أن شعرها كأنه عناقيد سوداء!

(٥) جاء في النهاية في غريب الحديث والأثر: (لُمَة) في حديث فاطمة أنها خرجت في لُمَةٍ من نسائها...) أي في جماعة من نسائها. وقيل: اللمة المثل في السنّ والتَّربْ. قال الجوهري: الهاء عوض عن الهمزة الذاهبة من وسطه وهو مما أخذت عينه وأصلها فعْلة من الملاءمة وهي الموافقة. ومنه حديث عمر أن شبابة زوجت شيخًا فقتلته فقال: (أيها الناس لينْكح الرجلُ لمته من النساء ولتنكح المرأة لُمتها من الرجال) أي شكله وتِرْبه. أخرجه النسائي في سننه كتاب النكاح باب تزوج المرأة مثلها في السن انظر السنن ٦/ ٦٢.

(٦) أخرجه النسائي في سننه كتاب النكاح باب تزوج المرأة مثلها في السن.

الكهلُ الجَحْجَاح [1]، الواصل المَيّاح، أم الفتى الوَضّاح ، الذَّهُول الطَّماح؟ فقالت: بل الفتى، فقالت لها: إن الفتى يُغيرُك، وإن الشيخ يَغيرُك ، فقالت لها : يا أماه :

إن الفتاة تحب الفتى كما تُحبّ الرِّعاء أنيق الكلأ

قالت لها : يا بنية : إن الشابَّ شديد الحجاب كثيرُ العتاب؛ قالت لها: يا أماه، إني أخشى من الشيخ أن يُدنس ثيابي، ويُبْلِيَ شبابي، ويُشمت بي أترابي! فلم تزل بها أمها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث ثم ارتحل بها إلى أهله، وإنه لجالس ذات يوم بفناء بيته وهي معه إذ أقبل شباب من بني أسد يعتلجون [2] فتنفست الصعداء؛ ثم بكت! فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت : ما لي وللشيوخ الناهضين كالفروخ! فقال لها: ثكلتك أمُّك «تجوع الحرة ولا تأكل بثديها» فذهبت مثلا لرُبَّ غارة شهدتُها وسَبيّة أَرْدَفْتُها، وسبيئة شربتُها! الْحَقي بأهلك، لا حاجةَ لي فيك!! الجَحْجَاح: السيد، والمِيّاح: كثير الصِلَة والمعروف، والطمَّاح: المعجب بنفسه ويُغيرُك الأولى بضم الياء من الغَيرة بفتح الغين أي يتزوج عليك من تَغارين منه. ويَغيرك الثانية بفتح الياء من الغيار بكسر الغين وهي الميرة والنفع، يقال: غار الرجلُ أهله أي مارهم ونفعهم، والسَّبيّة غير مهموز المرأة، والبيئة بالهمز: الخمْر.

• الحقي بأهلك!

أبو الفرج في كتاب النساء قال : زوج معاوية ابنته هندا من عبد الله بن عامر فجاءته يوما بالمرآة والمُشط وكانت أبرَّ الناس به فنظر في المرآة إلى وجهه ووجهها فرأى شبابها وجمالها ورأى الشيب قد غمر وجهه، وألحقه بالشيوخ، فرفع رأسه إليها وقال: الحقي بأهلك، فانطلقت حتى دخلت على أبيها معاوية فأخبرته، فقال: وهل تُطلق الحرة؟ فقالت: إن ذلك ليس بيدي فأرسل إليه معاوية يستفهمه عن سبب طلاقها، فقال: سأخبرك: إن الله تعالى منّ عليّ بفضله، وجعلني كريما، فلا أحبّ أن يكون لأحد عليّ مِنّة [3]، وإن ابنتك أعجزتني مكافأتُها؛ لحسن صُحْبتها، فنظرت؛ فإذا أنا شيخ وهي شابة لا أزيدها مالا إلى مالها ولا شرفًا إلى شرفها؛ فرأيت أن أردَّها إليك لتزوجها فَتًى من فِتيانك كأن وجهَه وَرَقة مُصْحَف [4] ! انتهى ما ذكره أبو الفرج وقد قدمنا خبر ابتناء عبد الله بن عامر بها في باب قبل هذا.

• جزاء من يغر القوم!

الغزالي في الإحياء : قال تزوج رجل على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان قد خضب لحيته فنصل [5] خضابه فاستعدى [6] عليه أهل المرأة عمر وقالوا: حَسِبْناه شابًّا، فأوجعه عمرُ ضَرْبا وقال له: غَرَرْتَ القومَ !!

---

(١) الجحجاح (بفتح الجيم) السيد الكريم المسارع إلى المكارم. (٢) يعتلجون: يتصارعون. (٣) مِنّة: معروف.

(٤) قال في أساس البلاغة: ومن المجاز قولهم وكأن وجهه ورقة مصحف. وأقول: ورقة المصحف محببة إلى النفس منيرة فيها النقاء والصفاء والطهر والعطاء!

(٥) نصل خِضابه: زال عنه خضابه أو لونه حتى انكشف أمره.

(٦) طلبوا منه أن ينصفهم من الخديعة التي أوقعهم فيها ذلك الزوج المخادع!

الباب الحادي عشر

في معاشرة النساء وموافقتهن، وحقوق المرأة على الرجل وماله من الحقوق عليها، وذكر وصايا من وصايا الحكماء لبناتهن عند إهدائهن

• جمال الصحبة!

قال الله عز وجل : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ١٩] . وقال سبحانه : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٢٨] . فأخبر سبحانه وتعالى أن الرجال لما كان لهم على النساء حق وهو ما سبق في الآية كان لهن عليهم حق وهو إجمال الصحبة ، وبين ذلك بقوله عز وجل في الآية الأخرى : ﴿ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [البقرة : ٢٢٩] .

• الدرجة التي جعلت للرجال:

والدرجة التي جعل الله تعالى للرجال عليهن هي : ما يلزم المرأة للرجل من وجوب الطاعة، والخدمة، وعدم التصرف في ماله إلا بإذنه، وتقديم طاعته على طاعة الله تعالى في النوافل؛ فلا تصوم إلا بإذنه، وما جعل الله تعالى له من تأديبها وأشباه هذه الأحكام .

• الرجل المثالي!

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «خَيْرُكم خَيْرُكم لأهله وأنا خيركم لأهلي» [(١)] .

الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا وخياركم خياركم لنسائكم» [(٢)] . وقال الترمذي فيه : حسن صحيح .

• الرفق بالقوارير:

البخاري عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تُقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا» [(٣)] .

وفي بعض روايات هذا الحديث لمسلم : «إن المرأة خلقت من ضلع لن يستقيمَ لك على طريقة فإن استمتعتَ بها استمتعتَ بها وبها عِوَج، وإن ذهبت تقيمُها كسَرْتَها وكَسْرُهَا طلاقُها» [(٤)] .

---

(١) رواه ابن ماجة في كتاب النكاح باب حسن معاشرة النساء حديث ١٩٧٧، وابن حبان ١/ ٣٣٠، ٦/ ١٨٩، وقال العجلوني في كشف الخفاء: ولابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وللطبراني عن معاوية بلفظ (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي). وقد صنف الطبراني- كما يقول العجلوني - في معاشرة الأهل. وقال في التمييز: وأخرجه الترمذي، وقال: هو حديث حسن صحيح عن أبي هريرة مرفوعًا في حديث لفظه (أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا وخياركم خياركم لنسائهم). كما جاء في الأصل هنا.

(٢) رواه الترمذي في كتاب الرضاع باب ما جاء في حق المرأة على زوجها وقال فيه: حديث صحيح.

(٣) رواه البخاري في كتاب النكاح باب الوصاة بالنساء انظر فتح الباري حديث رقم ٥١٨٥.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الرضاع باب الوصية بالنساء.

نبه ﷺ على الرفق بهن ومداراتهن [١] وأن لا يتقصى [٢] عليهن في أخلاقهن، وانحراف طباعهن، فإن ذلك يؤدي إلى مفارقتهن.

ونظم الشاعر هذا المعنى فقال:

هي الضِّلَعُ العوجاء لَسْتَ تُقيمها ألا إن تقويم الضلوع انكسارها
أيجمعن ضعفا واقتدارا على الفتى؟! أليس عجيبا ضعفها واقتدارها؟!

ويروى أن أبا ذر الغِفَاري رضي الله عنه أنشد هذين البيتين على المعنى [٣].

• وصية من وصايا النبي بهن!

وقال عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع: «.. ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوانٍ عندكم ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا. ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فأما حقكم عليهن ألا يوطئن فرُشكُم من تكرهون ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن.. ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم قال: اللهم فاشهد». أخرج الترمذي أكثر ألفاظه من حديث عمرو بن الأحْوص وقال فيه حسن [٤].

قوله: «فإنهن عوانٍ عندكم»، يعني أسيرات والعاني الأسير، وقوله: «واستحللتم فروجهن بكلمة الله» يريد والله أعلم ما اشترطه الله تعالى لهن في قوله: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] أو يريد قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء:٣].

وقال بعضهم: المراد بذلك كلمة التوحيد؛ إذ لا يحل لمن كان غير مسلم أن يتزوج مسلمة وقوله: «وحقكم أن لا يُوطِئْن فُرُشَكم أحدًا تكرهونه» يريد بذلك: الخَلوة. والحديث مع الرجال ولم يرد الزنا فإنه يوجب الحَدّ، وأيضا فلا فائدة بتقييده بمن يكره!

• آية الحجاب وعادة التحدث مع النساء!

وكانت عادة العرب أن يتحدث الرجال مع النساء غاب أزواجهن أو حضروا ولم يكن عندهن في ذلك عيب ولا ريبة، فلما نزلت آية الحجاب نهوا عن ذلك [٥].

وقوله: «فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع» أي لا تُحَوّلوهن إلى بيت آخر، ولا تَتحَوّلوا أنتم عنهن، ولكن تهجروهن في مضاجعهن، قيل: هو أن ينام معها في المضجع ولكن يُوَلّيها ظهره ولا

---

(١) المداراة: الملاطفة والرفق والملاينة.

(٢) يحسن الظن بهن كلما كان ذلك ممكنًا وذلك بالتخفف من الأسئلة التتبعية ما دام قد اختبرها وأحسن اختيارها فإن مثل هذه الأسئلة يؤذيها ويهز العلاقة ويعرضها لعدم الثقة! فالمرأة الحرة تضيق بمثل تلك التساؤلات ولا تطيقها! وفي بعض النسخ (وألا يُنغّص).

(٣) لكيلا يكون من الشعراء أو ممن يتبعونهم! وفي بعض النسخ على المنبر.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج باب حجة النبي، وابن ماجة في سننه كتاب المناسك باب حجة رسول الله، والترمذي في سننه حديث رقم ١١٧٣، وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) جاء الإسلام والحجاب في كل مكان من الدنيا فتصرف معه كما تصرف في غيره من التقاليد والعادات بما يلائم مصلحة الإنسان والمثل العليا فلم يجعله كما كان عنوانًا لاتهام المرأة أو عنوانًا لسيطرة الرجل واعتبارها جزءًا من ممتلكاته يتصرف فيها كما يشاء تبعًا لهواه ومصلحته بل جعله أدبًا خلقيًا واجب الاحترام والالتزام من الرجل والمرأة: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور:٣٠-٣١].

يكلمها ولا يُجَامِعُها، وقيل: هو أن يترك مضجعها أو ينام في مضجع غيره ولكن في بيتها. «وغير مُبْرِح» بكسر الراء غير شديد [١]، والبَرْحُ: الشدة والمشقة وهو معنى قوله ﷺ في الحديث الآخر: «لا يَجْلِدُ أحدُكم امرأته جَلْدَ البَعيرِ ثم يُجامعها في آخر اليوم» [٢] أخرجه البخاري.

• ملاعبة الزوجة:

أبو داود: عن خالد بن زيد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من اللهو ثلاث: تأديبُ الرّجُل فرسَه، ورميه عن قوسه ونَبْله وملاعبةُ أهله» [٣]. وفي بعض روايات هذا الحديث من غير كتاب أبي داود: «كل شيء يلهو به الرجل باطل إلا تأديبه فرسه، ورميه بقوسه ونبله، وملاعبته أهله» [٤]. وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: «إنما المرأة لُعْبة الرجل فَلْيُحسن الرجل إلى لُعْبَته». وقد روي ذلك مرفوعًا.

• إنهن يغلبن الكرام، ويغلبهن اللئام!

قال صعصعة بن صوحان يوما لمعاوية: كيف ننسبك إلى العقل وقد غلبك نصف إنسان؟ يريد امرأته: فاختة بنت قرظة، فقال: إنهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام!!

• حقوق ... وحقوق:

قال الغزالي في الإحياء: وذكر حقوق المرأة على الرجل وحقوقه عليها فقال: أما المرأة فلها على زوجها أن يعاشرَها بالمعروف وأن يحسن خُلقه معها، قال: وليس حُسن الخُلُق معها كفّ الأذى عنها بل احتمالُ الأذى منْها، والحلم عند طيشها وغَضبها اقتداءً برسول الله ﷺ فقد كان أزواجه يراجِعْنَه الكلامَ وتهجره إحداهن إلى الليل [٥].

وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه فقال: أتراجعيني يا لُكَعاء، فقالت: إن أزواج النبي ﷺ يراجعنه وهو خير منك [٦]، فقال عمر: خابت حفصةُ وخسرت إن راجعته، ثم قال لحفصة: لا تغتري بابنة ابن أبي قحافة فإنها حِبُّ رسول الله ﷺ. وخوّفها من المراجعة. ودفعت: إحداهن في صدر رسول الله ﷺ فزجرتها أمها فقال: دعيها فإنهن يصنعن أكثر من ذلك [٧].

• أمثلة عليا من المعايشة الزوجية!

وجرى بينه ﷺ وبين عائشة رضي الله عنها كلام حتى أُدْخِلَ أبو بكر حَكَمًا بينه وبينها، فقال رسول الله ﷺ: «تكلمي أو أتكلم» قالت: بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا فلطمها أبو بكر رضي الله عنه حتى أدمى فاها، وقال: يا عُدَيّةَ نَفْسِها، أو يقول غيرَ الحق؟!

---

(١) وجاء في المعجم الوسيط: برَّح به الضّرب: اشتدّ يقال: ضربَه ضربًا مُبرِّحًا.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب ما يكره من ضرب النساء انظر فتح الباري حديث رقم ٥٠٢٤.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب في الرمي من حديث طويل برقم ٥٢١٣.

(٤) أخرجه ابن ماجة في كتاب الجهاد باب الرمي في سبيل الله حديث رقم ٢٨١١.

(٥) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: متفق عليه من حديث عمر في الحديث الطويل في قوله تعالى: () [] انظر الإحياء للغزالي كتاب النكاح باب آداب المعاشرة.

(٦) هو الحديث الذي قبله. وليس فيه قوله: يالكعاء، ولا قولها: هو خير منك.

(٧) قال العراقي في تعليقه على الإحياء: لم أقف له على أصل.

فاستجارت برسول الله ﷺ ، وقعدت خلف ظهره فقال له النبي ﷺ : «إنّا لم نَدْعُكَ لهذا ولم نُرِدْ منك هذا» [١] . وقالت له مرة وقد غضبت : أنت الذي تزعم أنك نبي؟ فتبسم رسول الله ﷺ، واحتمل ذلك حلما وكرها [٢]. وكان يقول لها : «إني لأعرف إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غَضْبى»، قالت: وكيف تعرف ذلك؟ قال: «إذا رضيتِ قلتِ: لا وإله محمد، وإذا غضبت قلت: لا وإله إبراهيم» قالت: أجَلْ يا رسول الله ما أهجرُ إلا اسمكَ [٣].

• أول حب وقع في الإسلام:

قال : ويقال إن أول حب وقع في الإسلام حب النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها [٤] وكان يقول لها: «كنتُ لَكِ كأبي زرع لأم زرع» [٥] . وقال أنس : «كان النبي ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان» [٦] .

• المداعبة والملاعبة فوق احتمال الأذى:

قال الغزالي : وأعلى من ذلك أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزاح والملاعبة فهي التي تُطَيّب قلوبَ النساء [٧].

• معاملة مثالية!!

وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق؛ حتى يُروى أنه كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يوما وسبقها يوما فقال: «هذه بتلك» [٨] .

وفي الخبر : أنه كان ﷺ من أفكه الناس مع نسائه [٩] .

وقالت عائشة رضي الله عنها : سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في «يوم عاشوراء» فقال لي رسول الله ﷺ : «أتحبين أن تَرى لَعِبهم؟» قالت: قلت نعم يا رسول الله فأرسل إليهم فجاءوا وقام رسول الله ﷺ بين البابين ووضع كفَّه على الباب، ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظر، فقال لي رسول الله ﷺ : «حَسْبُكِ»، فقلت: اسكت مرتين أو ثلاثًا ثم قال : «يا عائشة حَسْبُكِ الآن» ، فقلت: نعم فأشار إليهم فانصرفوا [١٠].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط والخطيب في التاريخ من حديث عائشة سند ضعيف قاله العراقي.

(٢) رواه أبو يعلي وفيه محمد بن إسحاق وهو مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح، انظر مجمع الزوائد ٤/ ٣٢٢، وأبو الشيخ في الأمثال حديث ٥٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب ما يجوز من الهجران لمن عصى، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ٢٢٧ ، والبخاري في الأدب المفرد بلفظ (إني لأعرف غضبك ورضاك).

(٤) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات كتاب النكاح باب محبة الزوجة، وقال: تفرد به الموقري ولم يروه عنه غير موسى بن محمد بن عطاء وكلاهما كذاب، قال أحمد: ويحيى الموقري ليس بشيء، وقال ابن حبان: كان موسى بن محمد يضع الحديث على الثقات، والصحيح ما رواه الشيخان من حديث عمرو بن العاص أنه قال: أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: (عائشة) الحديث.

(٥) رواه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب حسن المعاشرة مع الأهل، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب ذكر حديث أم زرع.

(٦) رواه مسلم في كتاب الفضائل باب رحمته ﷺ بالعيال (ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ) زاد علي بن عبد العزيز والبغوي: (والصبيان).

(٧) انظر الإحياء كتاب النكاح ذكر المداعبة والمزاح ٢/ ١٣٧.

(٨) رواه أبو داود في كتاب الجهاد باب في السبق على الرجال حديث رقم ٢٥٧٨، وأحمد في مسنده ٦/ ٢٦٤، والنسائي في الكبرى وابن ماجة من حديث عائشة بسند صحيح.

(٩) رواه الحسن بن سفيان في مسنده من حديث أنس، دون قوله: (مع نسائه)، ورواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط قالا: (مع صبي) وفي إسناده ابن لهيعة قاله العراقي.

(١٠) متفق عليه - مع اختلاف - دون ذكر يوم عاشوراء، وإنما قال: (يوم عيد) ودون قولها: (اسْكُت). وفي رواية للنسائي في الكُبرى: (قلت: لا تَعْجَلْ مرتين).

وقال ﷺ : «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا وألطفهم بأهله»[١] .

• مثالية عمر رضي الله عنه !

وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل مع أهله أن يكون مثل الصبي فإذا التمسوا ما عنده وجَدُوا رجُلًا . وفي تفسير الخبر المروي «إن الله تعالى يبغض الجعظري الجَوَّاظ»[٢] قيل: هو الشديد على أهله المتكبر في نفسه، وهو أحد ما قيل في قوله تعالى: ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ [القلم: ١٣] قيل : العُتُلّ : الفظّ اللسان الغليظُ القلب على أهله .

• الاعتدال... فلا إفراط ولا تفريط!

قال الغزالي: وينبغي مع هذا أن لا يَتَبَسّط في الدُّعابة والموافقة ولين الخلق إلى حدٍّ يُسقط هيبتَه ويُفسد خُلُقَها. بل يراعي الاعتدالَ في ذلك فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى ما يكره ولا يفتح باب المساعدة على ذلك ألبتّة بل مهما رأى شيئًا من ذلك تَنَمّر وامتعض[٣] .

• مطاوعة الزوجة فيما تهوى!

قال الحسن: والله ما أطاع رجل امرأته فيما تهوى إلا كبَّه الله في النار[٤] .

وقال ﷺ : «تَعِس عبدُ الزوجة»[٥] .

• لماذا يُدعى عليه بالتعاسة ؟!

وإنما قال ذلك، لأنه إذا أطاعها في هواها فهو عبدُها، وقد تعس فإن الله سبحانه قد ملّكه المرأةَ فمَلّكَها هو نفسَه فقد عكس الأمرَ وقلب القضية، وأطاع الشيطانَ لمَّا قال: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء : ١١٩] إذْ حقُّ الرجل أن يكون متبوعًا لا تَابِعًا. وقد سمى الله تعالى الرجالَ قوامين فقال : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء : ٣٤] . وسمى الزوجَ سَيّدا فقال : ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾ [يوسف : ٢٥] فإذا انقلب السيّد فقد بدل نعمة الله كفرا. ونفس المرأة على مثال نفسك إن أرسلتَ عِنَانها قليلا جَمَحت بك طويلا. وإن أرخيت زمامها شبرا جذبتك ذراعا، وإن كبحتها وشددت يدكَ عليها في محل الشدة ملكتها .

• لابد من مزج الإكرام بالغلظة!

وقال الشافعي رحمه الله : ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك وإن أهنتهم أكرموك، فعد منهم المرأة، أراد إن محضت لهم الإكرام ولم تمزجه بغلظة وفظاظة في بعض الأوقات[٦] .

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الإيمان، والنسائي واللفظ له، وأحمد في مسنده ٦/ ٤٧، والحاكم وقال: رواته ثقاتٌ على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، وهو في الصحيحين من حديث جارية بن وهب الخزاعي بلفظ: (ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتُلٍّ جَوّاظ مستكبر). ولأبي داود: (لا يدخل الجنة الجوّاظ ولا الجعْظَري).

(٣) امتعض من الأمر: تألم وغضب، وتَنمَّر: تشبه بالنمر. (٤) ذكره الغزالي في الإحياء كتاب النكاح ٢/ ١٣٨.

(٥) الحديث الذي رواه البخاري من حديث أبي هريرة: (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم) وقد ذكر هذا الحديث الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة كتاب النكاح حديث رقم ٥٣ وقال: لا أصل له.

(٦) عبارة الشافعي كما نقله الغزالي في الإحياء: (ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك، وإن أهنتهم أكرموك: المرأة والخادم، والنبطي). أراد إن محضت الإكرام ولم تمزج غلظك بلينك وفظاظتك برفقك). والأنباط شعب سامي كانت له دولة في شماليّ شبه الجزيرة العربية وعاصمتهم (سَلْع) وتعرف اليوم بـ(البتراء). والنبط: الأنباط.

• دروس نسائية للبنات في اختبار الأزواج!

وكان نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الأزواج، فكانت المرأة تقول لابنتها: اختبري زوجَك قبل الإقدام والجراءة عليه، فانزعي زُجَّ [١] رمحه، فإن سكت فقطعي اللحم على تُرسه [٢]، فإن سكت فكسّري العظام بسيفه، فإن صبر فاجعلي الإكاف [٣] على ظهره وامتطيه، فإنما هو حمارك !!

• العدل... العدل... والاقتصاد الاقتصاد في المعاملة!

قال : وبالجملة فبالعدل قامت السموات والأرض وكل ما جاوز حده انعكس إلى ضده؛ فينبغي أن تَسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة وتتّبع الحق في جميع ذلك، وتجرب أولا أخلاقها، ثم تعاملها بما يُصلحها على ما يقتضيه حالها .

• حق الزوج عليها:

قال : وأما حق الزوج عليها فالقولُ الشافي فيه أن النكاح نوعُ رقٍّ وهي رقيقة له، فعليها طاعتُه مطلقا، في كل ما يَطلب منها في نفسِها مما لا معصية فيه كذا قال الغزالي. ولا يصح هذا الإطلاق فإن العزل [٤] لا معصية فيه وخصوصا على مذهبه نصَّ على ذلك في الإحياء ومع ذلك فلا يلزمها طاعته اتفاقا. قال : وقد ورد في حق الزوج على المرأة أحاديث كثيرة، قال رسول الله ﷺ : «أيُّمَا امرأة ماتت وزَوْجُها عنها راض دخلت الجنة» [٥].

• قد غفر الله لأبيها بطاعتها لزوجها!

وخرج رجل في زمن النبي ﷺ في سفر وأوصى امرأته أن لا تنزل من عُلُوّها وكان أبوها في السُّفلى فمرض فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تستأذنُه في النزول إلى أبيها فقال: «أطيعي زوجك». فمات أبوها فأرسلت تستأذنه ﷺ في الحضور لدفنه، فقال: «أطيعي زوجك» فدفن أبوها فأرسل إليها رسول الله ﷺ يخبرها : «أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها» [٦].

• طاعة الزوج طريق المرأة إلى دخول الجنة:

وقال ﷺ : «إذا صلّت المرأة خمسَها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنّةَ ربّها» [٧].

---

(١) الحديدة في أسفل الرمح اسمها: زُجّ. (٢) التُرس: ما كان يُتوقى به في الحروب.

(٣) الإكاف: البرذعة تجعل فوق الحمار ليركب عليها من يشاء الركوب. والجمع أُكُف.

(٤) قال الإمام الغزالي: (ومن الآداب أن لا يعزل بل لا يسرح إلا إلى محل الحرث وهو الرحم، فما من نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة. هكذا قال ﷺ. ومتفق عليه من حديث أبي سعيد. والعزل: هو قذف النطفة خارج الرحم عند الإحساس بنزولها. قال الغزالي: فإن عزل فقد اختلف العلماء في إباحته وكراهته على أربعة مذاهب؛ فمن مبيح مطلقًا بكل حال ومن مُحَرِّم بكل حال، ومن قائل: يحل برضاها، ولا يحل دون رضاها، وكأن هذا القائل يحرم الإيذاء دون العزل ومن قائل يباح في المملوكة دون الحرة. والصحيح عندنا أن ذلك مباح. وأما الكراهية، فإنها تطلق لنهي التحريم، ولنهي التنزيه، ولترك الفضيلة، فهو مكروه بالمعنى الثالث، أي فيه ترك الفضيلة.

(٥) رواه الترمذي في كتاب الرضاع باب ما جاء في حق الزوج على المرأة وقال: حسن غريب. وابن ماجة من حديث أم سلمة في كتاب النكاح باب حق الزوج على المرأة حديث ١٨٥٤ .

(٦) رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف إلا أنه قال: (غفر لأبيها).

(٧) رواه ابن حبان من حديث أبي هريرة، باب معاشرة الزوجين حديث رقم ٤١٥١ .

• أصول الطاعة:

قال : وعلى الجملة فحقوق الرجل على المرأة كثيرة وأهمها : أن تصون نفسَها ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، وإن خرجت بإذنه فمتخفية في مشيتها في هيئة رَثّة تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق متحرزة من أن يُسْمَعَ صوتُها أو يُعرف عينها. وأن تكون قانعة منه بما استيسر غير مكلّفة له ما وراء الحاجة متحفظةً على ماله غير مخرجة شيئًا منه إلا بإذنه قائمة بكل خدمة تقدر عليها من خدمة منزله، مقدمةً حقّه على حق نفسها وسائر أقاربها متنظفة في نفسها مستعدة لأن يَسْتَمْتِعَ بها إن شاء، قصيرةَ اللسان عن مُراجَعَته غير متكبرة عليه بمال أو جمال ولا مُزْدَرية له لقبحه إن كان كذلك، ملازمةً للانقباض في حال غيبته، ومُنبسطةً في حال ظهوره، وإذا مات عنها فمن حقه أن تَحُدَّ [1] عليه أربعة أشهر وعشرا تجتنب فيها الطيبَ والزينة، وأن تلزم مسكنها إلى أن يبلغَ الكتابُ أجلَه وليس لها الانتقال إلى أهلها ولا الخروج إلا لضرورة.

• عظم حقه عليها!

قال : ولعظم حقه عليها قال رسول الله ﷺ: «اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء، فقلن: ولم يا رسول الله؟ قال : يُكْثِرْنَ اللعن، ويَكفرن العَشير [2] . والعشير هو الزوج انتهى كلام الغزالي.

• نظرة الإسلام إلى حق الزوج على الزوجة!

أبو داود عن قيس بن سعد قال : أتيت الحيرَة فرأيتهم يسجدون لمرزبان [3] لهم فقلت: رسولُ الله ﷺ أحقُّ أن يُسْجَدَ له، قال: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزُبان لهم وأنت يا رسول الله أحق أن يُسجد لك فقال: «أرأيت لو مَرَرْت بقبري أكنت تسجد له؟ قلت: لا، قال: فلا تفعلوا، لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل اللهُ لَهُمْ عليهن من حق» [4] .

وخرجه الترمذي مختصرا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» [5] وقال فيه: حسن صحيح .

• المسئولية المشتركة بين الزوجين!

البخاري عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع، وهو مسئول، والرجل راع على أهله، وهو مسئول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة» [6] .

---

(١) في الحديث المتفق عليه: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوجها أربعة أشهر وعشرًا) وحدّت المرأة على زوجها تحدّ وتحُدّ حِدادًا بالكسر فهي حادّ بغير هاء وأحدّت إحدادًا فهي مُحِدّ ومُحِدَّةٌ إذا تركت الزينة لموته.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب حدثنا مسدد، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأحمد من طرق مختلفة ١/ ٢٣٤، ٣٥٩، ٢/ ٢٩٧، ٤/ ٤٢٩، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٣٠٨.

(٣) المرزبان: الرئيس عند الفُرْس وجمعه مرازبة.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه باب في حق الزوج على المرأة حديث رقم ٢١٤٠.

(٥) أخرجه الترمذي في أبواب الرضاع باب ما جاء في حق الزوج على المرأة.

(٦) رواه البخاري في كتاب النكاح باب ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم:٦] انظر فتح الباري ٥١٨٨.

• والزوج من حقه أن تستأذنه الزوجة !

وله عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «لا يحل للمرأة أن تصومَ وزوجُها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيتها إلا بإذنه، وما أنفقت من نفقة عن غير أمره فإنه يُؤدَّى إليه شَطْرُه »[١].

قال مسلم : «وما أنفقت من كسبه من غير أمره فإن نصف أجره له»[٢].

• تلبية دعوته إلى فراشه !

وعن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل المرأة إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تُصْبح»[٣].

وفي رواية : «فأبت أن تجيء فبات غضبان عليها».

• الغائصة والمغوصة ممن لعنهم الله!

الخطابي في غريب الحديث قال : لعن رسول الله ﷺ الغائصة والمغوصة، قال: الغائصة، بالغين المعجمة، والصاد المهملة: الحائض لا تُعلم زوجَها أنها حائض، والمُغْوِصَة: بكسر الواو التي لا تكون حائضا فتكذب زوجها وتقول : «إنها حائض».

• ما حق زوجة أحدنا عليه؟

أبو داود : عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال : قلت: يا رسول الله، ما حقُّ زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تُطْعمَها إذا طعمت وتكسُوَها إذا اكتسيت ولا تَضْرب الوَجْهَ ولا تُقَبِّح أي لا تقول قَبَّحَك الله ولا تَهْجُرَ إلا في البيت» أي لا تُحَوِّلها إلى بيت آخر، ولا تَتَحَوّل عنها إلى بيت آخر[٤].

• الهجر شديد الإيلام:

وقد تقدم بيان ذلك والقصد من ذلك الرّفق بهن ، فإن الهجرَ لهن مع البعد عنهن شديدُ الإيلام لقلوبهن.

وقد جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ هجر أزواجه في غير بيوتهن فينظر في ذلك مع الحديث[٥]. وقد نبه البخاري على ذلك وترجم له.

• من لا ينظر الله إليها!

النسائي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني به»[٦].

---

(١) رواه البخاري في كتاب النكاح باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه انظر فتح الباري حديث رقم ٥١٩٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة باب ما أنفقه العبد من مال مولاه.

(٣) رواه مسلم في كتاب النكاح باب تحريم امتناعها.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب النكاح باب حق المرأة على زوجها، وابن ماجة في سننه كتاب النكاح باب حق المرأة على الزوج، وأحمد في مسنده ٤/ ٤٤٦ - ٤٤٧.

(٥) قال الشوكاني: ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ هجر نساءه وخرج إلى مشربة له

(٦) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ١٩٠) وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني والبزار، انظر مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٩) وقال الهيثمي: رواه البزار بإسنادين وأحد إسنادي البزار ورجاله رجال الصحيح، والبيهقي في السنن ٧/ ٢٩٤.

• من أهل الجنة !

وله عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة: الوَدُودُ الْوَلودُ الغَيُور على زَوْجها التي إذا آذت أو أوذيت جاءت حتى تأخذ بيد زوجها ثم تقول: والله لا أذوق غَمْضًا حتى ترضى»[1].

• من لها أجر الشهداء ورزقهم!

أبو الفرج في كتاب النساء قال : أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إن لي امرأة إذا أتيت مهموما قامت إليّ فأخذت بطرف ردائي ومسحت على وجهي وقالت: إن كان همك للدنيا فصرفه الله عنك، وإن كان همك للآخرة فزادك الله هَمًّا، فقال رسول الله ﷺ: «إن لها أجرَ الشهداء ورزقَهم».

• شكوى ترفعها زوجة إلى عمر!

ومما هو داخل في هذا الباب ما حكاه الزبير في الموفقيات عن إبراهيم ابن المنذر عن محمد بن معن قال: أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار، ويقوم الليل وأنا أكره أن أشكوَه إليك وهو يقوم بطاعة الله عز وجل، فقال: جزاكِ الله خيرا من مُثْنِية على زَوْجها، فجعلت تكرر عليه القول وهو يكرر عليها الجواب، وكان كعب بن سؤر الأسدي حاضرا فقال لَه: اقض يا أمير المؤمنين بينها وبين زوجها، فقال: وهل ذكرت قضاء؟ فقال: إنها تشكو مباعدَة زوجها عن فراشها، وتطلب حقها في ذلك، فقال له عمر: أما إن فهمت ذلك فاقض بينهما فقال كعب: عليّ بزوجها فأحضر فقال: إن امرأتَك هذه تشكوك، قال: أَقَصَّرْتُ في شيءٍ من نفقتها؟ فقال: لا. فقالت المرأة :

يـأيـهـا الـقـاضـي الـحـكـيـمُ رُشْـدُه ... أَلْـهَـى خليلي عن فِراشي مَسْجِدُه
نـهـارُه ولـيـلُـه مـا يَـرقُـدُه ... فلَستُ في أمر النِّساءِ أَحْمَدُهْ!
زهّـده فـي مـضـجـعـي تَـعَـبُّـدُه ... فـاقـضِ القضا يـا كعب لا تـردّدُه

قال : فقال زوجُها :

زهَّـدَنـي فـي فَـرْشِـهـا وفـي الحُلَلْ ... أنـي امـرؤٌ أَذْهَـلَـنِـي مـا قـدْ نَـزَلْ
في سـورة النّحلِ وفي السَّبع الطوَل ... وفـي كـتـاب الـلـه تـخـويـفٌ جَـلَـل

فقال كعب :

إن خـيـر الـقـاضِـيـيـن مَـن عَـدَلْ ... ومـن قَـضَـى بالحَقّ جَـهْـرًا وفَـصَـلْ
إن لـهـا عـلـيـك حَـقّـا يـا رَجُـلْ ... تُـصِـيـبُـهـا فـي أرْبَـعٍ لِـمَـن عَـقَـلْ
قَـضِـيـةٌ مِـن رَبّـنَـا عَـزّ وَجَـلّ ... فأعْطِهَا ذَاكَ وَدعْ عَنك العِلَلْ

ثم قال : إن الله عز وجل قد أباح لك من النساء أربَعًا فلك[2] ثلاثة أيام ولياليهن تَعْبُدُ فيها ربَك، ولها يومٌ وليلة، فقال عمر: والله ما أدري من أيِّ أمْرَيْكَ أعجب؟! أمن فهمك أمرَهما؟ أم من حكمك بينهما؟! اذهب فقد وَلّيْتُك قضَاءَ البصرة!

---

(١) لا أنام ولا يستريح لي بال وأخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد ٤/ ٣١٣.

(٢) في سورة النساء الآية ٣: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾.

وذكر الرشاطي هذا الخبر في كتابه المسمى باقتباس الأنوار وزاد بعد قوله ولها يوم وليلة فلا تُصَلّ في ليلتها إلا الفريضة[1].

وأخبر أن كعب بن سؤر شهد «يوم الجَمل» فلما اصطف الناس للقتال أخذ مُصحَفًا بيده وخرج يناشد الناس في دمائهم فقُتِل عَلَى تلك الحالة.

• من وصايا الآباء:

الغزالي في الإحياء قال: زوّج أسماء بن خارجة الفزاري ابنته فلما أراد إهداءها قال: إنك خرجت من العُشّ الذي فيه دَرَجْت، وصرت إلى فراش لا تعرفينه، وقرين لم تألفيه فكوني له أرضا يكن لك سماء، وكوني له مهادًا يكن لك عمادا، وكوني له أَمَةً يكن لك عبدا ولا تُلْحفي به فيقلاك[2]، ولا تتباعدي عنه فينساك، وإن دنا فاقربي منه وإن نأى[3] فابعدي عنه، واحفظي أنفه، وسمعَه، وعينَه، فلا يَشمُّ منك إلا طيبا، ولا يسمع منك إلا حَسَنًا، ولا ينظر إلا جميلا.

أبو الريحان في كتاب الجماهر قال: زوّج عامر بن الظرب العَدْواني ابنته من ابن أخيه وقال لأمها: مُري ابنَتَك أن لا تنزل فَلاةً إلا ومعها ماء[4]؛ فإنه للأعلى جلاء وللأسفل نقاء[5]، وأن لا تمنعيه شهوتَه، فإن الحظوة[6] في الموافقة، وأن لا تطيلي مضاجعته، فإن البدن إذا ملّ مَلَّ القلب.

• من وصايا الأمهات:

وذكر أبو الريحان: من هذا الباب قول أخرى لابنتها: كوني له فِراشا يكن لك معاشا، وكوني له وطَاءً[7] يكن لك غطاء، وإياك والاكتئاب إذا كان فَرِحًا والفرح إذا كان كئيبًا، ولا يطّلعن منك على قَبيح، ولا يَشمَّن منك إلا أطيب ريح، ولا تفشين له سرًا؛ لئلا تَسْقُطي من عينه، وعليك بالماء والدُّهن والكحْل، فإنها أطيب الطيب.

• عود إلى وصايا الآباء لبناتهن!

قال: وقال أحدهم لابنته ليلة الهداء، كوني لزوجك أَمَةً يكن لك عبدا، وعليك باللطف فإنه أبلغ من السّحر، وبالماء فإنه رأسُ الطيب.

الزبير في الموفقيات قال: زَوَّج قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ابنتَه من لقيط بن زُرارة بن عَدُس على مائة من الإبل ليس فيها ناب ولا مضرمة ولا مدابرة. قال: ثم دخل على ابنته فقال: أيْ بُنية: إني زوّجتكِ غلاما عزيز النفس فلا تدني منه كل الدنو فيمَلّك ولا تَبْعدي عنه كل البُعْد فينساك، واغلبي أحماءك بالخير ولا تغلبيهم بالشر، وكوني له أمة يكن لك عبدًا، وتتبعي من الطيب مواقع أنفه، واعلمي أن أطيب طيب النساء الماء ثم خرج، وقال جَهّزُوها إلى زوجها فلما أهديت إليه قالت: مُرّوا بي على أبي أسلم عليه؛ فمروا بها عليه فَسَلمت عليه، وانصرفت فقال لها: أيْ بُنَيّة: اذهبي فلا أيْسَرْت ولا أذكرت فقالت: أيْ أبتِ أهنْتَني صَغيرة وغَرّبْتَني كبيرة، وزودتني عند الفراق أسوأ الزاد. فقال: إنكَ

---

(١) وذكر ابن الجوزي نقلًا عن الشعبي: أن كعبًا قال له: صم ثلاثة أيام وأفطر عندها يومًا وقم ثلاث ليالٍ وبت عندها ليلة. انظر الأذكياء لابن الجوزي ص٢٤٤.

(٢) الإلحاف الإضرار. فيقلاك: فيكرهك، وفي الكتاب العزيز: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى:٣].

(٣) نأى: بعد. انظر الإحياء كتاب النكاح حق الابنة على والديها ٢/ ١٦٣.

(٤) الفَلَاة: الصحراء.

(٥) يقصد أعلى الجسم، وغالبًا يكون نظيفًا ولكن الماء يجلوه. أما استخدام الماء لأسفل الجسم فلا شك أنه نقاء من كل الأدران!

(٦) الحظوة: المنزلة والحظ والمكانة.

(٧) الوطاء بكسر الواو ما يقابل الغطاء فالأول تحت والثاني فوق.

لتأتين البُعَداء وتلدين الأعداء وتذهبين بالتِّلاد [١] وتحلين في غير الصديق، ثم ذهبت عنه، انتهى ما ذكره الزبير . الناب : الناقة المسنَّة، والمُضْرَمَة: التي أصاب ضرعها داء فكوى بالنار لأجل ذلك. المدابرة: المشقوقة الأذن من قبل القفا، فإن شقت من قبل الوجه فهي مقابلة. واسم هذه المرأة التي تَزَوَّجَ بها لقيطٌ القدور، وقد تقدم خبره معها في باب قبل هذا.

التيفاشي في قادمة الجناح قال : كانت أمامة بنت الحارث التغلبية عند عوف بن مُحَلِّم بن ذُهْل بن شيبان، فولدت له أم إياس بنت عوف فتزوجها الحارث بن عمرو الكندي فلما أرادت إهداءها إليه قالت لها: أي بُنَيّتي، إن الوصية لو كانت تُتْرك لفضل أدب [٢] أو مكرمة حَسَب لتركتُ ذلك معك ولكنها تذكرة [٣] للعاقل ومنبهة للغافل. أيْ بُنَيّة، لو استغنت ابنة عن زوج لِغنَى أبويها لكُنْتِ أغنى الناس عنه ولكنّا خلقنا للرجال كما خلق الرجال لنا. أي بنيّة: إنك قد فارقتِ الوطن الذي منه خرجت، وخَلَفت [٤] العُشّ الذي فيه درجت [٥]، إلى وكْر [٦] لم تعرفيه، وقرين [٧] لم تألفيه أصبح بملكه إياك ملكا عليك. فكوني له أمة يكن لك عبدا واحفظي له خلالا عشرًا:

أما الأولى والثانية: فالصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، فإن في القناعة راحة القلب، وفي المعاشرة بحسن السمع والطاعة رضا الرب.

وأما الثالثة والرابعة : فالتعهد لموقع عينه والتفقد [٨] لموقع أنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يَشمّ أنفه منك إلا أطيب ريح، واعلمي أن الكحل أحسن الحسن لموجود، وأن الماء أطيب الطيب المفقود.

وأما الخامسة والسادسة : فالتعهد لوقت طعامه والهدوء عند منامه فإن حرارة الجوع مَلْهَبة [٩]، وتنغيص [١٠] النوم مَغْضَبة.

وأما السابعة والثامنة : فالاحتفاظ ببيته وماله والرعاية لحشمه [١١] وعياله فإن أصل حفظ المال من حسن التقدير، والرعاية على العيال والحشم من حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تُفشين له سرا ولا تَعْصين له أمرا، فإنك إن أفشيت سرّه لم تأمني غدره، وإن عَصيتِ أمره أوْغَرت [١٢] صدَره واتقي مع ذلك الفرح إذا كان تَرحًا [١٣] ، والاكتئاب إذا كان فَرحًا فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير ، وأشَدُّ ما تكونين له إعظاما أشد ما يكون لَك إكراما وأكثر ما تكونين له موافقة أحسن ما يكون لك مرافقة . واعلمي : أنك لا تقدرين على ذلك حتى تُؤْثِرين [١٤] هواه على هَواكِ، وَرِضَاهُ على رضاك فيما أحببت أو كرهت ثم ودَّعَتْها وصَرَفَتْها. وسيأتي تزويج الحارث بن عمرو في باب بعد هذا . الجاحظ في البيان : عن أبي عمرو بن العلاء قال : أنْكَحَ ضرار بن عمرو ابنته من معبد بن زُرارة فلما أخرجها إليه قال لها : يا بُنَيَّة أمسكي عليك الفضلين. قالت: يا أبتِ، وما الفضلان؟ قال: الغُلْمة، وفَضْل الكلام [١٥].

---

(١) التِّلاد: كل مال قديم وخلافه. (٢) فضل أدب: زيادة أدب. (٣) تذكير وتوعية. (٤) خلفت: تركت.

(٥) العش الذي فيه درجت: بيت أبيك الذي بدأت خطواتك الأولى فيه. (٦) الوكر عش الطائر وإن لم يكن فيه.(٧) قرين: صاحب وزوج

(٨) تفقد الشيء: طلبه والاهتمام به. (٩) المراد أنه يُلهب ويغضب. (١٠) تنغيص: تكدير. (١١) حشمه: خدمه.

(١٢) ملأت صدره غيظًا. (١٣) الترح: الحزن. (١٤) تُؤثرين: تفضلين من الإيثار: تفضيل الغير على النفس، أما الأثرة فذميمة.

(١٥) الفضل: ما زاد عن الحاجة. والغُلمة: شدة الشهوة للجماع. أما فضل الكلام فاللغو من القول وما لا حاجة فيها. وفي النسخة المطبوعة. قال: فضل العِلْم وفضل الكلام ولعل هذا يناسب كلمة عليك أي (الزَمي) لا (احذري).

الباب الثاني عشر

في السراري

السّراري : جمع سُرِّية وهي الأمَة المتَّخَذَةُ للوطء. واشترط الفقهاء في صدق هذه التسمية حصول الوطء ولو مَرّة.

• فائدة :

وتظهر فائدة هذا الاشتراط فيمن جعل بيَد زوجته عِتْقَ السَّرِّية التي يتخذها عليها فإن لم يطأها لم يكن لها عتْقُها، وهي منسوبة إلى السّرّ وهوَ النكاح، وإنما ضُمّت سينُها جريا على المعتاد في تغيير النّسب كما قالوا في النِّسبة إلى الدّهر دُهرى وإلى السَّهل سُهلى، وكان الأصمعي يقول: إنها مشتقة من السُّرور. ويقال: قد تسرّرْتُ سُرّية، وتسريْت بالياء، والأولى على الأصل، والثانية على الاستبدال كما قال تظيبت[1].

• أمهات الأولاد !

أبو داود عن كثير بن عبيد عن بُقية بن المبارك عن الزبير بن سعيد الهاشمي عن أشياخه رفعه قال: «عليكم بأمهات الأولاد فإنهم مباركات الأرحام»[2]. ذكره أبو داود في المراسيل، وفي رواية عليكم بالسراري.

• سليمان عليه السلام وسراريه!

جعفر بن محمد قال : كان لسليمان بن داود عليهما السلام سبعمائة سُرّية غير الزوجات، فقيل له: يابن رسول الله كيف كان يقدر على جميعهن قال : جعل الله فيه قوة بِضع وأربعين رجلا، وسيأتي الكلام على هذا الأثر بعد هذا.

• علي بن أبي طالب وسراريه!

الربيع بسنده إلى سفيان قال : كان عند علي بن أبي طالب تسع عشرة وليدة .

• أولاد السراري في رأي عمر !

أبو العباس في الكامل قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ليس قوم أكيس من أولاد السراري، لأنهم يجمعون عِزّ العرب، ودَهَاءَ العجم. يريد إذا كن من العَجم.

• في السراري ما يرضي كل الرغبات!

أبو الفرج في كتاب النساء قال : قال عبد الملك بن مروان: من أراد الباه[3] فعليه بالبربريات، ومن أراد الخدمة فعليه بالروميات، ومن أراد النجابة فعليه بالفارسيات.

---

(١) فأتى بالياء بدلًا من الراء فقيل: (تسريت) بدلًا من (تسررت) ومثلها: تظنيت بدلًا من تظننت.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب المراسيل باب ما جاء في النكاح ص ٢٣.

(٣) الباه: النكاح.

• أيها أنجب؟!

قال : وقالوا بنات العجم والغرائب أنجب، وما ضرب رءوس الأقران[١] كابن أعجمية.

(أنجب): يريد أكثر إنجابا كما قالوا ما أولاه للمعروف ! (والغرائب): البعداء الذين لا قرابة بينك وبينهم، ومنه في الحديث : «اغتربوا لا تضووا» وقد تقدم الكلام على ذلك .

• عجبي من هؤلاء!

المبرد في الكامل قال : قال سلمة بن عبد الملك إني لأعجب من ثلاثة: رجل قصّر شعره ثم عاد فأطاله! ورجل شمر ثوبه ثم عاد فأسبله[٢] ، ورجل تمتع بالسراري ثم عاد إلى المَهيرات.

المهيرات : جمع مَهيرَة وهي الحُرّة المَمْهُورة فعيلة بمعنى مفعولة من قولك مَهَرْتُها إذا جعلت لها مهرًا وقد يقال أمهرتها بالألف وهو قليل .

• عليكم بالقيان!

ابن سعيد في كنوز المطالب قال : قال موسى الكاظم: عليكم بالقِيان. فإن لهن فِطَنًا وعُقولا ليست لكثير من النساء.

القيان : جمع قينة، قال صاحب الصِّحَاح: وهي الأَمَةُ مَغَنّيَةً كانت أو غير مغنية.

قال : وبعض الناس يظنون القَيْنَةَ المغَنّية خاصة، وليس الأمر كذلك، انتهى ما ذكره صاحب الصِّحَاح .

واعلم أن الكاظم إنما أراد بالقيان الإماء المغنيات بالاصطلاح العرفي والذي ذكره صاحب الصّحاح هو المدلول اللغوي.

• مواصفات مطلوب إجراء البحث عنها!

أبو الفرج في كتاب النساء قال : كتب هشام بن عبد الملك إلى عامله على إفريقية: أما بعد فإن أمير المؤمنين لما رأى ما كان يبعث به موسى بن نصير إلى عبد الملك رحمه الله تعالى أراد مثله منك وعندك من الجواري البربريات المائلات للأعين الآخذات بالقلوب ما هو مُعْوِزٌ[٣] لنا بالشام وما والاه فتلطّف في الانتقاء، وتوخَّ أنيقَ الجَمال، وعظم الأكفال[٤] وسعة الصدور ولين الأجساد، ورقة الأنامل وسبوطة العَصَب[٥] وجدالة الأسْوُق[٦] وجؤل الفروع[٧] ، ونَجَالَةَ الأعين[٨] ، وسهولة الخُدود، وصغر الأفواه. وحُسْن الثغور وشطاط الأجسام[٩] ، واعتدال القَوام، ورخَامة[١٠] الكلام ومع ذلك فاقصد رشدة المولد، وطهارَة المنشأ؛ فإنهن يتخذن أمهات الأولاد والسلام .

• إذا حدثت أمير المؤمنين فحدثه بمثل حديثك هذا!

أبو الفرج في الكتاب المذكور وابن الكردبوس في الاكتفاء. دخل حديث بعضهما في بعض قالا:

---

(١) جمع قِرْن بكسر القاف. من يقاومك في علم أو قتال أو غيرهما.

(٢) أسبله: أرسله.

(٣) نحتاج إليه ونبحث عنه فلا نجده، ونعجز عن تحقيقه.

(٤) الأكفال: جمع كفل بفتحتين - الأعجاز.

(٥) سبوطة العصب سهولته واسترساله.

(٦) جدالة الأسوق: الأسوق: جمع ساق والجدالة. يقال: جارية مجدولة الخلق حسنته. ويقال ساق جَدْلاء. محكمة الجدل (كما نقول بلغتنا (ملفوفة).

(٧) جُؤل الفروع: ضخمة الأطراف. قال في المعجم الوسيط: الجئيل: الضخم من كل شيء.

(٨) نجالة الأعين: اتساعها.

(٩) الشّطاط: الطول وحسن القوام.

(١٠) رخامة الصوت: رقته وحسنه، ولينه وسهولته.

كانت عند أبي العباس السفاح أم سلمة بنت يعقوب بن عبد الله المخزومي، وكان قد أحبها حُبًّا شديدا، ووقعت في قلبه موقعا لطيفا فحلَف لها أن لا يتخذ عليها سُرِّيَّة ولا يتزوج عليها امرأة فوفى لها بذلك، فخلا به خالد بن صفوان يوما فقال له: يا أمير المؤمنين فكرت في أمرك وسعة ملكك، وأنك قد ملكت نفسك امرأة واقتصرت عليها، فإن مَرِضَت مَرِضْتَ، وإن حاضت حِضْت وحرمت نفسك التلذذ بالسراري، واستظراف الجواري، ومعرفة اختلاف حالاتِهن وأجناس التمتع بما يشتهي منهن، فمنهن يا أمير المؤمنين الطويلة الغَيْداء [١]، والبَضّة [٢] البَيْضَاء والعتيقة الأدماء [٣]. والذهبية السمراء والبربرية العجزاء، والمولّدات المدنيات اللواتي يفتِنّ بمحاورتهن، ويخلبن بحلاوتهن، ولو رأيت يا أمير المؤمنين السمراء واللعساء من مولدات البصرة والكوفة، ذوات الألسن العذبة والقدود المهَفْهَفَة، والأوساط المخصّرة، والثُّدِيّ النواهِد المحَقَّقَة وحُسْنَ زِيّهن وشكلهن لرأيت فِتَنًا ومنظرًا حسنًا! وأين أنت يا أمير المؤمنين من بنات الأحرار، والنظر إلى فيما عندهن من الحياء والتّخَفُّر والتعطر والدلال.

وأقبل خالد يجيد في الوصف ويُكثر في الإطناب بحلاوة لفظه، وجودة كلامه فلما فرغ، قال له أبو العباس: ويحك يا خالد والله ما سلك مسامعي قط كلامٌ أحسن مما سمعته منك فأعده علي؛ فأعاده عليه وزاد فيه ثم انصرف خالد وبقي أبو العباس متفكرًا مغمومًا، فدخلت عليه أم سلمة، وكانت تَبَرّه كثيرا وتبغى مَسَرّتَهُ وموافقته في جميع ما أراد، فقالت له: ما لي أراك مغمومًا يا أمير المؤمنين فهل حدث ما تكرهه، أو أتاك خبرٌ ارتعت له؟! قال: لم يكن شيء من ذلك! قالت: فما قصتك؟ فجعل يكتم عنها فلم تزل به حتى أخبرها بما قاله خالد؛ قالت: فما قلت لابن الفاعلة [٤]؟ قال: سبحان الله ينصحني وأنت تسبينه؟! فخرجت من عنده وأرسلت إلى خالد عبيدا لها وأمرتهم بضربه والتنكيل به، قال خالد: وكنت انصرفت إلى منزلي مسرورا بما رأيت من إصغاء أمير المؤمنين إلى كلامي وإعجابه بما ألقيت عليه وأنا لا أشك في الصِّلة [٥]، فلم ألبث أن جاء أولئك العبيد فلما رأيتهم أقبلوا نحوي، أيقنت بالجائزة فوقفوا عليّ [٦]، وسألوا عني فعرفتهم بنفسي فأهوى إليّ أحدهم بَعمُود كان في يده، فبادرت إلى الدار وأغلقت الباب، ومكثت أياما لا أخرج من منزلي وطلبني أمير المؤمنين طلبًا شديدا، فلم أشعر ذات يوم إلا بقوم هجموا عليّ وقالوا: أجب أمير المؤمنين فأيقنت بالموت وقلت: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة : ١٥٦] لم أر دم شيخ أضيعَ من دمي! وركبت فلم أصل إلى الدار حتى استقبلني عدة رُسل، فدخلت على أمير المؤمنين فوجدته جالسًا فأومأ [٧] إليّ بالجلوس فثاب [٨] عقلي، فجلست وفي المجلس باب عليه ستُور قد أرْخِيَتْ، وخلفه حَركة وقال لي: يا خالد لم أرك منذ ثلاث؟! قلت: كنت عليلًا يا أمير المؤمنين! قال: إنك وصفت لي من أمر النساء والجواري ما لم يُخْرق سمعي كلامٌ قَطُّ أحسن منه فأعده عليّ، قلت: نعم يا أمير المؤمنين، أعلمتك أن العرب إنما اشتقت اسم الضرة من الضرر، وأن أحدا لم يكن عنده امرأتان إلا كان في ضرر وتنغيص. قال: ويحك! لم يكن هذا في حديثك قلت: نعم يا أمير المؤمنين وأخبرتك أن الثلاث من النساء كأثافي [٩] القِدْر تغلي عليها أبدا، وأن الأربع شر مجموع لصاحبه يُهْرِمْنَه ويُسْقِمْنه ويُضْعِفْنَه، وأن أبكار الإماء

---

(١) الأغيد: من الثبات: الناعم المتثنى ومن الناس: المتثنى في نعومة.
(٢) البض: البدن امتلأ ونضر وللبشرة رقت ونضرت.
(٣) العتيقة: المعتوقة. الأدماء شديدة السُمرة.
(٤) من عبارات السب والذم.
(٥) في أن أمير المؤمنين سيصلني بهدية جزاء ما نصحته به!
(٦) توقفوا عندي.
(٧) أومأ: أشار.
(٨) ثاب عقلي: رجع وهدأت نفسي.
(٩) الأثافي. جمع أثفية أحد أحجار ثلاثة توضع عليها القِدْر. ويقال: رماه بثالثة الأثافي أي بداهية.

رجال ولكن لا خصي لهن. قال: فقال: بَرِئت من قرابتي لرسول الله ﷺ إن كنتُ سمعتُ منك شيئًا من هذا قط!!، قال خالد: بَلَى يا أمير المؤمنين، وعرفتك أن بني مخزوم ريحانة قُرَيش، وأن عندك ريحانة الرياحين، وأنت تطمح بعينك إلى الإماء والسرّاري، قال: فقال: ويحك تُكَذِّبُني!!، صدقت والله يا عمّ بهذا حدثته!! ولكنه بَدّل وغَيّر ونَطَق على لسانِك بما لم تنطق به، قال خالد: فقمت عنهما، وتركتهما يتراوضان في أمرهما فما شعرت إلا برسل أم سلمة ومعهم المال وتَخْتٌ [1] وثياب، فقالوا لي: تقول لك أم سلمة إذا حدثت أميرَ المؤمنين فحَدّثْه بمثل حديثك هذا.

• محاولة تعقبها حظوة!

قال ابن الكردبوس : هي أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي، قال: وكانت قبله عند عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مروان فهلك عنها، وغيره يقول إنها كانت عند سلمة بن هشام بن عبد الملك، قال: بينما هي ذات يوم جالسة على قبره إذْ مرّ بها السفاح، وكان وسيمًا جميلا فسألت عنه فنُسِبَ لها فأرسلت إليه مولاتها تعرض له بخطبتها، وأرسلت إليه معها بمال، وكان لأم سَلَمَة مال عظيم، وجوهر كثير فاعتذر أبو العباس لمولاتها بفقره، فدفعت له المال الذي وجهت به إليه فقبله وتوجه إلى أخيها فخطبها إليه فزوجه إياها فابتنى بها من ليلته. ولما دخل عليها وجدها على مِنَصة فصعد إليها فإذا كل عضو منها قد كُلّلَ بالجوهر، فحاول مواقعتها [2] على تلك الحال فلم تكن به نهضة [3] فأزالت الجوهر وغيرت لباسها ودنا منها فلم يستطع على شيء، فآنسته وقالت: لا يضرك هذا فلم يزل هذا شأن الرجال، ولم يزل طول ليلته يُعالِجُها إلى أن واقعها وقد حظيت عنده فغلبت عليه لما صار الأمر له.

• عندما ينعدم الوفاء!

قال غير ابن الكردبوس : ولم توف له بعد موته، فإنها تزوجت بعده عمه إسماعيل بن علي سرًّا فكان يأتيها مستخفيا وبلغ خبرها أبا جعفر المنصور فغضب غضبًا شديدًا وقال: وَفّى لها في حياته ولم تفِ له بعد وفاته فأرسل إلى إسماعيل يحلف له بطلاق أم موسى لئن لم يطلقها لأضربن عنقك فطلقها وأخذ منها أبو جعفر جميع ما صار إليها من أبي العباس من حُلِيٍّ وغيره وقال: لو وَفَيتِ له لوَفَّيْنَا لك.

• وكل ذلك إرضاء لأم سلمة!

قالوا : ولم يكن أحد أحسن خلقا من أبي العباس إذ خلا مع أهله. قال بعض مواليه: لَعَهْدِي به ليلةً وأنا صغير وهو على سرير أم سلمة إذ مر به جاريتان صغيرتان، لم أر مثلهما قط قد اختمرتا [4] كما تختمر الجواري الحرائر واستدعى بهما وقال لهما: إماء أم حرائر؟ فقالتا: بل إماء، قال: فما لكما وللخمار؟ قالت: إن ذلك شأننا في بلادنا [5] ، وكانت أم سلمة أوصتهما بذلك قصدا أن لا ينظر إلى محاسنهما. فقال انزعا خماريكما، فأبتا خوفا من أم سلمة، فأمر بعض الخصْيان، فنَزَعهما، فإذا هما أجمل النساء شَعْرًا وسُهُولة خَدّ، وتمام قَدّ، وقد نهدت الثُّدي في صدورهما كأنهما حقاقٌ [6] ، قال: فنظر إليهما مَلِيًّا، ثم قال لغلام من خَدَمه: اذهب بهما إلى فلان وفلان وقل لهما يتخذاهما لأنفسهما ويستوصيا بهما خيرا فإني سائلهما عن حالهما وكان ذلك إرضاء لأم سلمة.

---

(١) التخت: وعاء تصان فيه الثياب. (٢) جماعها.

(٣) لم يجد من نفسه استجابة داخلية، وكثيرًا ما يحدث عند أول لقاء مثل ذلك، ولكن العضو ينشط بتغير الموقف وتجدد الحال.

(٤) غطتا وجهيهما بالخمار كما تفعل الحرائر. (٥) عادتنا وتقاليدنا.

(٦) جمع حُق. وعاء صغير يتخذ من عاج أو زجاج تشبه به الثدي. وقد قال أحدهم: (كأنْ ثدياه حُقان).

• من أبناء السراري:

عبد الملك بن حبيب في كتاب أدب النساء قال : حدثني مطرف عن مالك بن أنس قال: كان القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم من أبناء السراري .

• لماذا رغب أهل المدينة في السراري:

قال التيفاشي في قادمة الجناح: قال الأصمعي: كان أهل المدينة يكرهون السراري حتى نشأ فيهم هؤلاء الثلاثة ففاقوا أهل المدينة عِلْما وصَلاحًا فرغب الناس في السراري.

المبرد في الكامل قال : يروى عن رجل من قريش لم يُسَمَّ لنا أنه قال: كنت أجالس سعيد بن المسيّب فقال لي يوما: مَنْ أخوالك؟ فقلت: إن أمي فتاة[1] . قال: فكأني نقصت من عينه فأمهلت حتى دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وخرج من عنده فقلت له: يا أبا عبد الله من هذا؟ فقال: سبحان الله! أتجهل مثل هذا من قومك؟ هذا سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه. قلت: فمن أمه؟ قال: فتاة، ثم أتى القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فجلس عنده ثم نهض فقلت له : من هذا يا أبا عبد الله؟ فقال: ما أعجب أمرك أتجهل مثل هذا من قومك! هذا القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق فقلت: فمن أمه؟ قال: فتاة، قال: وأتاه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت له: من هذا يا أبا عبد الله؟ قال: هذا الذي لا يسع مسلمًا أن يجهله، هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قلت: فمن أمه؟ قال: فتاة، قال: قلت: يا أبا عبد الله، إني رأيتني نقصت في عينك لمّا علمت أنّى لأم ولد! فما لي في هؤلاء أسوة قال: فجللت في عينه جدا!! قال المبرد: وكانت أم علي بن الحسين سُلافَة من ولد «يَزْدجرد» معروفة النسب وكانت خَيّرة وكان يقال لعلي بن الحسين: ابن الخيرتَين، لقول رسول الله ﷺ: «لله من عباده خيرتان فخيرته من العرب قريش ومن العجم فارس».

• بلغني أنك تريد الخلافة!

الحُصْري في الزهر قال : قال هشام بن عبد الملك لزيد بن علي في كلام خاطبه به بلغني أنك تريد الخلافة ولا تَصْلح لها، لأنك ابن أَمَة فقال: إن إسماعيل عليه السلام ابن أَمَة وإسحاق أخوه عليه السلام ابن حُرّة فأخرج الله من صلبِ إسماعيل خير البشر وأخرج من صُلبِ إسحاق القردة والخنازير، فقال: إذن لا تراني إلا حيث تكره، وكان من خروجه ما كان .

• بين المنصور ومحمد بن عبد الله بن حسن حول الجذور!

المبرد في الكامل قال : كتب المنصور إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن علي بن ابي طالب لما كتب إليه محمد: «واعلم أني لست من أولاد الطلقاء، ولا من أولاد اللعناء، ولا أعْرَقتُ في الإماء، ولا حَضَنَتْني أمهات الأولاد، ولقد علمت أن هاشما ولد عليا مرتين، وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين، وأن رسول الله ﷺ ولدني مرتين».

---

[1] قال في المصباح: والفتى العبد، وجمعه في القلة فتية، وفي الكثرة فتيان، والأمة فتاة، وجمعها فتيات. والأصل فيه أن يقال للشاب الحدث فتى ثم استعير للعبد وإن كان شيخًا مجازًا تسمية باسم ما كان عليه.

فكتب إليه المنصور : أما ما ذكرت من ولادة هاشم عليا مرتين، وولادة عبد المطلب الحسن مرتين، فخير الأولين والآخرين رسول الله ﷺ. لم يلده هاشم إلا مرة واحدة، ولا عبد المطلب إلا مرة واحدة، ولقد علمت أنه بعث رسول الله ﷺ وعمومته أربعة فآمن به اثنان: أحدهما أبي وكفر به اثنان أحدهما أبوك، وأما ما ذكرت أنك لم تعرف في الإماء فقد فخرت على بني هاشم طُرًّا، أولهم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، ثم علي بن الحسين الذي لم يولد فيكم بعد وفاة رسول الله ﷺ مثله. انتهى ما ذكره أبو العباس رحمه الله.

وكانت أم المنصور التي عرض بها محمد بن عبد الله في كتابه إليه مُوَلّدَة من مَوَلّدات البصرة.

• لولا هاجر لكنت كلبا!

الجاحظ في البيان قال : قال الحجاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان لو كان رجل من ذهب لكنْتُه قال: وكيف ذلك؟ قال: لم تلدني أَمَةٌ بيني وبين آدم عليه السلام إلا هاجر، فقال له عبد الملك: لولا هاجر لكنت كلبا من الكلاب .

• يزيد الناقص ابن أول سرية ولدت ملكا في الإسلام:

يقال : إن أولَ سُرِّيَّة ولدت ملكا في الإسلام «شاه فريد» بنت فيروز بن يزدجرد، كان الوليد بن عبد الملك قد تسرى بها فولدت له ابنه يزيد وهو المعروف بالناقص، سمي كذلك لنقصه أَعْطِيَةَ الجُنْد، وقيل: سمي لطولِه وكَمالِه على الضد، وهو القائل:

أنا ابن عبد الملك بن مَرْوان وقَيْصر جَدّي وجَدّي خاقان

قال ابن السيد في الاقتضاب: ومعنى شاه فريد، سيدة البنات، وقال غيره: ملكة البنات.

• أبناء الإماء وأبناء الحرائر!

قال ابن حزم في نقط العروس : ولم يل الخلافة في الصدر الأول مَنْ أُمُّه أَمَةٌ حاشا يزيد وإبراهيم ابني الوليد، ولا وَلِيَها من بني العباس من أُمُّه حرة حاشا السفاحَ والمهديّ والأمينَ.

قال : ولم يَلِهَا من بني أمية بالأندلس مَن أُمُّه حُرة أصلا: انتهى كلام ابن حزم.

• من أشراط الساعة!

وقد أخبر النبي ﷺ أن مثل هذا من أشراط الساعة؛ فقال في حديث ابن عُمَرَ رضي الله عنه حين سأله جبريل عليه السلام عن أمارتها قال: «أن تلد الأَمَةُ ربَّتَها، وأن تَرَى الحُفاةَ العراةَ العالةَ رِعاءَ الشاء يتطاولون في البنيان»[1] .

كيف تلد الأمة ربتها!

قال العلماء : معنى قوله أن تلد الأمة رَبَّتَها أن الإسلام يتسع وتكثر السَّراري ويَسْتَوْلِدُهن الملوك وغيرُهم من سائر الناس فكأن ابنة السُّرِّية ربتها لأنها مِلْك لأبيها، وملك الأب في التقدير كأنه مِلْك للولد والله سبحانه وتعالى أعلم . قال المبرد : وأنشد الرياشي :

إن أولادَ السَّراري كثروا يارب فينا

(١) أخرجه مسلم من حديث طويل في كتاب الإيمان في باب بيان الإيمان والإحسان والإسلام (حديث سؤال جبريل عن الإيمان).

رب أدخلني بلادا لا أرى فيها هجينا[1]

وقال السُّلَيْك بن السَّلَكة وكانت أمه سوداء حبشية :

أشاب الرأسَ أني كل يوم أرى لي خالة وسط الرجال
يشق علي أن يَلْقَيْن ضيما ويَعجز عن تخليصهن مالِي

وقال عبد الله بن الحر وكان لأم ولد :

فإن تَكُ أمي من نساء أفاءها حِداد القنا والمرهفات الصفائح

أخذه من قول عنترة :

إني امرؤ من خيرِ عبسٍ منصبًا شطري وأحمي سائري بالمُنْصُلِ

• تبعة الانحراف!

قال البزار عن سعيد بن الحر عن سلمة بن كُلثوم عن عَطاء بن يَسار عن سَلْمان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اتخذ من الخَدم غير ما ينكح ثم بَغين، فعليه مثل آثامهن من غير أن ينقص من آثامهن شيئًا»[2].

قال عبد الحق في الأحكام : لا أعلم لعطاء سماعًا من سلمان ولا لقاء ولا رأيت من ذَكَر ذلك، انتهى ما ذكره عبد الحق. وسعيد بن الحر الواقع في هذا السند مجهول وسلمة بن كلثوم لا يعرف حاله.

• لا تتشبه الأمة بسيدتها!

عبد الملك بن حبيب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء عمر رضي الله عنه إلى منزله يوما فرأى امرأة عليها جلباب فرجع، ثم جاء إلى منزله ثانية فوجدها ثم رجع حتى فعل ذلك مرارا، فلما انصرفت قال لأهله: من هذه التي عَنَّتْنَا[3] هذا اليوم؟ قالوا هي أمة فلان، فلما رجع عمر قال للناس: لا تتشبه الأمة بسيدتها، لا تُلبسوهن الجلابيب، فإن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

• أحكام خاصة بالإماء!

قال ابن حبيب : ولم أرَ بالمدينة أمةً تخرج وإن كانت رابية إلا مكشوفة الرأس تلقى جلبابا على رأسها.

قال : ولا بأس أن تصلي الأمةُ كذلك مكشوفة الرأس والمِعْصم والساق، ولا بأس أن تُبدي ذلك في غير الصلاة والسراري في هذا وغير السراري بمنزلةَ واحدة.

• تفرقة بين الإماء الحسان المصونات وبين الإماء المتبذلات!

وفرق ابن القطان في كتابه المسمى بالنظر في هذا بين الإماء الحِسان المصونات المقصورات

---

[1] الهجين: العربي الذي ولد من أمة. أو من أبوه خير من أمه.

[2] أخرجه البزار كما في كنز العمال ٢٥٠١٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٢٩٨: رواه البزار عن عطاء بن يسار عن سلمان ولم يدركه وفيه من لم أعرفهم.

[3] أتعبتنا، وعرضت لنا وشغلتنا.

الحاملات من الجمال أكثر مما تحمله الحرائر وبين الإماء المتبذلات؛ فمال إلى وجوب التستر على من كانت منهن بالصفة الأولى وسقوطه عمن كانت بضد ذلك. وحكى عن الحسن البصري أنه كان يوجب الخمار على السُّرِّية يعني الأمة التي اتخذها الرجل لنفسه سواء كانت جميلة أو شوهاء وذكر أنه لا وجه لذلك، أما أمهات الأولاد فإن حكمهن حكم الحرائر في لباسهن وصلاتهن.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

الباب الثالث عشر

في تفضيل الأسنان، وما ورد في ذلك من الاستقباح والاستحسان

• زواج النبي بعائشة!

البخاري عن هِشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست سنين، وأُدْخِلت عليه وهي بنت تسع سنين ومكثت عنده تسعًا»[1]

مسلم عن عائشة رضي الله عنها بمثل ذلك وفي بعض رواياته «تزوجها وهي بنت سبع وزفت إليه وهي بنت تسع، ولُعبُها معها ومات ﷺ وهي بنت ثمان عشرة»[2].

• حدّ السن عند ابن حنبل ومناقشة هذا الرأي!

قال المازري في المعلم: رأيت لابن حنبل أنه جعل السبع سنين حدًّا للسن الذي يُزَوِّج فيه الأولياء البكرَ اليتيمة إذا رَضيت أخذا بحديث عائشة رضي الله عنها هذا. ولا معنى لهذا الأخذ إلا أن يريد ابن حنبل: أنه السن الذي تميّز فيه ويُعْتَدُّ برضاها، أو أراد أن هذا السن قد تحيض فيه بعض الجواري.

• رأي القاضي عياض!

قال عياض في الإكمال: وهذا الحديث أصل في وقت الدخول إذا حصل التشاجر في ذلك: فأوجبت طائفة إجبار بنت تسع على الدخول وهو قول أحمد وأبي عبيد. وقال مالك والشافعي: حد ذلك أن تُطيق الرجل.

قال الشافعي: وتُقَارِب البلوغَ.

وقال أبو حنيفة: حد ذلك أن تطيق الرجل وإن لم تبلغ التسع، ولأهلها منع الزوج منها إذا لم تُطِقْ ذلك وإن بلغت التسع وهو نحو قول مالك.

• حكم إلزام الزوج في ضمها والنفقة عليها!

قال عياض رحمه الله: وحكم إلزام الزوج أيضا في ضمها والنفقة عليها حكم هذا فحيث تجبر هي على الدخول يُجْبَر هو على الإنفاق.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب تزوج الأب ابنته من الإمام، ومسلم في صحيحه كتاب النكاح باب تزويج الأب البكر الصغيرة حديث ٦٩- ٧٠ والدارمي في سننه كتاب النكاح باب تزويج الصغار ٢/ ١٥٩.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب النكاح باب تزويج الأب البكر الصغيرة حديث ٧١، وأبو داود في سننه كتاب النكاح باب في تزويج الصغار، وابن ماجة في سننه كتاب النكاح باب نكاح الصغار حديث ١٨٧٧.

قال الدارودي : كانت عائشة رضي الله عنها قد شبت شبابا حسنا .

الخطابي في غريب الحديث : عن عائشة رضي الله عنها قالت : تزوجني رسول الله وأنا ابنة سبع، وبنى بي وأنا ابنة تسع وإني لأرجح [1] بين عِذقين إذا جاءتني أمي فأنزلتني حتى انتهت بي إلى الباب وأنا أُنْهَج، فمسحت على وجهي بشيء من مَاءٍ وفَرَقَتْ جَميمة [2] كانت عليّ ودخلت بي على رسول الله ﷺ. قال: أرجح، ألعب بالأرجوحة وهي حبل يربط بين شجرتين فيتعلق به والعِذْق بفتح العين النخلة، وقولها: أنهَج بضم الهمزة وفتح الهاء تريد أنها قد علاها البَهَر وقوة النَّفَس.

وفي حديث آخر ذكره الخطابي عنها قالت: تزوجني رسول الله ﷺ وعليّ حَوف فما هو إلا أن تزوجني فألقى علي الحياء. الحوف: بالحاء المهملة جلد يجعل على هيئة الإزار يلبسه الصّبيان، أرادت عائشة رضوان الله عليها أنها كانت من الصبا وحداثة السن في حالِ مَن يَلْبس هذا اللباس .

أبو الفرج في كتاب النساء عن عائشة رضي الله عنها قالت : لقد بني بي رسول الله ﷺ وأنا ألعب بالبنات، واللعب ، وكانت لي صواحب يلعبن معي فيتمنعن، ويَسْتَحْيين من رسول الله ﷺ وربما رأيته يخرج فيبعثهن إليّ واحدة واحدة .

• جواز اتخاذ البنات وإباحة لعب الجواري بهن وحكمة ذلك!

وفي هذا الحديث جواز اتخاذ البنات وإباحة لعب الجواري بهن لرؤيته ﷺ ذلك، وإقراره عليه فيكون ذلك تخصيصا لهن من جملة الصور المنهي عن اتخاذها.

قال عياض في الإكمال: والحكمة في ذلك تدريب الجواري على تربية الأولاد وإصلاح شأنهم قبل حصول الأولاد عندهن. قال: وقد أجاز العلماء بيعهن وشراءهن وقد كانت لهن سوق يُبَعْنَ فيها بالمدينة . ورويت عن مالك رواية في كراهة شرائهن قال: وذلك محمول على تنزيه ذوي المروءات عن محاولتهن بالبيع والشراء لا على كراهة اللعب بهن للجواري. وفرقة من العلماء قالوا: إن ذلك منسوخ بالنهي عن الصور قال: وجمهور العلماء على خلافه .

• هل لك في جارية شابة تعيد إليك ماضيك؟!

علقمة بن قيس قال : كنت أمشي مع عبد الله يعني ابن مسعود فلقيه عثمان رضي الله عنه فقام معه يحدثه فقال له عثمان: يا أبا عبد الرحمن ألا نزوجك جارية شابة لعلها تذكرك بعض ما مضى من زمانك؟! وفي رواية أخرى : لعلها تُرْجِع إليك ما كنت تعهد!! وذكر بقية الحديث.

قال عياض رحمه الله : فيه دليل على أن معظم المطلوب من النكاح الاستمتاع وهو من الشواب أمكن وفيهن ألذ لما هن عليه من رونق الشباب ونشاط الصغر وطيب الأفواه وإظهار الرغبة في الاستمتاع الذي تَتَوقّر عنه المسنّات من النساء .

• بنت عشر سنين وبنت ستين!

أبو الفرج في كتاب النساء قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : بنت عشر سنين تسمن [3]

---

(١) تركب أرجوحة. العِذْق جمع الشماريخ (العرجون) والجمع أعذاق مثل حمل وأحمال والعَذْق مثال فَلْس النخلة نفسها.

(٢) الجميمة. تصغير جُمة، وهي شعر الرأس الساقط على المنكبين.

(٣) يكثر لحمها وشحمها.

وتلين، وبنت عشرين تسر الناظرين، وبنت ثلاثين لذة للمعانقين ، وبنت أربعين ذات رَخاوة ولين، وبنت خمسين ذات بنات وبنين وبنت ستين عجوز في الغابرين .

• رأيهن في ابن عشرين وابن ستين!

الأبي في نثر الدرر قال : قالت امرأة لأخرى: ما تقولين في ابن عشرين؟ قالت: ريحانةٌ تشمّين. قالت فابن الثلاثين؟ قالت: شديد الطعن، متين [1] . قالت: فابن الأربعين؟ قالت: أبو بنات وبنين. فابن خمسين؟ قالت: عجوز في الخاطئين!! فابن الستين؟ قالت: صاحب سُعالٍ وأنين.

• وصف النساء وترتيب أسنانهن!

الزجاج في أماليه قال : سأل النعمان بنُ المنذر ضمرةَ بنَ ضمرة عن وصف النساء فأنشده:

متى تلقَ بنتَ العشر قد بضَّ ثَدْيُها ... كلؤلؤةِ الغوّاصِ يَهْتزُّ جِيدُها
تجد لذةً لخِفّةِ رُوحِها ... وغُرّتِها والحسنُ بعدُ يزيدها
وصاحبةُ العشرين لا شيءَ مثلُها ... فتلك التي تلهو بها وتريدها
وبنت الثلاثين الشفاء حديثُها ... هي العيش ما دَقّت ودَقّ عودُها
وإن تلق بنت الأربعين فغبطة ... وخير النساء ودّها وَوَلُودُها
وصاحبة الخمسين فيها بقِيّةٌ ... من الباهِ والّلذّاتِ صَلْبٌ عَمُودها
وصاحبة الستين لا خيرَ عندَها ... وفيها متاعٌ والحريصُ يُريدُها

قال الزجاج : قال الأخفش: لم يلق في ترتيب أسنان النساء مثل هذا الشعر [2] على ضعفه.

• بنات عشر إلى العشرين:

قال الزجاج : وأنشدني أبو عبد الله اليزيدي عن عمه قال : أنشدني محمد بن طاهر بن عبد الله ابن طاهر لنفسه :

مطَياتُ السرورِ بناتُ عَشْرٍ ... إلى العشرين ثم قِف المطايا
فإن جاوزتهن فَسِرْ قليلاً ... بنات الأربعين من الرَّزايا
مُقاساة النساءِ مع الليالي ... إذا أوْلَدْتَهن من البلايا

• للناس فيما يعشقون مذاهب!

عطاء بن مصعب قال : كنا بمجلس لنا بالبصرة ومعنا خالد بن صفوان إذ جلس إلينا أعرابي من بني العنبر فتذاكرنا النساء! فقال خالد بن صفوان: إن خير النساء التي احْتَنَك سِنُّها، واستحكمَ

---

[1] عند المعاشرة.

[2] بقية الأبيات كما في أمالي الزجاج:

وصاحبة السبعين إن تلقَ مُعْرِسًا ... عليها فتلكم خزية يستفيدها
ودات الثمانين التي قد نجلت ... من الكبر الفاني وقُدّ وريدُها
وصاحبة التسعين يرعش رأسها ... وباللبل مقلاق قليل هجودها
ومن طالع الأخبار فقد صل عقلُها ... وتحسب أن الناس طُرًّا عبيدها

رأيها، وخمص بطنها، وعَظُمت عجيزَتها[1]، وَمَلأتْ حُضُنَ مُعانقها. فقال الأعرابي: دع عنك الذي استحكم رأيُها! وعليك بها حين أكعَبت إلى أن أنهدت[2]، غِرّة لا تدري ما يراد بها. وأنشأ يقول:

عليك أبا صفوان إذْ كنت ناكِحًا ... فتاة أناس ذات إتْب ومئزر
لها كفل وافٍ، وبطنٌ مُعَكّنٌ ... وأخثم مثل القعب غير منور[3]

في معنى قوله غِرّة : لا تدري ما يراد بها .

• البعض يفضلونها صغيرة!

وأنشد أبو علي في الأمالي قال : أنشدنا أبو عبد الله نفطويه للمجنون :

وعلّقْتُ ليلى وهي غِر صَغِيرَةٌ ... ولم يبد للأتراب من ثَدْيها حَجْمُ
صغيرين نرعى البُهم ياليت أننا ... إلى الآن لم نكبر ولم يكبر البُهْمُ

يقال غِرّ : للمذكر والمؤنث بلفظ واحد، وقد يقال للمؤنث غرة، والبُهْم: صغار الضأن.

• فكاهة!

قال أبو الفرج في الأغاني: بينما أبو مليكة يؤذن إذْ سمع مغنيا يغني بهذين البيتين فأصغى إليه ولما أراد أن يقول: «حَيّ على الصلاة» قال: «حي على البُهم» فسمعه أهل مكة فأصبح يَعْتَذِرُ لَهم!!

ونحوه من قول المجنون قول جميل في هذا المعنى :

أما تذكرين لَيالي الحِمى ... وأيامَنا بِلوَى الأعصر
وأنت كلؤلؤة المرْزُبان ... وذيلُ شبابك لم يَعْصُرِ
وإذْ لِمَّتي[4] كجَناح الغراب ... تَضَمّخُ بالمسك والعنبر
صغيران منشؤنا واحد ... فمالي كبرتُ ولم تَكبري

وقال نصيب :

ولولا أن يقال صَبَا نُصَيب ... لقلت بنفسي النشء الصغار
بنفسي كل مَهْضُوم حَشَاها[5] ... إذا ظُلمتْ فليس لها انتصار

وأنشد الحُصْرِيّ في الزّهر لبشار :

عَجِبَت فطمة من نَعْتِي لَهَا ... هل يجيد النعتَ مكفوفُ البصر
بنتُ عشرٍ وثلاثٍ قُسِّمت ... بين غُصْنٍ، وكثيب، وقمر
دُرّيةٌ بَحْرِيّة مكنونةٌ ... مَازَها التاجرُ من بين الدرر[6]

---

(١) خمص: ضمر. عجزيتها: مؤخرتها. (٢) أكعبت: برز ثديها فهي كاعب، وأنهدت بدا نهداها.
(٣) الإتب: القميص أو الثوب القصير والأخثم هو كل مستدير منبسط.
(٤) اللمّة بكسر اللام - الشعر الذي يجاوز شحمة الأذنين، فإذا بلغ المنكبين فهو جُمّة.
(٥) مهضوم حشاها: كناية عن رقة خصرها!
(٦) نعتي وصفي: قعودها غض، ووجها قمر، وعجزيتها (مؤخرتها) كثيب. ومازها. ميّزها وانتقاها.

• طبائع النساء على اختلاف أسنانهن!

قال أبو الفرج في كتاب النساء : وأضفت إلى كلامه هذا زيادات من كلام غيره أخلاق النساء في اختلاف أسنانهن على ضروب[1] . فمنهن الكاعب وهي الحَدَثةُ السن التي قد كَعَبَ ثَدْيها أي ظَهَر. ومن طباعها الصّدق في كل ما تُسأل عنه وقلّةُ الكتمان لما عَلِمَته، وقلة التستر والحياء وعدم المخالفة من الرجال. ومنهن الناهد: وتسمى المفَلّكَة أيضا وهي التي نهد ثَدْيُها وفلك أي استدار ولم يتكامل بعدُ شبابُها فتَسْتَتر بعضَ الاستتار، وتُظهر بعض محاسنها وتُحب أن يُتأمّل ذلك منها. ومنهن المُعْصِر: وهي الممتلئة شبابا التي قد اسْتُكمِلَ خَلْقُها وعَظُم ثدياها فيحدث عندها دَلال وأدب وتحلو ألفاظُها، ويعذب كلامها، وتشتد غُلْمَتُها ويقال فيها أيضا معصرة وقال الشاعر :

مُعْصِرةٌ وقد دنا إعصارها يَنْحَلّ من غُلْمَتِها إزارُها

ومنهن النّاعس : وهي المتوسطة الشباب التي تهيأ ثدياها للانكسار فتحسن مشيتها ومنطقها، وتُبْدي محاسنَها بُغنْج ودلال. وأحب الأشياء إليها مُفَاكَهَة الرجال ومداعبتهم وهي في هذه الحال قوية الشهوة مُسْتَحْكِمَتُها. ومنهن سلفة: وهي المتناهية الشباب ولا شيء أشهى منها في المباضعة ويُعْجِبُها المطاولة في الإنزال. ومنهن النَّصَف: وهي التي يأخذ ماء وجهها في النقص، ولَحْمُها في الاسترخاء وذلك بعد مجاوزة الأربعين وهي التي قال فيها الشاعر :

وإن أتوك وقالوا : إنها نَصَفٌ فإن أحْسَنَ نصفَيْها الذي ذهَبا

وتكون ملاطفة للرجال مداريةً لهم، شديدةَ الحرص عليهم. وما فوق ذلك فالعجوز التي يجب على العاقل أن يرغب[2] عنها ولا يقرب منها .

• خير نصفي عمر الرجل وشر نصفي عمر المرأة!

الأصمعي قال : خاصم رجل امرأته إلى زياد وكانت قد أسَنّت فاشتد زياد على الرجل؛ فقال الرجل: أصلح الله الأمير إن خير نصفي عمر الرجل آخرُهما. يذهب جهلُه، ويَثُوبُ حِلْمُه، ويجتمع رأيُه. وإن شر نصفي عمر المرأة آخرُها يسوء عقلُها، ويَمتدُّ لسانُها، ويعظم رحمها فحكم له عليها.

• حنين إلى سن الحيض!

أبو الفرج في الأغاني قال : لما أسنّت رملةُ بنت عبد الله بن خلف وكانت ضرّة لعائشة بنت طلحة عند عمرو بن عبيد الله جعلت تتجنبه في مثل أيام أقرائها[3] تريد أنها في سن من تحيض فقال الشاعر:

جعل الله كل قطرة حيض قطرت منك في حماليق عيني

• من حملن في الستين والخمسين!

قال الزبير : حملت هند بنت أبي عبيدة بموسى بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب ولها ستون سنة قال: ولا تحمل لستين إلا قرشية ولا تحمل لخمسين إلا عربية.

الخطابي في غريب الحديث : عن ميمونة بنت كردم قالت: سأل رجل رسول الله ﷺ عن امرأة

---

(١) جمع ضرب، وهو النوع، والصّنف، والقسم.
(٢) رغب عنها ابتعد بخلاف رغب فيها.
(٣) جمع قُرْء: الحيض.

أراد نكاحها فقال: «وبقَرْنِ أيّ النساء هي؟»[1]، قال: قد رأت القتير يريد الشيب، قال: «دعها»، يريد بقرن أي السن يقال: فلان على قرن فلان أي على سنه. وأخرج الحديث أبو داود عن ميمونة، وذكر أن السائل لرسول الله ﷺ هو أبوها، وأن رسول الله ﷺ قال له: «أرى أن تتركها»[2].

• التوافق في السن!

الخطابي قال: قال عمر: لا يَنْكِحَنّ أحدُكم إلا لِمَتَه من النساء، لمته مخففة من كان سِنه كأنه كره للشاب أن يتزوج المسنة، وللمسن أن يتزوج الشابة، قال: وقد بينا الكلام على هذا في باب قبل هذا.

• إياكم والعجوز!

وكيع في مصنفه عن معروف بن واصل عن محارب بن دِثار قال: قال رسول الله ﷺ: «انكحوا وإياكم والعجوزَ والعقر» وهو مرسل[3].

أبو الفرج في كتاب النساء قال: خطب رسول الله ﷺ ضباعة بنت عاقر إلى أبيها سلمة بن هشام وقد كان ذكر له عنها جمال فقال: حتى أستأذنها فأتاها فأخبرها، فقالت: وماذا قلت له؟ قال: قلت حتى أستأمرها قالت: وفي النبي ﷺ تستأمرني؟ ارجع فزوجه، وذكر النّبي ﷺ أنها قد كبرت فرجع إليه سلمة فعرضها عليه فسكت النبي ﷺ. وقال الأطباء: «نكاح العجوز سم من السموم يُفني البدن ويُورث الهم والحزن».

وقال الشاعر:

لا تَنْكِحَنّ عجوزًا إن دعوك لها ... وانفض ثيابك عنها مُمْعِنًا هربا
فإن أتوك وقالوا إنها نَصَفٌ ... فإن أحسن نصفيها الذي ذهبا

• للتين قوم وللجميز أقوام!

ولم يشبب[4] أحد من الشعراء بعجوز إلا أبا الأسود الدؤلي فإنه أنشده أبو تمام في الحماسة فقال:

أبى القلب إلا أُمَّ عَوْف وُحبَّها ... عجوزًا ومن يُحْبِبْ عجوزًا يُفَند[5]
كسحق اليمانيّ قد تقادم عهدُه ... ورُقْعَتُه ما شئت في العين واليد[6]

يقول: هي كالثوب اليماني ذهبت جدّتُه فهو يروق العين مرأة واليد مَلْمَسًا.

وذكر عاصم في شرحه للحماسة: إن خرقاء صاحبة ذي الرّمّة أرسلت إلى القحيف ليشبب بها فقال: لا أشبب بعجوز فبرزت له- وقد أماءت- فأخذت بمجامع قلبه ورأى أحسن النساء فقال:

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده من حديث طويل ٦/ ٣٦٦، وأشار إليه ابن الأثير في الجزء الثالث من النهاية في غريب الحديث فقال: (وبقرن أي النساء هي) أي بسن أيهن.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب النكاح باب في تزويج من لم يولد حديث ٢١٠٣.

(٣) ما سقط من آخر سنده راوٍ بعد التابعي. كقول التابعي: قول رسول الله ﷺ. والحديث سبق تخريجه.

(٤) من التشبيب وهو الغزل.

(٥) يُفَنّد: يلام ويجهل.

(٦) السحق: البالي. ويضاف فيقال: سحق ثوب، وسحق عمامة، واليماني: العصب المنسوب إلى اليمن وهي برود يعصب غزلها ويجمع ويشد ثم يُصْبغ فيأتي مُوَشّى.

لقد أرسلت خرقاء نحوي رسولها لتجعلني خرفاء ممن أضَلّتِ
وخرقاء لا تزداد إلا ملاحة ولو عمرت تعمير نوح وجلت

(قوله أماءت: أي بلغت مائة سنة).

ولأبي منصور الثعالبي في كتابه المعروف بفقه اللغة: فصل في ترتيب الأسنان وفيه مخالفة لبعض ما تقدم، قال: هي طِفْلَةٌ مادامت صغيرة: ثم وليدة إذا تحركت.. ثم كاعب إذا كَعَب ثَدْيُها. ثم ناهد إذا دار. ثم مُعْصِر إذا أدركت. ثم عانس إذا ارتفعت عن حد الإعصار. ثم جَوْد إذا تَوَسّطَت الشّباب. ثم مُسْلِف إذا جاوزت الأربعين. ثم نَصَف إذا كانت بين الشباب والتعجيز. ثم شَهْلة كَهْلة إذا وجدت مس الكِبَر وفيها بقية وجَلَد. ثم شَهْبَرَةٌ إذا عجزت وفيها تماسك. ثم حَيْزبون إذا رجعت عالية السِّن ناقصة القوة. ثم لَطْلَط إذا انحنى قدها وسقطت أسنانها.

الباب الرابع عشر
في الأبكار والثيب

• وصف نساء أهل الجنة!

قال الله تعالى في وصف نساء الجنة: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٣٧]. فامتنّ سبحانه على أهل طاعته بأن أنشأهن لهم أبكارا لم يعرفن غيرهم، كما قال في آية أخرى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن:٧٤] والطَّمْثُ الافتضاض -الافتضاض بالفاء والتاء يعني إزالة بكارة العذراء، ولا يكون إلا مع دم فلا يقال في الثّيب طمث، كذا قال الفراء: ومنه قيل للحائض: طامث لأجل الدّم وخالفه في ذلك غيرُه.

• فهلّا بكرًا تلاعبها وتلاعبك؟!

البخاري عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أنكحتَ يا جابر؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: أبكرًا أم ثيبا؟ قلت: بل ثيبًا، قال: فهلّا بكرًا تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك؟!»[1].

الخطابي في غريب الحديث: عن مكحول أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهًا وأنتق أرحامًا، وأغرّ غرة»[2].

قوله: أنتق أرحامًا: أي أقبل للولد، وأغر غرة: إشارة إلى تضوع(اللون) فإن الأيمة[3] وطول التَّعَنُّس يُحيلان اللّونَ، وفيه تفسير غير هذا، وزاد أبو علي في الأمالي «وأرضى باليسير» قال عبد الملك بن حبيب يعني: باليَسير من الجِماع.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب نكاح الأبكار انظر فتح الباري حديث رقم ٥٠٨٠، والبيهقي في السنن ٧/ ٧٩.

(٢) رواه ابن ماجة بنحوه في كتاب النكاح باب تزوج الأبكار حديث رقم ١٨٦١ وابن الجوزي في غريب الحديث ١/ ٣٨٩ والبيهقي في السنن ٧/ ٨٠. جاء في الجزء الرابع من النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير نتق - فيه (عليكم بالأبكار فإنهن أنتق أرحامًا) أي أكثر أولادًا يقال للمرأة الكثيرة الولد: ناتق؛ لأنها ترمي بالأولاد رميًا. والنتق: الرمي والنفض والحركة. والنتق: الرفع أيضًا. ثم قال في مادة (غرر) ومنه الحديث: عليكم بالأبكار فإنهن أغرُّ غرّةً يحتمل أن يكون من غرة البياض وصفاء اللون، ويحتمل أن يكون من حسن الخلق والعشرة ويؤيده الحديث الآخر: (عليكم بالأبكار فإنهن أغر أخلاقًا) أي أنهن أبعد من فطنة الشر ومعرفته من الغِرة وهي الغفلة اهـ.

(٣) البقاء دون زوج.

• ما كان يصنعه رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته!

هشام بن عُروة عن أبيه قال: قيل لعائشة: ما كان رسول الله ﷺ يَصْنَع إذا خلا في بيته؟ قالت: والله ما كان إلا بَشَرًا ولكن الله أكرمه وأكرم به، والله إنه كان لَيَخْصِفُ نعلَه، ويَرْقَع ثوبَه، ويحدث أحاديث الناس، ولقد قلت له يوما: يا رسول الله لو إنك إن وجدت روضتين في إحداهما شَجَرٌ ونَبات قد رعي وأكل وفي الأخرى شجر ونبات أُنُفٌ لم يُرْعَ، في أيهما كنت مُرْسلًا بعيرَك؟ فقال رسول الله ﷺ: «في الأُنُف التي لم تُرْع»، فقلت: يا رسول الله فذلك مَثَلي ومَثَل نسائك كلّهن ليس منهن واحدة إلا كانت عند غيرك قَبْلك. اختصره البخاري وأخرج بعضه وقال: تَعْني أن رسول الله ﷺ لم يَتَزَوَّجْ بِكرًا غيرَها [1].

• الخواص التي توجد في البكر دون التي اختبرت الرجال!

قال الغزالي في الإحياء: في البِكر خواص لا توجد في الثيب، منها: أنها لا تحنّ أبدًا إلا إلى الزّوج الأول، فإن الطباعَ مجبولةٌ على الأُنس بأول مألوف وآكد الحب ما يقع مع المحبوب الأول غالبًا. ومنها: إقبال الرجل عليها وعدم نفوره منها، فإن طبع الإنسان ينفر عن التي مسها غيره، ويثقل ذلك عليه مهما تذكره، وبعض الطباع في هذا أشد نفورًا من بعض. ومنها: أنها ترضى في الغالب بجميع أحوال الزوج الأول لأنها أنست به ولم ترَ غيره. وأما التي اختبرت الرجال ومارست الأحوال فربما لا ترضى ببعض الأوصاف التي تخالف ما ألفته فتقلى الزوج [2] بسبب ذلك.

أبو الفرج في كتاب النساء: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لا تنسى المرأة أبا عذرها ولا قاتل بكرها.

أبو عُذْرها: هو الذي افتضها أول مرة فأزال عنها عذرها والعذر والعذرة بمعنى واحد وهو البكارة، وبكرها أول ولد يولد لها.

• ما لذة ساعة؟ وما لذة الأبد؟

ابن عبد المؤمن في شرح المقامات قال: قيل لأبرويز وكان حكيما: ما لذة ساعة؟ قال: الجماع، قيل: فما لذة يوم؟ قال: الحَمّام، قيل: فما لذة جُمعة؟ قال: النُّورَة، قيل: فما لذة سَنة؟ قال: تزوج البكر، قيل: فما لذة الأبد؟ قال: أما في الدنيا فمحادثة الإخوان، وأما في الآخرة فنعيم الجنة. صاحب كتاب عقلاء المجانين قال: أراد رجل النكاحَ فقال: لأستشيرن أول من يطلع ثم لأعملن برأيه فكان أول من طلع عليه هَبَنَّقة [3] القيسي وهو راكب على قصبة [4] فقال له: إني أردت النكاح فما تشير علي؟ قال: البكر لك، والثيب عليك، وذات الولد من غيرك لا تَقْرَبْها (واحذر جوادي [5] أن يَرْمَحَك).

• الحريري صاحب المقامات يفضلها بكرًا!

ولأبي محمد الحريري رحمه الله في إحدى مقاماته فصل في تفضيل البكر على الثيب قال فيه: أما البِكر فالدُّرة المخزونة [6] والبَيْضة المكنونة [7] والثمرة الباكورة [8] والسُّلافة [9] المدْخُورة والروضة

---

(١) أخرجه البخاري بنحوه في صحيحه كتاب النكاح باب نكاح الأبكار. (٢) القلى: الكره.

(٣) أحد المشهورين بالحمق والبله. (٤) من القصب الفارسي. عود طويل يركبه الأطفال كأنه حصان.

(٥) جوادي: حصاني. (٦) أي اللؤلؤة التي جعلت في الخزانة لحسنها وشرفها. (٧) أي المخبأة المستورة.

(٨) في المقامات طبعة ١٣٢٦ هـ: والباكورة الجنية = والباكورة أول ثمر الشجرة، والجنية التي لم تذبل.

(٩) في المقامات: والسلافة الهنية. هي من الخمر ما سال من العنب من غير عصر = كناية عن كونها لم تلمس.

الأُنف [١]، والطوق الذي ثمن [٢] وشرف، لم يُدَنّسها لامس [٣]، ولا استغشاها لابس [٤]، ولا مارسها عابث [٥] ولا أوكسها طامث [٦]، ولها الوجه الحَيّي والطرف الخفي [٧] واللسان العَيِيّ [٨]، والقلب النَقي [٩]، ثم هي الدّمية [١٠] الملاعبةَ واللعبة المداعبة [١١] والغزالة المغازلة [١٢] والملحة الكاملة والوشاح الطاهر القشيب [١٣] والضجيع الذي يُشِبُّ ولا يُشيبُ [١٤].

وله فصل في ضد ذلك: هي المُهْرةُ الأبية العنان [١٥]، والمطيةُ البطيئةُ الإذعان [١٦]، والزَّنْدَة [١٧] المتَعَسِّرَةُ الاقتداح، والقَلْعَةُ المسْتَصْعَبَةُ الافتتاح ثم إن مَؤُونتَها كبيرة، ومعونتها يَسيرة، وعِشْرَتَها صَلَفَة [١٨]، ودالَّتها مكلّفة [١٩]، ويدَها خَرقاء [٢٠]، وفتنتها صَمّاء [٢١]، وعريكتَها خَشْنَاء [٢٢]، وليلتَها ليلاء [٢٣] وفي رياضتها عَنَاء [٢٤]، وعلى خبْرَتِها غشاء [٢٥]، وطالما أخزت المُنَازل [٢٦]، وفَرِكَت المُغَازل [٢٧]، وأحنقت الهَازل [٢٨]، وأضرعت الفَنيقَ أخْزَت البازل [٢٩]، ثم إنها تقول أنا ألبس وأجلس [٣٠] فأطلبُ مَنْ يُطْلِقُ ويحبس [٣١].

وله فصل في المقامة المذكورة في تفضيل الثيب: وأما الثّيِّب فالمطية المذَلَّلة [٣٢]، واللهْنَةُ [٣٣] المعَجّلة، والبغيةُ المسَهَّلة والطيَّة المعللة [٣٤]، والقرينةُ المتحَبِّبَة [٣٥] والخليلةُ [٣٦] المتقرّبة، والصَّنَاع [٣٨] المَدبّرة، والفَطِنةُ المختبرة، ثم إنها عُجالَةُ الراكب [٣٩]، وأنشوطَةُ الْخَاطِب [٤٠]، وقَعْدَةُ

---

(١) الروضة الأنف: التي لم تُرْع بعد. (٢) والطوق: ضرب من الحلي يوضع في العنق - مما غلا ثمنه وعظم قدره. (٣) أي ناكح.

(٤) أي غشيها قال تعالى: ﴿فلما تغشاها حملت حملا﴾ [الأعراف:١٨٩] والمراد به الزوج.

(٥) أي ولا عالجها لاعب ومداعب بإسالة الدم. (٦) أي نقص قيمتها من الوكس وهو النقص، والطمث: الافتضاض.

(٧) هو تحريك الجفن للنظر مع الحياء والخفَر. (٨) يعني الذي لا سلاطة فيه.

(٩) أي الخالص الذي ليس فيه حيلة لا مكر. (١٠) الدُّمية: اللعبة.

(١١) بضم اللام ما يلعب به كالشطرنج وغيره فاستعارها للبكر لكونها يلتهي بها كاللعبة والمداعبة: الممازحة.

(١٢) الظبية: المحادثة والمراودة. (١٣) قلادة ترصع بالجواهر - والقشيب: الجديد. (١٤) أي يجعلك شابًا ولا يشيبك.

(١٥) المستعصبة الانقياد. (١٦) أي الخضوع والذّلة. (١٧) الزندة: الشديدة، والزند هو العود الذي يقدح به النار.

(١٨) أي قليلة الخير من الصلف وهو قلة المطر مع كثرة الرعد. ومنه قولهم: رب صلف تحت الراعدة. والصلفة المجاوزة حد الظرف المدعية فوق الحد. ويمكن أن يراد في عشرتها مشقة.

(١٩) أي دلالها. (٢٠) مُبذرة. أي لا تحسن التصرف في معيشتها. (٢١) أي شديدة. شبهت بالحية الصماء التي لا تقبل الرقي.

(٢٢) العريكة في الأصل السنام وفلان لين العريكة إذا كان سهل الممارسة، والخشونة ضد اللين. (٢٣) شديدة الظلام.

(٢٤) في ممارستها ومعاشرتها تعب ومشقة. (٢٥) مجهولة الحال. والغشاء: الغطاء. (٢٦) المنازل: المحارب والمراد الزوج.

(٢٧) المغازل الممازح والمحادث والفرك: البغض. (٢٨) أحنقت: أبغضت من يستعمل الهزل.

(٢٩) أضرعت: أذلت وأخضعت الرجل المجرب. واصل الفنيق: الفحل من الإبل والبازل الذي دخل في السنة التاسعة. وفلان ذو بزالة. أي صاحب رأي.

(٣٠) تدعي العظمة في نفسها والأنفة. (٣١) أي أطلب من يأمر وينهى ويملك التصرف ذلك الذي له حبس وإطلاق ونفاذ تصرف.

(٣٢) أي المنقادة مأخوذة من قول امرأة أخرى:

إن المطية لا يلذ ركوبها ... حتى تذلل بالزمام وتُرْكَبا

والدر ليس بنافع أربابه ... حتى يؤلف بالنظام ويُثقبا

والنظام الخيط والسلك الذي ينظم فيه العقد.

(٣٣) اللّهنة: هي ما يتقدم من الطعام قبل الغداء. (٣٤) أي الخبيرة العالمة. (٣٥) المؤنسة.

(٣٦) أي المجالسة المصاحبة.

(٣٧) بالخاء المعجمة المحبة الصديقة. وبالمهملة الزوج والحليل الزوج لأن كلًا منهما يحل لصاحبه.

(٣٨) الماهرة الحاذقة.

(٣٩) ما يعجل له من الطعام مأخوذة من قول عمر رضي الله عنه: البكر كالبُر تطحنه وتعجنه وتخبزه، والثيب عجالة الراكب: تمر وأقط وسويق.

(٤٠) الأنشوطة: عقدة يسهل حلها كعقدة التكة ومنه: ما عقالك بأنشوطة. يعني ما مودّتك بواهية.

العَاجز [١]، ونُهْزَةُ المُبَارز [٢]، عريكتُها لينة، [٣] وعُقْلَتُها هَيِّنة [٤]، ودِخْلَتُها متَبَيِّنَة [٥]، وخِدْمَتُها مُزَيِّنة.

وله فصل في ذلك: هي فُضَالَةُ المآكل [٦]، وثُمَالَةُ المناهل [٧]، واللباس المسْتَبْذل [٨]، والوعاء المستعمل، والذوّاقَةُ المتطرفة [٩]، والخَرّاجَةُ المتَصَرّفَة [١٠]، والوَقَاحُ المَتَسَلّطة [١١]، والمحتكرة المتسخطة [١٢]، ثم كَلِمَتُها: كُنْتُ وصِرْتُ، وطالما بُغِي عَلَيَّ فنُصِرْت، وشَتّانَ بين اليوم وأمس، وأين القمر من الشمس؟! وإن كانت الحنانة اليَرُوك [١٣]، أو الطمّاحَةُ الهَلوك [١٤]، فهي الغُلّ القَمِل [١٥]، والجُرحُ الذي لا يَنْدَمل [١٦]. قوله في البكر ثم إن مؤونتها كبيرة، ومعونتها يسيرة، وفي الثيب هي عجالة الراكب وأنشوطة الخاطب: إشارة إلى قول عمر رضي الله عنه: البكر كالبُرَّة تُطْحَنُ ثم تُعْجَن ثم تُخْبَز، ثم تؤكل، والثيب عُجَالَةُ الراكب تَمْر وسَويق يشير بذلك إلى سُهولة أمرِ الثّيب وأن البكر تحتاج في تزوجها والبناء بها إلى كلفة شديدة.

• عجالة الراكب:

وكانت العرب يمر بها الراكب المستعجل فتعرض عليه النزول للقرى فيمتنع لعجلته فتُخْرج له ما استيسر فيأكله وهو راكب. فذلك هو عجالة الراكب. وعلى قوله: «أما الثيب فالمطية المذللة».

حكى أبو الفرج في الأغاني قال: كانت «فضل الشاعرة» لرجل من النخاسين [١٧]، فاشتراها منه محمد ابن الفرج وأهداها إلى المتوكل، وكانت بَرْزَةً [١٨] تجلس للرجال وتتحدث مع الشعراء، فقال لها يوما أبو دلف القاسم بن عيسى يعرض لها أن المتوكل إنما اشتراها وهي ثيب فقال:

قالوا عشقت صغيرةً فأجبتهم ... أشهى المَطَيِّ إليّ ما لَمْ يُرْكَب

كم بيَ حَبةِ لُؤلؤ مُختارةٍ ... ثُقِبَتْ وحَبّةِ لُؤْلؤ لم تُثْقَبِ!!

فأجابته تقول:

إن المطية لا يَلَذُّ رُكوبُها ... ما لَم تُذَلَّلْ بالزِّمام وتُرْكَب

والدرُّ ليس بنافع أربابه ... حتى يُؤلّفَ بالنِّظَامِ ويُثْقَب

ولعبد الله بن قيس في معنى بيت أبي دلف:

حبذا الحج والثّريّا ومن بالخيف ... من أهلها ومَلْقَى الرجال

---

(١) أي مطيته؛ لان العاجز لا يقدر على تزوج البكر. (٢) أي غنيمة المحارب كناية عن سهولة مجامعتها.

(٣) العريكة: السنام أو بقيته. وفلان لين العريكة. إذا كان سلسًا منقادًا.

(٤) أي ما يعتقل به الزوج من احتباسها عنه وتلويها عليه. (٥) أي باطن أمرها ظاهر. (٦) فضالة الطعام: بقيته.

(٧) والمناهل جمع منهل المورد للشاربين والثمالة البقية. فهي الثمالة.

(٨) ثوب البذلة: هو الذي يستخدم في العمل حتى يبتذل وتعافه النفوس. وكذلك الثيب التي عافها زوجها بعد طول المدة.

(٩) التي تتطرف للرجال وتستطعمهم فلا تثبت على زوج. وامرأة ذواقة أي مَسلُول.

(١٠) كثيرة الخروج أو الإخراج. (١١) قليلة الحياء. كثيرة الصخب. (١٢) الجامعة المانعة.

(١٣) أي التي كان لها زوج فهي دائمة التذكر والحنين والتحسر على ذلك الزوج. والبروك من تتزوج ولها ابن بالغ.

(١٤) أما الطامحة الهلوك. فهي كثيرة الطموح إلى الرجال يدفعها حرصها إلى التهالك والتساقط عليهم.

(١٥) يضرب مثلًا لكل ما يلقى منه شدة. قال الأصمعي: للسيئة الخلق. (١٦) لا يندمل: لا يبرأ ولا يلتئم.

(١٧) النخاسة مهنة تاجر الجواري ومدربهن. وبائع الدواب. (١٨) تركت الحجاب وجالست الرجال.

دُرّة من عقائل البحر بكْر لم تشنها مَثَاقِبُ اللآلِ [1]

ابن الجوزي في كتاب الأذكياء: قال: عرضت على المتوكل جارية فقال لها، بكر أنت أم أَيْش؟ [2] قالت: أَيْش يا أمير المؤمنين، فضحك منها واشتراها.

• حينما وَضعت يدها على أهم المواضع عندها عرفت!

وذكر في الكتاب المذكور قال: نَظَرَ إياسُ بنُ معاوية المشهور بالفطنة والألمعية إلى جوار ثلاث فقال: أما هذه فبكر، وأما هذه فحامل، وأما هذه فمُرضع فنُظِرْن فوُجِدْن كذلك، فسئل من أيْن علم ذلك؟ فقال: إني رأيتهن فزعن من شيء فوضعت كل واحدة منهن يدَها على أهم المواضع عندها. فأما إحداهن: فوضعت يدها على فَرْجها؛ فعلمت أنها بكر! وأما الأخرى: فوضعت يدها على بطنها؛ فعلمت أنها حامل! وأما الأخرى: فوضَعت يدها على ثديها، فعلمت أنها مُرضع!

وذكر في كتاب المغفلين قال: اشترى رجل جارية على أنها بكر، وحملها إلى منزله، فذكر له نساؤه أنها ثيّب، فاختصم فيها مع البائع، فأمر القاضي أن تُودَع عند أمين إلى أن تَكشِفَ القوابلُ [3] أمرَها، فأودعت عند إمام المسجد، فلما أصبح الإمام وصل إلى القاضي وهو يتأوه ويقول: ذهبت الأمانة من الناس، فسأله القاضي عن قضيته فقال: إن مشتري تلك الجارية قد اطمأن إلى بائعها، وأخذها منه على أنها بكر، فخدعه فيها وخانه، وإني قد جربتها البارحة فوجدتها ثيبا واسعة فمن ذا الذي يُوثَق به؟ ومن ذا الذي يركن إليه [4]؟!

• عندما عزم على افتضاضها أدركها الحيض!

ابن الحصين في تاريخه قال: رأى القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب جارية فتعشقها ولم يزل يسعى في تملكها إلى أن اشتراها فلما هيئت له وعزم على افتضاضها، وكانت بكرا أدركها الحيض فأعلمته بذلك، فكف عنها، وأعلم بذلك أبا إسحاق الزّجاج النحوي، وطلب منه أن ينظم في ذلك شعرا ففال:

فارس ماض بحَرْبَتِه دُرِّبَ بالطَّعن في الظُّلَم
رَامَ أن يُدْمِي فريستَه فاتَّقَتْه من دَمٍ بدَمِ

• قالت: أتى أمر الله فلا تستعجلوه!

ومن غير تاريخ ابن الحصين: اتفق مثل هذه القضية للمأمون ليلة بنائه ببوران [5] أراد أن يَفْتَضّها فرأت دم الحيض: فقالت: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [6] [النحل:١] فكفّ عنها.

• ما أرتنا ابنتك دما!

الجاحظ في البيان قال: تزوج معاوية بن مروان بن الحكم بعض بنات الأشراف وكانت بكرًا

---

(١) اللآلئ: اللؤلؤ ويثقبه بائع اللؤلؤ. وهو اللآل بمثقبه.

(٢) أيْش كلمة منحوتة من (أيّ شيء) وقد تكلمت به العرب كما جاء في المعجم الوسيط.

(٣) جمع قابلة وهي من تستقبل المولود وتقوم بعملية التوليد في غياب الطبيب!

(٤) لا شك أن مثل هذه النادرة الساخرة تنال من رجال الدين وتشيع جوًا من عدم الثقة! ومهما يكن فسيظل الخير في فئة تغار على القيم وترعى المبادئ على الرغم من أولئك الذين يحلو لهم أن يتندروا حتى ولو على (إمام المسجد)!

(٥) يروى هذان البيتان في هذا الموقف ولعل المأمون تمثل بهذين البيتين.

(٦) أول سورة النحل وهو اقتباس لطيف.

فافتضها، ولما أصبح قال لأبيها على رؤوس الملأ: ما أرتنا ابنتَك البارحَةَ دمًا فاستحيا وقال: إنها من نساء يخبئن ذلك لأزواجهن.

• من أين للدابة...؟

معاوية هذا هو شقيق عبد الملك. أمهما عائشة بنت معاوية بن المغيرة وكان يَحْمُق أحيانًا [1] وهو الذي رأى جرسا علق على بعض دواب الطحن فسأل ربّ الدابة عن ذلك فقال: ربما أدركتني نعسة فإذا لم أسمع صوت الجرس علمت أنها وقفت فَصحتُ بها، قال: فإن وقفت وحركت رأسها هكذا، أو هكذا وجعل معاوية يحرك رأسه يمنة ويسرة فقال: ومن أين للدابة بمثل عقلك يا أمير؟!

أبو الفرج في الأغاني: عن محمد بن الفضل السكوني قال: تزوج حَماد عَجْرَدُ امرأة بِكرا فدخلنا عليه صبيحة بنائه لنسأله عن خبره فأنشدنا:

قد فتحت الحِصْنَ بعد امْتِنَاعِ ... بمُبيح فاتح للقِلاع
ظفرت كَفِّي بتفريق شَمْلٍ ... جاءنا تفريقُه باجتماع [2]
إنما يلتئم الشمل منا ... حين نرمي شمله بانصداع

حماد عجرد هذا هو حماد بن عمرو بن كليب مولى لبني عامر بن صَعْصعَة مُخَضْرَم (أدرك الدولتين) وكان خليعًا ماجنًا مُتَّهَمًا في دينه والعَجْرَد في اللغة: المتعري من الثياب.

• والشيخ يهوى الصبايا!

ابن بسام في الذخيرة: تأخر الوزير أبو مروان عبد الملك بن سُهَيل عن المنصور بن أبي عامر في بعض غزواته فلما عاد المنصور من غزوته وقد افتتح وسَبَا [3]، كتب إليه ابن سهيل يطلب منه جارية من السبي فقال:

أنا شيخ والشيخ يهوى الصبايا ... وبنفسي أقيك كلَّ الرزايا
ورسول الله أسهم في الفيء ... لمن لم يحث فيه المطايا [4]

فبعث إليه ابن أبي عامر بأربع من الجواري أبكارًا وكتب إليه:

قد بعثنا بها كشمس النهار ... في ثلاث من المَهَا أبكار
فاتَّئِدْ واجتهد فإنك شيخ ... قد جلا الليلَ عن بياض النهار
صانك الله عن كَلالِك فيها ... فمن العار كَلّة المسمار [5]

قال فافتضَّهن الشيخ من ليلته وكتب إليه صبيحة يومه فقال:

قد فَضَضْنَا ختامَ ذاك السّوارِ ... واصطبغنا من النجيع الجاري

---

[1] يفعل أمثال الحمقى والمغفلين وقليلي العقل.

[2] يصور هذا البيت عادة قديمة كانت تجري في إزالة البكارة بالإصبع - التي عبر عنها باليد مجازًا - وقد تخلى عنها الكثيرون لما كان يترتب عليه من إضرار بالزوجة أقله ما يكون من نزيف وتلوث!

[3] ملك أسيرات فهن سبايا ومملوكات.

[4] أي لمن لم يشترك ممن كلفهم الرسول القيام بعمل يتصل بالمعركة وإن كانوا لم يركبوا مطاياهم إلى ميدان القتال.

[5] يقال: كل المسمار أي لم يدخل. وكلة المسمار كناية عن العجز عن الممارسة الجنسية!

وصبونا في ظلِّ أطيبِ عيش ولعبنا بالدر أو بالدراري
وقضى الشيخ ما قضى بحُسام ذي مَضاء عَضْب الظُّبا بَتّار
فاصطعنه فليس يجزيك كفرًا واتّخِذْه فَحْلًا على الكفار

• يا ليت شعري!

صاعد في الفصوص: عن أبي زيد الكلابي قال: كان عندنا شيخ يُعْرفَ بأبي غريب وكُنَّا نَأنَس إليه فتزوج بكرا ولم يُولِمْ [1]، فاجتمعنا على بابه وصِحْنا:

أولم ولو بيَرْبُوع [2] قَتَلْتَنَا من الجوع

فأوْلَمَ، فاجتمعنا عنده فلما أصبح من عُرسِه غدونا عليه فناديناه:

يا ليت شعري عن أبي غريب إذا بات في محاسن وطيب
مُعَانِقًا للرَّشَا الربيب أأحمد المختار في القليب
أم كان رخوا نائسَ القضيب

قال: فخرج إلينا وهو يقول: نائس القضيب والله، نأس: ينؤس. إذا اضطرب واسترخى.

وأنشد الحُصْري في كتاب النور لابن المعتز في هذا المعنى:

تظل الشمس ترمقنا بطرفٍ خَفِيٍّ لحظُه من تحت سِتْر
تحاول فَتْقَ غيم وهو يأبى كعِنِّين يُحاوِل فَتْق بِكْر

• كبكر تشتهي لذيذ النكاح!

وقال إبراهيم بن علي بن هرمة فيما له تعلق بهذا الباب:

أبو ثابت يَتَشَهَّى المديح ويرغب عن صلة المادح [3]
كبكر تشتهي لذيذَ النكاح وتَرْهَبُ من صولة الناكح

وقد كرر ابن هرمة هذا المعنى في قوله:

فأنت والمدح كالعذراء يُعْجِبها مَسُّ الرجال ويَثْني قَلْبَها الفَرَقُ [4]

قال أبو الفرج في الأغاني: قال أبو العباس بن الوليد: ما بال الشعراء تمدح أهل بيتي جميعا ولا تمدحني؟ وكان أبو العباس بخيلًا لا يحب أن يعطي الرجالَ شيئًا فبلغ قولُه ابن هرمة وكان مدحه فلم يُثْبه [5] فقال هذين البيتين من جملة أبيات يُعَرّض به فيها. ومن بيتي ابن هرمة أخذ مهيارة قوله:

يشتهون المال أن يبقى لهم فلماذا يشتهون المدحا؟

---

(١) لم يتخذ وليمة يدعي إليها الأهل والأحباء.
(٢) اليربوع: حيوان على هيئة الجُرذ الصغير وله ذنب طويل ينتهي بخصلة من الشعر.
(٣) يحب أن يُمدَح دون أن يعطي المادح صلة وعطاء مقابل المدح. (٤) مَس الرجال: كناية عن الجماع. والفَرق بفتح الفاء: الخوف.
(٥) لم يكافئه. ولم يعطه ثوابًا على مدحه.

الباب الخامس عشر

في السمن والضمور

• أطيب النساء!

قال مُصعَب بن الزّبَيْر: النساء فُرُشٌ فأطيبها أوثرها[١]، وكان يقول: استوثروا[٢] في فرشكم.

• أزين اللباس!

ابن شبرمة: ما رأيت لِباسًا على رجل أزين من فصاحة، ولا رأيت لِباسا على امرأة أزين من شَحْم.

• القِثّاء بالرطب!

قالت عائشة رضي الله عنها: أرادت أمي أن تسمنني لدخول رسول الله، فلم أقْبل على شيء مما تريده حتى أطعمتني القِثّاء بالرُّطَب فسمنت عليه كأحسن السِّمَن.

• هذه بتلك!

أبو سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت: تسابقت مع النبي ﷺ وأنا جُوَيْرية فسبقتُه فلما حملتُ اللَّحْمَ قال لي رسول الله ﷺ: «تعالَيْ أسابقك» فقلت: وكيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال؟ فقال: «لا بد» فسابقته فسبقني فقال: «هذه بتلك»[٣].

• أطيب لذات الدنيا؟!

قال الأصمعي: سئل امرؤ القيس: ما أطيبُ لذاتِ الدنيا؟ قال:

بيضاء رعبوبة بالحسن مكبوبة
بالشحم مكروبة بالطيب مشبوبة[٤]

• من كانت مفرطة السمن!

أبو الريحان في كتاب الجماهر قال: كانت عَبْدةُ بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية عند هشام بن عبدالملك، وكانت مُفْرطة السِّمن لا تستغني في القيام عن الاستعانة بثلاث أو أربع من الجواري فأهديت إلى هشام يومًا «الدرَّةُ اليتيمة»[٥] المتوارثة وكان وزنها فيما يقال ثلاثة مثاقيل وكانت قد حازت جميع الصفات المستحسنة من الصّفاء والنّقاء والاستدارة، فقال لعبدة: إن قمتِ بنفسك من غير استعانة بأحد فهي لك؛ فحاولت القيام بشدة ومشقة، وما تم نهوضها حتى خرّت على وجهها، وسال الدم من أنفها؛ وقام هشام يغسل ما أصابها من الدّم، وأعطاها الدُّرة فبقيت عندها إلى أن أخذها منها عبد الله بن علي بعد انقضاء دولة بني أمية، وقتلها بسببها خوف أن تَنِمّ به للسفاح[٦].

---

(١) يقال فِراش وثير موطأ ممهد ليّن والوثيرة من النساء! السمينة. كثيرة اللحم.

(٢) استوثر المرأة: طلبها وثيرة واستوثر الفِراشَ: استوطأه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) الرُّعبوبة بالراء المضمومة المشددة الغضّة الطويلة الممتلئة الجسم، أو البيضاء الحلوة الناعمة، والجمع رعابيب.

(٥) الدرة اليتيمة: التي لا نظير لها.

(٦) خشية أن تفشي سره، وتذيع ما كان منه!

• من أخبار عبدة!

قال أبو ياسر في رسالته المعروفة برسالة الطيب : وكان عبد الله بن علي غير راغب في النساء ولكنه لما رأى عَبْدَةَ رأى جمالا رائعًا، وحُسْنًا بارعا فيقال : إنه همّ منها بشيء [١] - والله أعلم -فامتنعت فطلب منها التزوج فأبت فكان ذلك من أكبر الدواعي له على قتلها خوفا أن تعلم السفاح بشيء مما جرى بينهما. قال : وفي عبدة يقول عمر بن أبي ربيعة :

أعبدةُ ما ينسى تذكُّركِ الْقَلْبُ ولا عَنْكِ يُسَلّيه رَخاءٌ ولا كَرْبُ
وعبدة بيضاءُ الترائب طَفلة منعّمة تُصبي الحليم ولا تَصْبُو [٢]

• الحجاج وذات شحم!!

أبو الفرج في الأغاني : عَن أبي بردة عن أبي موسى قال : وجَّهني الحَجّاج لأخطب هند ابنة إسماعيل بن خارجة فلما خطبتها من أبيها زوجها منه وكانت حاضرة، فقامت مبادرة وعليها مُطرَف خز أسود [٣]، فوالله لرأيته قد دخل بين ظهرها وعجيزتها، ولم تستقل قائمة حتى انثنت ومالت لأحد شقيها من شحمها، فعرّفت الحجّاج بذلك، فوجه إليها ثلاثين غلاما مع كل غلام عشرة آلاف درهم، وثلاثين جارية مع كل جارية تخت [٤] ثياب، وقال لها: إني أكره أن أبيت خلْوًا، وما لي زوجة. فقالت: وما احتباس امرأة عن زوجها وقد ملكها وآتاها صداقَها وكرامتها، ثم أصلحت من شأنها وأتته من ليلتها!!

• كيف كان اللقاء بين هند والحجاج؟

قال المدائني : بلغني عن المرأة التي تولت زفها أنها قالت : دخلنا على الحجاج وهو في بيت عظيم في أقصاه ستارة، وهو دون الستارة على فراشه، فلما دخلتُ عليه سلّمتُ فأومأ إليّ بقضيب [٥] كان في يده، فجلست عند رجليه، ومكث ساعةً لا يتكلم، ونحن وقوف فضربَتْ بيدها على فَخِذه وقالت: ليس هذا وقتَ سُوءِ الخلق فتبسم وأقبل عليها واستوى جالسًا، فدعونا له وأرخينا الستور عليهما.

• كيف وجد أمير المؤمنين أهله؟!

قال أبو عبيدة : دخل مالك بن الحارث الأشتر على عَلِيٍّ رضي الله عنه صبيحة بنائه [٦] على بعض نسائه فقال: كيف وجد أمير المؤمنين أهلَه؟ فقال: كخَيْر امرأة لولا أنها قَبّاء جَدّاء! فقال: وهل يريد الرجال من النساء إلا ذاك يا أمير المؤمنين؟! قال: كلا حَتّى تُدفِئ الضَّجيعَ وتُرْوي الرّضيع [٧].

القَبّاء : الضامرة اللطيفة الكشحين، والجَدّاء: الصغيرة الثديين. فهذا يدل على استحسان علي رضي الله عنه لضخم المرأة وشحمها ويدل على استحسانه أيضا لكبر الثدي. وسيأتي من ذلك ما تقف عليه في بابه إن شاء الله تعالى .

---

(١) حاول أن يتمتع بشيء منها!

(٢) الترائب: عظام الصدر مما يلي الترقوتين. وموضع القلادة الواحدة (تريبة). والطَّفلة الناعمة الرقيقة، وامراة طفلة الأنامل ناعمتها وأصبت الفتاة فلانًا: استمالته- وصبا: مال وحن واشتاق.

(٣) المطرف بضم الميم وكسرها رداء أو ثوب من خَزّ مربع ذو أعلام جمعه مطارف. وفي المخطوطة (أ) (مِرْط من خز) والمرط بكسر الميم كساء من خز أو صوف أو كتان يؤتزر به وتتلفع به المرأة وجمعه مُروط.

(٤) التخت: الصندوق. (٥) أومأ: أشار، والقضيب، الغصن، والغُصن المقطوع والسيف القطاع. (٦) دخوله بها.

(٧) ذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث وقال: القباء الخميصة البطن، انظر النهاية ٤/ ٣.

• أي النساء أحب إليك؟

أبو الفرج في الأغاني قال : دخل عقال بن شبة المجاشعي على المهدي فقال له: يا أبا الشَّيْظَم: أي النساء أحب إليك، التي جذلت جذل الضان [1]، واهتزت اهتزاز البان، أم التي بَدَنَتْ [2] فعظمت، وكملت فتمّت؟! فقال: يا أمير المؤمنين، أحبهن إليّ التي وصفها أبو بُجَيْلة فإنه كانت له جارية صغيرة لطيفة وهبها له عمك أبو العباس السفاح فكان إذا غشيها [3] صَغُرت عنه وقَلَّتْ تحْتَه فقال:

إني وجدت المركبَ الزُّوَنّكا غير منيك فابغني منيكا

شيئًا إذا حركته تَحَرّكا

فوهب له المهدي جارية كاملةً ضخمةً فلما أصبح عقالُ غَدَا على المهدي متشكرا، فخرج إليه وهو يضحك، فقال له: مم تضحك يا أمير المؤمنين أدام الله سرورك؟! فقال: يا أبا الشيظم، إني اغتسلت الآن من شيء إذا حركته تحرك، وذكرت قولك فضحكت!!

الزَّوَنّك : بالزاي والواو مفتوحتين والنون مشددة الذّميم الحَقير، قال صاحب الصِّحَاح: وربما قيل فيه زَوَنْزَك بسكون النون وتكرير الزاي .

• رأي الخبراء. وماذا يفضلون؟

قال أبو الفرج في كتاب النساء : أكثر البصراء بجواهر النساء الذين هم جهابذة النقد يقدمون «المجدُولة» [4] التي تكون بين السمينة والممشوقة، ولابد أن تكون كاسية العظام ولذلك قالوا: كأنها غصن بانٍ، أو قضيب خيزران، وجَدْل عنان.

• الصفة المفضلة!

قال : والتثني في مشي المرأة أحسن ما فيها. ولا يمكن ذلك مع السمن .

قال: وقد خلص أبو نواس هذه الصفة فأحسن إنشاء بقوله :

فوق القصيرةِ والطويلة فوقَها دونَ السمين ودُونها المهزول

وقال قيس بن الحطيم :

بين شُكُول النساء خلقتها قَصْدٌ فلا جبلةٌ ولا قَضَفُ [5]

الجبلة : بكسر الجيم المرأة الضخمة وبعض اللغويين يقولها بفتح الجيم. والقَضَف: بفتح الضاد المعجمة المهزولة. قال الرقاشي: السمن في النساء غُلْمة ، وفي الرجال عُقْلَة [6]. ويحكى عن الحسن البصري أنه قال: لا تسمنوا نساءكم فإن كنتم ولا بد فاعلين فاحفظوهن، وهو معنى قول الرقاشي .

---

[1] جذل الشيء: انتصب وثبت. والعِنان بالكسر سير اللجام الذي تمسك به الدابة. وجاء في أساس البلاغة: جذل: انتصب كالجذل وهو أصل الشجرة.

[2] يقال: بدنت المرأة: سمنت وضخمت. [3] غشيها: جامعها.

[4] يقال: جارية مجدولة الخلق: حسنته وقال الزمخشري: وامرأة مُعَنّنة: مجدولة جدلَ العنان.

[5] يقال: جَبل جبلًا: غلُظ وضخم فهو جَبل وجَبْل. ويقال: قَصُفَ قَضَفًا وقَضَافَةً دَق ونحف لا عن هُزال. وشكول: جمع شكل: صنف ونوع.

[6] الغُلمة: الميل إلى الجماع. والعُقلة: ما يعقل ويحبس ويمنع ويحول دون الجماع.

• لمن العذر في اشتهاء السمينة؟!

الجاحظ : كان أبو معمر بن هلال يقول: عذرتُ الطّويلَ الأير في أن يشتهي السمينة، ولكن ما عذر الصغير الأير في ذلك ؟!

• المرأة المفضلة عند الفرزدق؟!

وقال الفرزدق : يُفَضّل زَوْجَهُ «حدراء» بنت رنق بن بسطام على زَوْجه «النَّوَار» وكانت «حدراء» عربية هيفاء مجدولة وكانت «النوار» حضرية جسيمة فقال:

لعمري لأعرابية في مظلة ... تظل بروقى بيتها الريح تخفق
كأم غزال أو كَدُرّة غائص ... تكاد إذا مَرت لها الأرض تشرق
أحَبّ إلينا من ضِناكٍ صفيقةَ ... إذا وضعت عنها المراويح تعرق

الضناك : بكسر الضاد وقد تقدم المفرطة السمن .

• صفحة من فقه اللغة !

قال أبو منصور الثعالبي في كتاب فقه اللغة : إن كانت المرأة ضخمة في نعمة وعلى اعتدال فهي ربحلة. فإذا زاد ضخمها ولم يقبح فهي سنجلة. فإذا دخل في حد ما يكره فهي مُفَاضَة وضِناك فإذا أفرط ضخمها مع استرخاء لحمها فهي عِفْضَاج وقال غيره: يقال امرأة سمينة.

وقال غيره: امرأة سمينة، وقد سمُنت تُسمُن بالضم فيهما وسمنت بالكسر تسمَن بالفتح إذا ضخمت من الشحم، فإذا زادت قليلًا فهي رضراضة، فإذا زادت فهي خَدلجة، فإذا امتلأت سمنًا فهي عركركة، فإذا تناهت في السمن فهي عضنكة وضفنة. وبالله تعالى التوفيق.

الباب السادس عشر

في الألوان وفيه ثلاثة فصول

فصل في البياض

قالت عائشة رضي الله عنها: «البياض نصف الحسن» . وقالت لأناس من بني تميم: بلغني أنكم تُعَالجُون الرقيق [1] فما أخطأكم من شيء فلا يخطئنكم البياض والطول فإنهما يغتفران الحسن اغتفارا. ويغتفرانه: يضمانه ويجمعانه.

• البياض أحلى !

وقال المؤمل بن أميل :

شهد المؤمل يومَ يَلْقى رَبّه ... أن البياض طرازُ كل جمال [2]

---

(١) يقال: عالج الشيء: زاوله ومارسه. وقد حددت لهما سمتين من سمات الحسن.

(٢) الطراز: النمط والشكل والجيد من كل شيء.

وجاء في صفة رسول الله ﷺ : أنه «كان أبيض اللون مشربا بحمرة» بذلك وصفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وقال أنس رضي الله عنه: «لم يكن رسول الله ﷺ بالأبيض الأمهق ولا بالآدم الأبيض»[1] . الأمهق: الشديد البياض الذي لا حُمرة فيه. يقول: لم يكن كذلك.

• الجمع بين الأحاديث!

وفي حديث عنه قال : «كان رسول الله ﷺ أبيض كأنما صيغ من فضة»[2] [أخرجه الترمذي في الشمائل] ولا معارضةَ بينه وبين وصف عليٍّ له بالحمرة؛ لأن الحمرة كانت في وجهه ﷺ وأنس إنما وصف جسده.

• حسان النساء!

قال أبو الفرج في كتاب النساء : يمازجُ البياضَ لونان يزيدانه حسنا: الحمرة والصُّفرة، أما الحُمرة فتعتري البياض من رقة اللون وصحة الدم، قال : والبياض الصحيح عندهم يناسب الحُمرة .

قال البكري في اللآلئ: العرب تسمى النساءَ الحسانَ «الحُمْر» ، ومنه قول جرير وقد سئل عن الأخطل فقال: هو أوصفنا للحمْر والحمر يعني : حِسانَ النساء .

• أغلى الأماني!

وقيل لأعرابي : تَمَنّ ، فقال: حَمراءُ مِكْسَال من بنات الأقيال[3] . قال: وأصل ذلك من اللون وظهور الدم في الوجه، فإنه يزيد البياض حسنًا.

• الحمرة والبياض!

قال سيبويه : ولما كثر استعمالهم لهذه الصفة في النساء لزمت فصارت كالاسم. قال البكري: ومن شبه المرأة بالنار فإنما أشار إلى هذا المعنى قال: وقولهم في المثل «الحسن أحمر» من هذا الباب.

قال الشاعر :

هَجَانٌ عليها حُمْرةٌ في بياضها تروق بها العينين والحسن أحمر

وقال بشار :

وإذا خرجت تقنعي بالحسن إن الحسن أحمر

وقد قيل : وفي المثل غير ما ذكره البكري، وأنَّ الحمرة كناية عن الشدة والجهد أي من طلب الحسن صبر على الشدائد، والمشاق، وتقدم في باب الزينة شيء من هذا.

• علاقة الصفرة بالبياض!

رجعنا إلى كلام أبي الفرج قال : وأما الصُّفرة فتعتري البيض لاستتارهن وملازمتهن الكن[4] ،

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة باب صفة لون النبي ﷺ ، وذكره السيوطي في زهر الخمائل - من إصدار مكتبة القرآن - باب صفة النبي ﷺ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٤٢٦، والبيهقي في دلائل النبوة ١/ ٢٠٧.

(٣) يقال: امرأة: كسْلى، وهي مكسال وكسول: رَزَانٌ. والأقيال: جمع قَيْل. والقيل من ملوك اليمن في الجاهلية دون الملك الأعظم.

(٤) الكِنّ بكسر الكاف: الكنان وكل ما يرد الحر والبرد من الأبنية ونحوها جمعه أكنان وأكنة وفي التنزيل: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ [النحل:٨١].

والنعمة، والخفض، والدعة [1] وتعريهن أيضا لملازمتهن التضمخ [2] بالطيب، كما تعتري الصفرة الدّرة الزهراء، أو العاج الأبيض بكثرة مُمَاسّة الطيب، ويصدق هذا الذي قاله أبو الفرج قول الشاعر :

وما تعشقت من بيضاءَ حاليةٍ كالعاج صفَّرها الأكنانُ والطِّيب

قال أبو الفرج : ويقال إن المرأة إذا كانت عتيقة الحسن ناعمة البدن، فإن لونها يكون من أول النهار إلى ابتداء العشية يَضْرِبُ إلى الحمرة، ومن ابتداء العشية إلى آخر النهار يضربُ إلى الصفرة، ولذلك قال الأعشى:

بيضاءُ ضحوتها وصفراء العشية كالعرارة

وقال آخر :

قد علمت بيضاء صفراء الأصل أني لأغنى اليوم ما أغنى رجل [3]

ومعنى هذا الذي ذكره أبو الفرج أن المرأة الرقيقة البشرة والصافية اللون تتلون بتلون الهواء. والهواء عند الطفل يصفر باصفرار الشمس ويتوضح بالغداة لبياضها وهذا كله مبالغة في وصف المرأة بالصفاء والنعمة وليس شيء منه على الحقيقة. على أنه قد قيل في بيت الأعشى والرجز الذي بعده إنه أراد أنها تمسي رداعة وتغتسل بالغداة فتبيّض ضَحْوتها لأجل ذلك.

وأنشد أبو الفرج في استحسان لون الصفرة لذي الرمة :

بيضاء في دعج صفراء في نفج كأنها فضة قد مسها ذهب

وقال آخر :

بيضاء صفراء قد تنازعها لونان من فضة ومن ذهب

وقال قيس بن الحطيم :

هيفاء مثل الشمس عند طلوعها في الحسن أو كدنوها لغروب

وقال أبو زبيد :

أشربت لون صفرة في بياض وهي في ذاك لَدْنة غَيْداء

وقال بشار :

باتت تقبلني صفراء رداعة [4] صبت عليها من حسنها فتنا
كأنها روضة منورة تجمع طيبا ومنظرًا حسنا

فهذا قد أخبر أن صفرتها إنما هي لأجل الطيب على أن في البيت محتملا لغير ذلك.

قال أبو الفرج: ومن شبه المرأة بالبيضة فإنما أراد الصفرة التي فيها وقد جاء ذلك في كتاب الله تعالى يريد قوله سبحانه وتعالى : ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات : ٤٩] .

قال : وقول امريء القيس :

---

(١) نعومة العيش ولينه.
(٢) التضمّخ: التعطر ومَسّ الطيب ووضعه على أعضاء الجسم.
(٣) الطّفَل: الأصيل.
(٤) الرَّدَع: أثر الطيب في الجسد.

كبكْر المقاناة البياض بصفرة غذاها نميرُ الماءِ عند المحَلل [1]

يجوز فيه أن يكون البكر كناية عن البيضة ويجوز أن يكون كناية عن الدُّرة .

فصل في السُّمْرة

• انظرها رمكاء!

أبو علي في الأمالي : عن بَهْدَل الدُّبَيْري [2] قال: أتى رجل ابنة الحسن يستشيرها في امرأة يتزوجها فقالت: انظرها رَمْكاءَ جَسيمة، أو بيضاء وسيمة في بيت جدٍّ أو بيت حَدٍّ. أو بيت غِرٍّ [3].

قال أبو علي : الرَّمْكاء هاهنا: السمراء، والرُّمْكة [4]: السمرة .

وذكر هذا الخبر أبو الفرج في الأغاني على غير هذا فقال: قال غيلان بن سلمة لبنيه حين احتُضر: يا بَنِيّ عليكم ببيوتات العرب، فإنها مَدَارج الكرم، وعليكم بكل رَمْكاءَ ركينة أو بيضاءَ رزينة، قوله «في بيت جدٍّ بالجيم أو بيت حَدٍّ بالحاء» يريد بقوله في بيت أنها إن كانت في بيت جدٍّ بالجيم فقد جمعت إلى شَرفها الثروة، وإن كانت في بيت حَدٍّ بالحاء كانت أرضى باليسير وأقنع بالبُلْغة [5] وأدنى إلى الاستحداء والألفة. وغيلان بن سلمة هذا هو أبو بادنة ابنة غيلان التي يأتي ذكرها في الباب السابع عشر بعد هذا . قال أعرابي: وذكر امرأة:

من السمر اللدان إذا اسبكرت وصرفُ الموت في سُمْرِ اللِّدان
شبيهات الرِّماحِ قنا متون وكَلْمًا في القلوب بلا سنان

وقال مسكين الدارمي:

أنا مسكين لمن يعْرِفُني لوني السمرةُ ألوان العرب

وجاء في أثر عن علي رضي الله عنه أنه قال : «من تزوج امرأةً سمراءَ ثم طلَّقها فعليّ مَهْرُها» وذلك منْه رضي الله عنه، مبالغة في محبة البياض وكراهة السمرة [6]. وقد تقدم في الفصل السابق وصف النبي ﷺ بالبياض. وجاء في حديث يرويه خالد بن عبد الله بن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أسمر اللون» [7].

قال الخطابي في غريب الحديث : تفرد به خالد عن حُمَيْد، والمعروف من وصف النبي ﷺ بالبياض كما تقدم.

---

(١) يصف بياضها بأنه يخالطه صفرة وليست بخالصة البياض. والمقاناة: المخالطة. والبكر: أول بيض النعام.

(٢) جاء في المخطوطة بحلول الزبيري، وما أثبتناه هو المطابق لما جاء في الأمالي.

(٣) وبقية النص: قال: ما تركت من النساء شيئًا، قالت: بلى! شر النساء تركت، السوداء الممراض، والحُميراء المحياض، الكثيرة المظاظ.

(٤) والرُّمكة: لون الرماد، ومنه قيل: بعير أرمك، وناقة رمكاء. والمظاظ: المشارَّة والمشاقَّة.

(٥) البُلْغة: بضم الباء ما يتبلّغ به أي القدر اليسير والقليل من الطعام الذي يحفظ الحياة.

(٦) يرجع إلى خصائص السمر إن صح هذا القول عن (علي) وهو بغيره أشبه!

(٧) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٢٥٩، والترمذي من حديث طويل في كتاب اللباس باب ما جاء في الجمة واتخاذ الشعر، وأبو يعلي والبزار، انظر مجمع الزوائد ٨/ ٢٧٢، والبيهقي في دلائل النبوة ١/ ٢٠٣، وذكره السيوطي في كتابه زهر الخمائل ص٢٥. والثابت في صحيح مسلم أنه ﷺ كان أبيض مليح الوجه.

قال : ويمكن أن يجمع بين الحديثين بأن تكون السمرة فيما يبرز للشمس من بدنه ﷺ والبياض فيما تُواريه الثِّياب[1].

قال: ويوضح ذلك قول ابن أبي هالة في وصفه عليه الصلاة والسلام «أنور المتجرد»[2]. قال: وأيضا فقد تقدم في الأحاديث أنه ﷺ كان أبيض مشربًا يعني بحمرة، قال: والحمرة إذا أشبعت حكت السمرة فيمكن أن يكون وصفه بالسمرة إشارة إلى هذا المعنى.

وقال غير الخطابي : إنما كان في بعض الأوقات دون بعض لأنه ﷺ قد يقابل الشمس في الأسفار وغيرها فيعتري وجهَه وجسمَه سُمْرةٌ ثم تذهب وقد استوفينا الكلام على هذا في كتابنا «الوفا في شرح الشفا». ولبعض المتأخرين:

وسمراء باهي كلفةَ الْبَدْرِ وجْهُهَا ... إذ لاح في ليل من الشَّعر الجَعْدِي
محببة من حَبّةِ القلبِ لونُها ... وطيبتُها للمسكِ والعَنْبر الْوَرْدِي

وأنشد ابن بسام في الذخيرة :

قد قَضِيبٌ وبدر دَيْجُور ... وثغر دُرّ ولحظ يعفور
نازل قلبي وأي مُصْطَبر ... يفي بتلك اللواحظ الحور
كأنما نوره وسُمْرَتُه ... مسك مُشوبٌ بذوب كافور [3]

من قول الآخر :

إنما السمرة فيه ... ذوب كافور بمسك

فصل في السواد

• ما تتميز به النساء السود!

ليس للنساء السود من الصفات المستحسنة مما يتَميّزن به إلا نقاء الثُّغور وحَرارَة الفروج !

• الصفات المذمومة!

والصفات المذمومة عليهن مع ذلك غالبة : من تشقق الأطراف، والشفاه، وجساوة الأبدان[4]، وصِغَر الفرُوج، ونتن العرق وشَرَاسَة الأخلاق. ويقال: إن سُودَ غانا سالماتٌ من هذه الصفاتِ المذمومة كُلها.

• رأي شاعر مكفوف فيهن!!

قال الشاعر : المكفوف لمَّا اشتهر قولي :

---

(١) وهكذا قال ابن الأثير في غريب الحديث في صفته ﷺ أنه كان أسمر اللون. وفي رواية (أبيض مُشْرَبًا حمرة) ووجه الجمع بينهم: أن ما يبرز إلى الشمس كان أسمر، وما تواريه الثياب وتسترته كان أبيض.

(٢) أخرجه الطبراني وفيه راوٍ لم يسم، انظر مجمع الزوائد ٨/ ٢٧٣، والبيهقي في دلائل النبوة ١/ ٢٨٧، وهو يعني: مشرق العضو الذي هو موضع التجرد عن الثوب، أو مشرق العضو العاري عن الثوب.

(٣) الديجور: الديجور الظلمة، واليعفور: ظبي لونه كلون العَفَر. ولد البقرة الوحشية.

(٤) جسا جسوا وجُسُوًّا: يبس وغَلُظ وصلبَ وخشُنَ وفي المطبوعة: وخشانة.

حُبُّ سودِ النساء من لذة العيـ ـش على أنه من حياةِ القلوب
مشبهات الشبابِ والمسكِ تفديـ ـهن نَفَسي من طارقاتِ الخُطوبِ
كيف يَهْوى الفتى اللبيـ ـب وصال البيض والبيض مُشبِهاتُ المشيب

لقيتني امرأة فقالت: أنت الذي أعمى الله بصيرتَك كما أعمى بصرك؟! قلت: وما ذاك؟ قالت: ألست القائل: وأنشدتني الأبيات. ابن رشيق: أخذ معنى أبياته هذه فقال :

دعا بك الحُسنُ فاستجيبي يا مِسْكُ في صُبْغَةٍ وطِيب
تِيهي على البيض واستطيلي تَيه شباب على مَشيب
ولا يَرُعْكِ اسْوِدَادُ لَونٍ كمقلة الشادن الربيب[1]
فإنما النور عن سَوادٍ في أعين الناسِ والقُلوبِ

والسابق لهذا أبو حفص الشِّطْرَنْجي بقوله :

أشْبَهَكِ المسكُ وأشْبَهْتِه قائمة في لونه قاعدة
لا شك إذْ لونُكما واحد أنكما من طينةٍ واحدة

والعباس بن الأحنف وكان معاصرا له:

أحِبُّ النساءَ السُّودَ من أجْل بكتم ومن أجلها أحْبَبْتُ مَنْ كان أسودا
فحينٌ كمثل المسك أطيب نكهة وحين كمثل الليل أطيب مَرْقدا

أخذ العباس بيته الأول من قول الأعرابي :

أحِبُّ لحبها السُّودَانَ حتى أحِبّ لحبها سُودَ الكلابِ

وأنشد الجاحظ :

وإن سواد العين في العين نورُها وما لبياض العين نورٌ فيُعْلَما

أخذه أبو الطيب فقال يمدح كافورا:

فجاءت به إنسانَ عَيْنِ زَمانِه وخلّت بياضًا خلفها وأماقِيَا

وقال الشريف الرضي :

أحِبُّك يا لونَ الشَّباب فإنني رأيتُكما في العين والْقَلْب توْأما
سواد يود البدر لو كان رقعة بجبهته أو شُقّ في وَجهه فما
سكنتِ سوادَ القلب إذْ كنتِ مثله فلم أدْرِ من عز في القلب منكما
وما كان سهم العين لولا سواده ليبلغَ حبّاتِ القلوب إذا رمى
إذا كنت تَهْوَى الظَّبْي ألْمى فلا تلم جنوني على الظبي الذي كله لمَى[2]

أخذه بعض المحدثين فقال :

---

(١) الشادن: ولد الظبية. الذي كان موضع تعهد وعناية بما يغذية وينميه. فالفاعل رابّ والمفعول مربوب وربيب.
(٢) اللَّمَى: سُمْرة في الشفة تُسْتَحْسَن. ويقال: لَمِيَ لَمِيَ فهو ألمى وهي لَمْيَاء.

يكونُ الخال في خد مليح ... فيكسوه الملاحةَ والجمالا
فكيف يُلامُ مُشْغُوفٌ على من ... يراها كُلّها في الْعَيْن خالا

وكرر هذا المعنى أيضا في قوله :

لامَ العواذلُ في سوداء فاحمة ... كأنها في سوادِ القلب تِمثالُ
وهام بالخال أقوامٌ وما عَلِمُوا ... أني أهيم بشخصٍ كُلّه خَالُ

وللرَّضِيّ في معنى قطعته الأولى :

لاموا ولو وجدوا وجدي لقد عذروا ... وذنب من لام ظلما غير مغتفر
لما تمادوا على عذلي أجبتهم ... بعزّ مُعْتَرِفٍ لا ذُلّ مُعْتَذِر
أهوى السواد برأسي ثم أمقته ... وكيف يختلف اللونان في نظري
تأتي طلائع بيض ذرّ شارقها ... في عارضي أن يكون البيض من وطري
إني عَلِقْت سوادَ اللون بعدكم ... علاقة تُشْمِتُ الظلماءَ بالقمر
لو لم يكن فوق لون البيضِ ما رمقت ... صبغ الغواني على الأجياد والعذر
والليل أستر للخالي بلذته ... والصبح أفضح للساري على غُرر
وللفتى في ضلال الليل معذرة ... وماله في الضحى إن ضَلّ من عُذر
وكيف يذهب عن قلبي وعن بصري ... من كان مثل سواد القلب والبصر؟!

وقد تقدم التنبيه على هذه المعاني. ولمحمد بن يونس بن محمد بن عبد الرحمن الهنتاني، وكان ممن تقدم عصرنا قليلا في سوداء تسمى «درة» وهو أحسن ما أنشده أشياخنا:

يا رُبَّ سوداءَ تسمى دُرَّةً ... ومن العجائب دُرَّةٌ سَوْدَاءُ
سوداءُ ليل الوصل منها أبيض ... ومن العجائب ليلةٌ بيضاءُ

وكانت عند أبي الفضل الهاشمي سوداء وكان يحبها حبا شديدا فطلب من ابن الرومي أن يذكرها في شعره ويستغرق أوصافها الباطنة والظاهرة فقال من قصيدة طويلة:

أكَسَبَها الحُبّ أنها صُبِغَتْ ... صِبْغَةَ حَبِّ القُلوب والحَدَقِ [1]
وفضل ما فُضِّل السَّوادُ به ... والحق ذُو سُلّم وذو نَفَق
ألا يَعيبَ السوادَ حُلْكَتُه ... وقد يُعاب البياض بالبهق

ولما كان الغالب من صفات السودان ما ذكرناه قبل هذا من تشقق الأطراف والشفاه، ونتن العرق نفى ذلك عنها بقوله :

---

(١) يقول صاحب زهر الآداب: أخبر أن القلوب إنما أحبتها بالمجانسة التي بينها وبين حب القلوب من السواد وكذلك الحدق ثم يقول: قوله: الحق ذو سُلّم وذو نفق. أراد أن الحق يتصرف في جهات وضرب الصعود والنزول لذلك مثلا. ثم قصد لوصف هذه السوداء بالكمال في الصفة. ومن عيب السود أن أكفهم عابسة متشققة، وأطرافهم ليست بناعمة لينة، وكذلك لا يزال الفلج في شفاههم، وهي الشقوق المذمومة الموجود في أكثر السود في أوساط الشفاه، وأيضًا فإن الأسود مهجو بخبث العرق فنفي هذه الصفات المذمومة الموجودة في أكثر السود عنها فقال:

ليست من العُبْس الأكفّ ولا الفلـ ... ـح الشفاه الخبائث العرق

ليست من العُبْس الأكُفِّ ولا الْفُلْـ ـــح الشَّفَاهِ الخبائث الْعَرق

ثم تعرض لذكر صفات السودان المحمودة التي قدمنا ذكرها وهي : نقاء الثغور وحرارة الفروج فقال:

يَفْتَرُّ ذاك السوادُ عن ثُغُرٍ كالدُّرِّ أو كاللآلئ النسق
كأنها والمزاح يُضْحِكُها ليل تَعَرّى دُجَاهُ عَنْ فَلَقِ
غصن من الأبنوس ركب في مئزرِ مُعْجِب ومُنْتَطَق
يهتز من ناهديه في ثمر ومن دياجي داره في ورق
لها حرٌّ تستعير وَقْدَتَه من قلب صَبٍّ، وصدر ذي حَنق
كأنما حَرُّه لذائقه ما أَلْهَبَتْ في حشاه من حُرَق [٢]

وأراد امتثال طريقة النابغة في تحرزه حيث وصف المتجردة بقوله: زعم الهمام: فقال:

وصفت فيها الذي هَوَيْتَ على الوهـ ـــم ولم نختبر ولم نَذُقِ
إلا بأخبارك التي وقعت منك إلينا عن ظبية البُرَقِ
أخْلِقْ بها أن تقوم عن ذَكَرٍ كالسيف يَفْري مُضَاعَفَ الحَلَق
إن جُفونَ السيوف أكثرها أسودُ والحق غير مختلقِ [٣]

قال صاحب الزّهر : فامتثل أبو الفضل الهاشمي ما أشار به ابن الرومي عليه وأولدها فأنجبت. أخذ بيت ابن الرومي الذي أوله غصن من الآبنوس وبيت العباس بن الأحنف الذي قدمنا إنشاده بعضهم فقال :

غصنٌ من الآبنوس أبدى من مسك دَارِينَ لي ثمارا
ليلٌ نعيمٍ أظَلّ فيه للطيب لا أشتهي نهارا

وفي الإشارة إلى شدة حرارة فُروجهن يقول الشاعر وهو ابن سُكُرّجة :

وسوداء بورك في بُضْعها ولا نال بؤسًا فما أضيقا
نزوتُ عليها ولا عِلْمَ لي بأن لها كعْثَبًا مُحْرِقا [٤]
فكدت من الحَرّ أن أَنْشَوِي ومن شدة الضيّق أن أُخْنَقا

وقال الخفاجي في مثل ذلك :

تجرّدت عن غَسَق وابتَسمت عن فَلَق
وأمكنت من فَلْتَيْ مُلْتَهِبٍ مُحْتَرق
ثم انْثَنَتْ تعثر في فَضْلَةِ بُرْدٍ شرق

---

(١) يعبر الشاعر هنا عن إحدى الصفات المحمودة وهي حرارة الفرج المكنى عنه بالحر.

(٢) البيت الثاني في زهر الآداب: كأنما حَرّه لخابره.

(٣) الأبيات في زهر الآداب والبُرَق جمع بُرقة وهي مكان تكثر فيه الظباء، وقد ساق الحصري بيتين للفرزدق رثى فيهما امرأة توفيت حاملًا فقال علي ابن العباس وقد وصف هذه المرأة السوداء ثم علق على الأبيات قائلًا: فهذه زيادة بينة وعبارة واضحة لم تحتج إلى تفسير أصحاب المعاني.

(٤) نزا- ينزو: وثب.

كـمـا تَـوَلّـت لَـيْـلَـةٌ تَـسـحـب ذَيْـلَ الـشَّـفَـق

عبد الملك بن حبيب في كتاب أدب النساء له قال : قال رسول الله ﷺ : «سوداءُ ولود خير من حسناءَ عقيم»[1] وفي حديث آخر : «أمة سوداء ذات دين خير من امرأة حسناءَ لا دينَ لها»[2] .

وذكر الحديث الأول الغزالي في الإحياء وحسبك بهذين الحديثين ذمًّا للون السوداء، وعد بعضهم هذا من تصحيف المحدثين وقال: إنما الحديث «سَوْآءُ» ولود بهمزة عوض عن الدال ، قال: والسوآء القبيحة والذي قال: يمكن أن تثبت الرواية به وما أقرب أن يكون قائل هذا هو المصَحِّف[3]

أبو أمية الثقفي عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «تخيروا لنطفكم وإياكم والزنج فإنه خلق مشوه»[4] . أبو أمية هذا ضعيف. قال عبد الحق: هذا حديث مرسل ضعيف جدا وقد قدمنا في الباب الرابع عن موسى الكاظم خبرا يحسن ذكره هنا[5] .

عبد الملك بن حبيب عن عبد الرحمن بن موسى عن خلف بن ياسين قال : قال رسول الله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرك في نسبه السودان»[*] .

الباب السابع عشر

في الطُول والقصر

• عمود الجمال!

قال خالد بن صفوان : الطُّول عَمُودُ الجمال .

• عليكم بالطوال!

وقال قيس بن زهير : عليكم بالطوال فإنهن أمهات الرجال .

• الطول والبياض!

وقالت عائشة رضي الله عنها لأناس من بني تميم: بلغني أنكم تعالجون الرقيق فما فاتكم من شيء فلا يفوتنكم الطول والبياض فإنهما يغتفران الحسن اغتفارًا، وقد تقدم معنى الاغتفار .

• للناس فيما يعشقون مذاهب!

وفي حديث عروة بن الزبير قال : ما عشقت من امرأة قط إلا شَرَفَها.

قال قاسم بن ثابت كان الأصمعي يقول: الشرف هنا الطول، وظاهر الأثر يدل على أنه أراد الحسب وصراحة النسب . ومن الوصف بالطول قول النابغة :

---

(١) أخرجه ابن حبان في المجروحين ٢/ ١١١، والطبراني في الكبير كما في لمجمع الزوائد ٤/ ٢٥٨، وأورده الهندي في كنز العمال ٤٤٤٢٧، وذكره ابن الأثير في النهاية بهذا اللفظ. ورفعه الأزهري، وأخرجه غيره عن عمر موقوفًا.

(٢) رواه ابن ماجه بلفظ (ولأمة حزماء سوداء ذات دين أفضل) حديث رقم (١٨٥٩)، وذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث وقال: (وفيه: سَوْآءُ ولود خير من حسناء عقيم) السّوآء: القبيحة. يقال للرجل أسوأ وامرأة سوآء. وقد يطلق على كل كلمة أو فعلة قبيحة.

(٣) التصحيف: كتابة الكلمة أو قراءتها على غير صحتها لاشتباه في الحروف. والمصحّف هو الذي يقرأ أو يكتب على غير الصحة.

(٤) أخرجه الدارقطني في سننه ٣/ ٢٩٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٢٧٧، من حديث أنس، وأورده الهندي في كنز العمال ٤٤٥٥٨.

(٥) حين ارتجّ الحمام لخادمه بينما لم يأبه به أحد لسواده. وعندئذ قال: (الذنب لمن وضعني في أمة سوداء). (*) لم أعثر عليه.

إذا ارتعثت خاف الجِبَانُ رِعاثَها ومن يَتَعَلّق حيث عُلّق يفرق[1]

وقول عمر بن أبي ربيعة :

بعيدةُ مَهْوَى القُرْطِ إما لنوفل أبوها وإما عبد شمس وهاشم

وأرباب البيان يقولون في هذين البيتين : إنهما كناية عن طول العنق وعندي في ذلك استدراك أذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى في باب آخر .

وقال الشاعر :

ولما التقى الصفان واختلف القنا نِهالًا وأسبابُ المنايا نِهالُها
تبين لي أن القماءَةَ ذِلّةٌ وأن أشِدّاءَ الرجال طِوالها[2]

ومن هذا الباب قول العرب في المدح : طويل النِّجاد، وإنما هو كناية عن الطول وامتداد القامة. والنِّجاد: حَمَائل السيف ولا تطول الحمائل إلا إذا كان حاملها طويلا ، إذ لو كان قصيرا لقصّرها .

قال أبو العباس في الكامل: العرب تمدح بالطول، وتضَع من القصر[3] فلا يذكره منهم إلا مُحتَجّ عن نفسه، ولا يمدح به غيره وأنشد لعَنترَة:

بطل كأن ثيابه في سرجه تحذي نعال السبت ليس بتوأم

وقال جرير :

وإني لأرضي عبدَ شمسٍ وما قَضَت وأرضي الطِّوالَ البيضَ من آلِ هاشمِ

انتهى ما ذكره أبو العباس .

• البهاء زهير يحبها طويلة!

ولبهاء الدين زهير بن محمد المهلبي ممن تقدم عصرنا[4] قليلا يصف طويلة :

وهيفاءَ تحكي الرمح لونًا وقامةً لها مهجتي مبذولةٌ وفؤادي
لقد عابها الواشي فقال طويلة مَقالَ حسود مُظْهِر لعنادي
فَقُلْتُ له بشّرت بالخير إنها حياتي فإن طالت فذاكَ مرادي
وما عابها القدّ الطويل وإنه لأول حُسْنًا للمليحة بادي
رأيت الحصون الشم تحفظ أهلها فأعددتها حِصْنا لحفظ ودادي

• البعض يفضلونها متوسطة!

ووصف أعرابي امرأة فقال : ما يمس ثوبها منها إلا مُشَاشَتَيْ مَنْكِبَيْها[5]، وحَلَمَتَيْ ثدييها

---

(١) قال المعجم الوسيط: ارتعثت لبست رعثة. والرعثةُ: القرط أو كل ما تذبذب من قرط أو قلادة.

(٢) ذكر أبو العباس في الكامل - هذين البيتين مع ثالث وقال: وقال أعرابي خُيِّرت أنه من سعد: قوله: نِهالًا يريد أنها قد وردت الدم مرة ولم تُثَنّ؛ وذلك أن الناهل الذي يشرب أول شربة، فإذا شرب ثانية فهو عال. يقال: سقاه علًا بعد نهل، وعللًا بعد نهل. وأسباب المنايا نهالها: أي أول ما يقع منها يكون سببًا لما بعده.

(٣) تحط من شأنه وتعتبره وضيعًا.

(٤) قال عنه مترجمه الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر الأسبق: مثال من مُثُل الخلق العظيم يجمع إلى حب الخير وفضيلة العفو قوة الشخصية وشرف النفس، وعزة الإباء. ولد سنة ٥٨١- وتوفى ٦٥٦هـ.

(٥) المشاشة (بضم الميم) ما بزر من عظم المنكب.

ورانفتي أَلْيَتَيْها [1]. تطول القصار فهي فوقهن، وتطولها الطوال فهي دونهن فهذا استحسن المتوسطة الطول والقصر وهو كما قال الآخر :

فداؤك يا سلمى قِصارٌ زعانِفٌ ... وعُطْلٌ طِوالٌ في النساء قِباح
فأنت مُنَى نفسي إذا كنت خَالِيًا ... وفوقَ المُنَى لو كان فيك سَماح
كأنكِ هَيّاك المشْهِي لنفسه ... على ما اشتهى ما في مُناه جُناح
لك الفضل أمّ الفضل في الناس بيِّن ... كما فضل الليلَ البَهيم صباحُ

ومن أبيات الحماسة :

جديدة سِربالِ الشبابِ كأنَّها ... سَقِيَّةُ بَرْدِيّ نَمَتْهَا غُيُولُها
ومُخْمَلَةٍ باللحم من دون تِرْبها [2] ... تطول القصارَ والطِّوالُ تطولها

الغيول : جمع غيل وهو الماء الجاري. وقال ابن الرومي في هذا المعنى:

كأنما أفرغت من ماءِ لُؤْلُؤَةٍ ... في كلِّ ناحيةٍ من وجهها قَمَرُ
كما اشتهت خُلِقَتْ حتى إذا كملت ... تمت قوامًا فلا طول ولا قصر

• قد تساوي الليل فيه والنهار!

ولبهاء الدين زهير المذكور قبل ذلك :

كَلِفْتُ بها وقد تمت خُلاها ... فلا طولٌ يُعابُ ولا اختصار
وشَعْرٌ واصلٌ الخَلْخَالِ منها ... فأضحى قُرْطها قَلِقًا يَغَارُ
حكَتْ فصلَ الربيع بحُسْنِ قَدٍّ ... تَساوَى الليلُ فيه والنهار

• من خصائص المصطفى ﷺ !

وجاء في وصف رسول الله ﷺ : «أنه كان معتدل القَدّ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتَرَدّد» [3] ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله هو ﷺ وتلك آيةٌ خصَّه الله سبحانه بها:

• الكمال في الاعتدال !

قال أبو العباس في الكامل : لم يختلف أهل الحكمة والنظر من العرب والعجم أن الكمال في الاعتدال، ولا يقال غير هذا عن حكيم. وأبين ما فيه ما اختاره الله عز وجل لنبيه ﷺ. قال: وقد كان يقال الكَيسُ [4]

---

(١) الرائفة: أسفل الأَلية وطرفها الذي يلي الأرض من الإنسان إذا كان قائمًا وجمعها روائف.

(٢) من قصيدة لعبد الله بن عجلان النهدي جاهلي متيم وهو ممن قتلهم الحب. قال ابن سيرين: خرج عبد الله بن العجلان في الجاهلية (هائمًا) على وجهه لا يدري أين يذهب) وهو يريد أن يقول: إنها في عنفوان شبابها كأنها في زيادة الخلق وحسن البنية كالبردي الذي نما يسقي ماء الوادي. والمخملة: المنسوجة: يريد أن أعضاءها تساوت في ركوب اللحم إياها وظهور السمن بها مكان اللحم جعل لها خملًا.. ومعنى من دون ثوبها أنه مِلْ درعها - والمعنى أنا سمينة ممتلئة اللحم تحت ثوبها. رَبْعة لا بالطويلة ولا بالقصيرة. والسقية بمعنى المقيّة. والبردي نبات ناعم. والغُيول جمع غيل، وهو كل وادٍ تسيل فيه العيون. في الحماسة: ثوبها بدلًا من يتربها.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب صفة النبي، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب صفة النبي ﷺ، والترمذي في المناقب باب في مبعث النبي ﷺ، والبيهقي في دلائل النبوة ١/ ٢٠٣ كلهم من حديث أنس بن مالك.

(٤) الكيس (بالفتح) خلاف الحُمق وقد كاس يكيس إذا كان حاذقًا فطنًا.

في القِصَر، وقد قيل في خبر قصير [1] وكيده ومكره ما قد سار به المثل وهذا من أغلاط أبي العباس -رحمه الله- فإن قَصيرًا اسم للرجل وهو قصير بن سعد ولا يعلم أحدٌ طويلا كان أم قَصيرًا.

• تجنبوا المذكرة!

أبو الفرج في كتاب النساء عن الأصمعي قال: قال ابن الزبير لا يمنعنَّكُم من تَزَوُّج امرأةٍ قصيرةٍ قِصَرُها، فإن القصيرة تلد الطويل، والطويلة تلد القصير. ولكن تجنبوا المذكرة فإنها لا تُنْجِب.

• أريدها قصيرة جميلة!

قاسم بن ثابت عن الأصمعي قال: كان أعرابي طويلا قبيحا فخطب امرأة وقال: أريدها قصيرة جميلة ليأخذ الولدُ طُولي وجمالها، قال: فتزوجها على تلك الصِّفَةِ فجاءَ ولدُه على قُبْحِه وقِصَرِها.

وقال كُثَيِّر:

وأنـــت الـــذي حببت كـــل قصيرة ... إلـــيَّ ولـــم تشعر بـــذاك القصائر

أردت قصيراتِ الحِجالِ ولـم أُرِدْ ... قِـصَـارَ الخُطا شَـرَّ النِّساءِ البحاتر

البحاتر: القصيرات من قصر القامة.

• القصر بلية يستعاذ بالله منه!

أبو الفرج في كتاب النساء: قال: رأى رسول الله ﷺ رجلا قصيرًا فقال: «من رأى مبتَلًى فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به غيري، وفضلني عليه، وعلى كثير ممن خلق تفضيلا عافاه الله مما ابتلاه به كائنا ما كان» فعد رسول الله ﷺ القِصَرَ بَلِيّة يُستعاذُ بالله منه [2]. وفي حديث محمد ابن علي أن رسول الله ﷺ مرَّ برجل نُغَاش أو قال: نُغَاشي فخرَّ ساجدًا، ثم سأل الله العافية [3]. قال الخطابي في غريب الحديث: النُّغَاش: بضم النون وبالعين والشين المعجمتين: الرجل القصير.

الباب الثامن عشر

جامع في الملاحة والجمال

• إن الله جميل يحب الجمال!

مكحول عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال» [4].

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني لَيُعْجبني أن يكون ثوبي غسيلا، وشراك نعلي حسنا وذكر شيئًا حتى ذكر عِلاقَة سَوْطه، أفمِنَ الكِبْر هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا، هذا من الجمال والله يحب الجمال ولكن الكبر سفه الحق وأذى الناس» [5].

---

(١) وقصير كأمير هو ابن سعد صاحب جذيمة الأبرش وجاء فيه المثل: (لا يُطاع لقصير أمر).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعاء باب ما يقول إذا رأى مبتلى، ورواه البزار والطبراني بإسناد حسن، انظر مجمع الزوائد ١٠/ ١٣٨.

(٣) ذكره ابن الأثير في النهاية وقال: (نغش) فيه أنه مر برجل نُعاش فخرَّ ساجدًا، ثم قال: أسأل الله العافية، وفي رواية مر برجل نُغاشِيّ. النُّغَاشُ والنُّغَاشِيّ: القصير أقصر ما يكون. الضعيف الحركة الناقصُ الخلق.

(٤)، (٥) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث طويل كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه، وأحمد عن أبي ريحانة ٤/ ١٣٣، والترمذي عن ابن مسعود وأبو يعلي عن أبي سعيد، والطبراني عن أبي أمامة وابن عمر وجابر.

• ثلاثة تجلو البصر!

أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة تجلو البصر: الخُضْرةُ، والماء الجاري، والوجهُ الحسن» [١]. ويروى أيضًا عن ابن عمر مرفوعًا. ونظم الشاعر ذلك فقال :

ثلاثة تجلو عن القلب الحَزَن الماء والخُضْرَة والوجهُ الحَسَن

• النظر يورث الفرح أو الكلح!

ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «النظر إلى الوجه الحسن يورث الفرح، والنظر إلى الوجه القبيح يورث الكَلَح» [٢] . الكلح: تقبض الوجه من العبوس. وفي الشهاب: عن النبي ﷺ قال: «النظر إلى الجارية الحسناء يزيد في البصر» [٣] .

• أثر النظر إلى كل من الوجهين: الحسن والقبيح!

قال بعض العلماء : إذا كان النظر إلى الوجه الحسن يزيد في البصر فيقتضي أن النظر إلى الوجه القبيح ينقص منه.

• من هُنَّ على صفة الحور العين!

قال الغزالي في الإحياء : يقال : إن المرأة إذا كانت حسنة الصفات حسنة الأخلاق متسعة العين سوداء الحدقة مُتَحَبِّبَة لزوجها قاصرة الطَّرْف عليه، فهي على صفة الحور العين. قال الله تعالى حيث وصفهن: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ [الرحمن: ٧٠] أراد بقوله خيرات حُسْنَ الخلق. وهذا بناءً على أن الأصل خَيِّرَاتٌ بالتشديد فخفف، وقوله حسان: حسنَ الصفات. وقال تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ [الواقعة: ٢٢] فالحورُ جمع حَوْرَاء وهي الشّديدة سَوادِ الحَدقَةِ، والعِين: جمع عَيْنَاء. وهي المتسعة العين. وقال تعالى: ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ [الواقعة : ٣٧] فالعُرُب هي المتحبِّبَةُ لزوجها المشْتهية الوِقاع: وقال: وبذلك تتم اللذة. وقال عز وجل: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ [الرحمن : ٥٦] قال المفسرون: معناه قاصراتُ الطَّرْفِ على أزواجهن لا يرين بهم بَدَلا .

• حسان الوجه وطلب الخير عندهم!

البزار عن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا أبردتم إلى بُريدًا فأبردوه حسنَ الوجه حسنَ الاسم» [٤]. وفي حديث عنه ﷺ أنه قال: «اطلبوا الخير عند الحسان الوجوه» [٥]. فقال الشاعر:

أنت شَرَط النَّبي إذْ قال يومًا اطلبوا الخير من حسان الوجوه

---

(١) أورده السخاوي في المقاصد الحسنة وعزاه للحاكم والديلمي.

(٢) أورده الديلمي في الفردوس حديث رقم ٦٨٧١ وعزاه لابن عساكر ولصاحب كشف الخفاء وتذكرة الموضوعات، وأورده السخاوي حديث رقم ١٢٥٥ في المقاصد الحسنة.

(٣) ذكره الصنعاني في موضوعاته برقم ٥٦، والعجلوني في كشف الخفاء ٢/ ٤٣٩، والشوكاني في الفوائد ص٢١٧، وحكم عليه الألباني بالضعف، انظر السلسلة الضعيفة ١/ ١٦٥.

(٤) أخرجه البزار والطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد ٨/ ٤٧.

(٥) أخرجه البزار والطبراني في الأوسط، انظر مجمع الزوائد ٨/ ١٩٤، وأخرجه الديلمي في الفردوس بلفظ (اطلبوا الخير والمعروف) من حديث أبي هريرة برقم ٢٤٠، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ١٥٩.

• صفوة خلق الله!

ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من آتاه الله وجهًا حَسنًا وخُلُقًا حَسَنًا فهو من صفوة خَلْق الله» [1].

• خلاصة خلق الله!

وفي أثر ، من كانت له صورة حسنة، وحَسَبٌ لا يشينُه وُوُسِّعَ عليه في الرزق فهو من خلاصة خلق الله.

• من يرشح للإمامة؟!

عائشة رضي الله عنها قالت : «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله عز وجل فإن كانوا في القراءة سواء فأصبحهم وجها» [2].

• الجمال مرحوم، وشفيع الحسن مقبول!

وكان جعفر بن محمد يقول : الجمال مَرْحُوم، وقالوا: شفيع الحسن مقبول ونظم ذلك ابن قنبر المازني فقال:

ويْلي على من أطار النومَ فامتنعا ... وزاد قلبي إلى أوجاعه وجَعَا
كأنما الشمس في أعطافه لمعت ... حُسْنًا أو البدر من أزراره طَلَعَا
مستقبل بالذي يهوى وإن كثرت ... منه الذنوب ومعذور بما صنعا
في وجهه شافع يمحو إساءته ... من القلوب وجيه حيثما شفعا

• وجهه شافع!

قال يحيى بن علي المنجم : كنت يوما بين يدي المعتضد وهو مقطب، إذ أقبل بدر مولاه، وكان من الحسن على الصفة التي كان عليها، فلما رآه من بعيد ضحك وقال: يا يَحْيى، من الذي يقول وجهه شافع ؟ «الأبيات» فقلت: ابن قنبر فقال: لله دره! ثم استنشدني الأبيات فأنشدته إياها وقد انقلب تقطيبه ضحكا وسرورا ، ومن هنا أخذ المطرز الشاعر قوله :

يا صاحبي بأعلام المطيرة لي ... ظبي إذا آنست عيني به نفرا
إذا تكلم واستجلت محاسنه ... عيني خلعت عليه السمع والبصرا
فإن رَنَا قلت: عن عين الغزال رنا ... وإن مشى قلت غصن يُحْمِلُ القمرا
إذا أتى وجْهُه بالصبح مُتّضِحًا ... جاءت ذوائبه بالليل معتكرا
وما جنى قَطُّ ذنبا غير مُعْتذر ... إلا أتى وجهه بالحُسن مُعْتذرا

• جمالها يفك حصار مدينة ويرد كيد المعتدي!

التيفاشي في قادمة الجناح قال : حاصر العلوي مدينة بالشام فأشرف على تملكها وكانت فيها إمرأة مشهورة بالحُسْن، فقالت لأهل المدينة: أنا أكفيكموه، وخرجت فطلبت الوصول إليه، فلما أُحْضِرَت بين يديه، قالت: ألست القائل:

---

(١) وروى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة: (والله ما حسّنَ الله خلْق رجل وخلُقه فتطعمه النار). العجلوني.

(٢) رواه أحمد ورجاله ثقات، انظر مجمع الزوائد للهيثمي ٢/ ٦٣.

نحن قوم تذيبنا الأعين النُّجْـ ـلُ على أننا نُذيب الحَديد
وتُرَانا لذي الكريهة أحرا رًا وفي السِّلْم للحِسان عَبِيدًا؟!

قال : نعم فألقت البَرقعَ عن وجهها وقالت: أحسنا ترى أم قبيحًا؟! قال: بل حسنًا. قالت: فإن كنت عبدا للحسان كما ذكرت فاسمع وأطِعْ، وارتحل عنّا. قال: فنَادى مِن حِينِه بالرحيل. فقال له قُوّادُه: إن البلد في أيدينا وقد أشرفنا على فتحه. فقال: لا سبيلَ إلى الإقامة عليها ساعةً واحدة وخطب المرأة بعد ذلك فتزوجها !

• لعلّي انظر إلى وجه حسن!

الحكم بن عبد الله قال : رأيت شُرَيْحًا على باب المسجد الحرام واقفا فقلت له : ما وقوفك ههنا يا أبا أمية؟! فقال: أقف لَعَلّي أنظر إلى وجهِ حسن! قال الشاعر:

إني امرؤ مولع بالحسن أتبعه لا حظ لي فيه إلا لذة النظر

• مرتبة الكمال ومن يحوزها؟!

صاحب الكمائم قال : كان محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان يسمى الديباج لجماله. وقالت له امرأة يوما: أنت تفخر بالجمال، وإنما ذلك فخر النساء، وفخر الرجال بالإجمال، فقال لها: وإذا جمع الرجل بين الجمال والإجمال، فقد حاز مرتبة الكمال.

• إن الله وسمني بميسم الجمال فأحببت أن يراه الناس!

حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كانت عائشة بنت طلحة لا تستر وجهها فعاتبها مُصعب بن الزبير في ذلك فقالت: إن الله وسمني بميسم جمال فأحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضلي عليهم، فما كنت لأستره ولو علمت فيّ وصمة أستتر لها لاستترت وكان مصعب إذا عزم عليها في الاستتار استترت، فإذا سكت عنها سفرت وباشرت الناس [1].

• عمر بن الخطاب والمتنقبات!

قال ابن حزم: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى امرأة متنقبة قال لها: أَسْفِرِي نِقَابَك، فإن رآها حسنةً أمَرَها أن تَتَنقَّب وإن رآها قبيحة منعها من النقاب.

وأنشد الزبير بن بكار:

ليت النقابَ على النساءِ مُحَرَّمٌ كي لا تَغُرَّ قبيحة بنقابها

• سبحان الله! ما أجملك! وأحسنك!

أبو الفرج في الأغاني قال : نازَعَتْ عائشةُ بنتُ طلحة زوجَها إلى أبي هريرة رضي الله عنه فسقط خمارُها عن وجهها فقال أبو هريرة: سبحانَ الله، ما أجملكِ وأحْسَنَكِ! والله لكأنما خَرجْتِ من الجنة، فلما سمع زوجُها ذلك هاج في نفسه منها هائج، فقام فترَضّاها، وأخذ بيدها، ورجع إلَى ما أرادت منه [2].

---

[1] ذكره أبو الفرج في الأغاني في أخبار عائشة بنت طلحة في أنها كانت فريدة بين نساء عصرها انظر الأغاني ١١/ ١٨٠.
[2] انظر الأغاني لأبي الفرج ١١/ ١٩٤.

• ظرف أهل الحجاز!

الحُصْري في الزّهر قال : خرج أبو حازم يرمي الجِمارَ ومعه قوم ناسكون وهو يُحَدّثهم، فبينما هم كذلك إذ نظروا إلىّ امرأة من أجمل الناس تتلفت يَمنةً ويَسْرةً وقد شَغَلَتِ الناسَ وبهتوا ينظرون إليها وخاض بعضهم في بعض فقال لها أبو حازم: يا هذه، اتّقِ الله، فإنك في مَشْعَرٍ مِنْ مَشاعرِ الله وقد فَتَنْتِ الناسَ فاضربي على جَبينك بخمارك فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. فأقبلت تضحك من كلامه، وقالت: يا هذا، إني مِمّن قال فيه الحارث بن خالد:

أماطت كِسَاءَ الخزّ عن حُرّ وَجْهِها ... وأرخت على الكَشْحَين بُرْدا مُهَلْهَلا
من اللّاءِ لم يَحْجُجْن يبغين حِسْبَةً ... ولكن ليقتلن البريء المغفّلا

فأقبل أبو حازم على أصحابه فقال: يا هؤلاء، تعالَوْا نَدْعُ الله ألا يُعَذّب هذه الصورة الحسنة بالنار فجعل يدعو وأصحابه يُؤَمِّنُون، وبلغ ذلك سعيدَ ابنَ المسيّب، فقال: أمَا والله لو كان بعض بغضاء أهل العراق لقال لها: اغْرُبي [1] قَبّحَكِ الله! ولكنه ظرْف عبادِ الله من أهل الحجاز. أبو حازم هذا هو سلمة ابن دينار من كبار التابعين روى عنه ما لك وابن أبي ذئب ونُظَرَاؤُهما.

• كأنها مهاة قد فتنت الناس جميعا بجمالها!

الأصمعي قال : رأيت في الطواف جارية كأنها مَهَاةٌ قد فتنت الناس جميعا بجمالها فوقفْتُ أنظر إليها وأملأ عيني من محاسنها فقالت: ما لك يا هذا؟ قلت: وما عليك من النظر، فأنشأت تقول:

وكنتُ إذا أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لاكُلّه أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وفي بعض روايات هذا الخبر عن الأصمعي قال: كنت في بعض مياه العرب فسمعت الناس يقولون : «جاءت الصّقيل» ونهضوا فنهضت معهم لأنظر فإذا جارية قد وردت الماء لم أر قط مثلها حُسنَ وجْه، وكَمالَ خُلُق، فلما رَأتْ تشوقَ الناس وإلحاحَهم بالنظر إليها أرسلت بُرْقُعَها فكأنه غَمامَةٌ غطّت شَمْسًا فقلت: يا أَمَةَ الله، لو متّعتينا من النظَر إلى هذا الوجه الحسن فأنشأت البيتين المتقدمين .

• تفضح الدر بحسنها!

وكست سُكَيْنَةُ بنتُ الحسين ابنة لها دُرًّا كثيرا وقالت: والله ما كسوتها إياه إلا لِتَفْضَحَه بحسنها.

• على خدها سطران!

قال خليلانُ المغني : دخلت دار هارون الرشيد فرأيت جارية خماسيّة من [2] أحسن الناس وجها على خدها سطران مكتوبان بالغالية [3] فيهما «مما عمل في طراز الله فتنة لعباد الله». خليلانُ هو عتاب ابن عتاب بن سعد بن عبد الرحمن بن عتاب الأموي من ذوي الشرف الذين أخل الغناء بشرفهم.

---

(١) اغْرُبي: ابعدي.
(٢) قال في القاموس: وغلام خماسيّ طوله خمسة أشبار ولا يقال سداسي ولا سباعيّ؛ لأنه إذا بلغ ستة أشبار فهو رجل.
(٣) الغالية: طِيبٌ.

• الجميلة المليحة !

وقالوا : الجميلة هي التي تأخذ ببصرك على البعد، والمليحة هي التي تأخذ بقلبك على القرب. قال أبو الفرج في الأغاني: قالت سُكَينَةُ بنتُ الحسين يوما لعائشة بنت طلحة: أنا أجمل منك، وقالت عائشة: بل أنا أجمل منك! فاختصما إلى عمر بن أبي ربيعة فقال: لأقضيّن بينكما. أما أنت يا سُكَيْنة فأملح، وأما أنت يا عائشة فأجمل فقالت سكينة: قضيتَ لي والله عليها .

• عمود الجمال!

وقالت امرأة لخالد بن صفوان : ما أجملك يا أبا صفوان ! قال: كيف تقولين ذلك وليس لي عمود الجمال ولا رداؤه ولا بُرْنُسه؟! أما عمود الجمال: فالقَوام والاعتدال، وأنا قصير. وأما رداؤه: فالبياض ولَسْتُ بأبيضَ. وأما بُرنُسُه: فسواد الشعر وجُعودته، وأنا أصلع. ولو قلت ما أملحَك! لصدقت .

• ما يكون أحد أجمل من هذا!

أبو الفرج في كتاب النساء قال : وكان محمد بن المنذر بن الزبير يسمى الديباج لجمال وحسن وجهه، وقد تقدم أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنهم كان يسمى كذلك قال: فخطب هو وعبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم امرأة فجعلت تسأل عنهما ثم خرجت ليلة تريد الصلاة في مسجد النبي ﷺ فرأتهما قائمين في القمر يتعاتبان في شأنها، وكان وجه عبد العزيز إليها فنظرت إلى بياضه، وطوله فقالت: ما يكون أحدٌ أجملَ من هذا! فتزوجته، فجمع الناس، وأقبل للدخول، فكان فيمن وصل إليه محمد بن المنذر فأكرمه عبد العزيز ورفع مجلسه، فلما فرغ الناس من طعامهم، بارك له، وانصرف فرأته فندمت على ما فاتها من جماله قال: ويقال إنها ماتت أسَفًا عليه .

• لو أبصرته العيدان لتحركت أوتارها!!

حديث بُرَيْدة في قوله ﷺ: «إذا أبردتم إليَّ بُريدًا» الحديث. وفي حديث قتادة عن أنس قال : «ما بعث الله نبيًّا إلا حَسنَ الوجه حسن الصورة حسن الصوت وكان نبيكم ﷺ أحسنهم وجها وأحسنهم خلقا، وأحسنهم صوتًا» أخرجه الدارقطني، وذكره عياض رحمه الله في الشفاء.

وذكر أعرابي رجلا جَميلا فقال: والله لو أبصرته العيدان لتحركت أوتارها، ولو رأته مؤنسة لَانْحلَّ إزارها.

• فرجل الشعر صافي اللون!

وقال بعض الأعراب :

ماذا تظن بسلمى إن ألـمَّ بها ... مُرَجّل الشعر صافي اللونِ مَزّاح
خزٌ عِمامَته حُلو فُكاهَتُه ... في كفه من رُقَى إبليس مِفْتاح

• دعتني أخاها!

وهذا كقول عبد الرحمن بن الحكم :

وكأس ترى بين الإناء وبينها ... قَذَى العينِ قَدْ نَازَعَتْ أُمّ أبان
ترى شَاربيها حين يَعْتَوِرَانِها ... وبيضاء خود حين يلتقيان

فما ظن ذا الواشي بأبيضَ ماجدٍ يميلان أحيانًا ويعتدلان
دَعَتْني أخاها أمّ عمرو ولم أكن أخاها ولم أرضع لها بلبان
دعتني أخاها بعد ما كان بيننا من الأمر ما لا يفعل الأخوان

• رب أخ لك لم تلده أمك!

وفي معنى قوله : دعتني أخاها قول العرب في مثل من أمثالها «رُبَّ أخ لم تلده أمك». وأصل المثل أن لقمان بن عاد رأى امرأة وقد خلا بها رجل، وهي تلاعبه ومعها صبّي يبكي، وهما قد أقبلا على شأنهما لا يكترثان به، فسألها عن الرجل فقالت هو أخ فقال: «رُبَّ أخٍ لم تلده أمك» أي إنما هو أخوك بالمحبة والصداقة لا بالولادة !

• التبرك بالحسن في الوجه!

قال بعضهم : كانت الفرس تتبرك بالوجه الحسن، وتقول : إن الحسن أول سعادة المرء، فإن الله تعالى بلطيف حكمته، وشريف إبداعه وصنعته لم يخلق شيئًا عَبثًا، ولم يجعل الصورة مختارة الصفات، سليمة من الآفات إلا عن فضل احتفاء منه بها .

• جمال الخُلق والخَلق!

قالوا : قلما توجد الأخلاق إلا تابعة الخَلْق تناسبًا يطّرد، وأصلا لا ينعكس !

• الحسن والجمال!

وقال أبو الريحان البيروني في فصل من كتابه المسمى بالجماهر : فأما الحسن ففي الصورة، والجمال في الهيئة، وهما محبوبان بالطبع مرغوب فيهما، حتى أن رسول الله ﷺ كان يَسْتوفد حسانَ[1] الوجوه والأسماء وكان ينقل الأسماء المستكرهة في الناس والبقاع إلى الأسماء المستحسنة[2] وقد قدمنا نحن آنفا حديث بُرَيْدة في قوله «إذا أبردتم إليَّ بُريدا» الحديث. وفي حديث قتادة عن أنس قال: «ما بعث الله نبيا إلا حَسنَ الوجه، حسن الصورة، حسن الصوت وكان نبيكم ﷺ أحسنهم وجها وأحسنهم خلقا، وأحسنهم صوتا» أخرجه الدارقطني، وذكره عياض رحمه الله في الشفاء.

فصل في ترتيب أوصاف الحسن وتنزيل الألفاظ اللغوية عليها منقول من كتاب فقه اللغة

قال أبو منصور : إذا كانت على المرأة مَسْحَةٌ من جمال فهي جميلة وَوَضيئة. فإذا أشبه بعضها بعضا في الحسن فهي حُسانَة. فإذا استغنت بجمالها عن الزينة فهي غانية. فإذا كانت لا تُبالي أن تلْبَسَ ثوبا حسنا ولا تتقلد قلادة فاخرةً فهي مِعْطال. فإذا كان حسنُها ثابتًا كأنه قد وُسِم فهي وسيمة. فإذا قسم لها حظ وافرٌ من الحُسن فهي قسيمة. فإذا كان النظر إليها يَسُرّ الرُّوع فهي رائعة. فإذا غلبت النساء بحسنها فهي باهرة. وقال في فصل ثان من الكتاب المذكور: الصباحة في الوجه، والوضَاءة في البَشرة والجمال في الأنف، والحَلاوة في العينين، والملاحة في الفمّ، والظرف في اللسان والرشاقة في القدّ،

---

(١) يبعثهم وفودًا إلى الأمم في المهام العظيمة!

(٢) فقد ثبت كما قال ابن الأثير في النهاية أنه غير اسم امرأة كانت تسمى بَرّة فسماها زينب وقال: (تزكّي نفسها) كأنه كره ذلك. وأصبحت يثرب بعد هجرته إليها مدينة الرسول ﷺ والمدينة المنورة.

واللباقة في الشمال، وكمال الحسن في الشَّعر. وقال غيره: والبراعة في الجديد، والرِّقَّة في الأطراف، وأكثر هذا التذييل على التقريب، والتحقيق منه بعيد والله أعلم.

الباب التاسع عشر

في ذكر أوصاف النساء على الإجمال

• مع الرواة وأهل الأخبار في وصف النساء!

كان بالمدينة : على زمن رسول الله ﷺ ثلاثة من المخَنّثين يدخلون على النساء فلا يُحجَبُون منهم وأسماؤهم: هيت، وهرم، وماتع. وكان هيت يدخل على أزواج النبي ﷺ فدخل يوما دار أم سلمة ورسول الله ﷺ عندها، فأقبل على أخي أم سلمة عبد الله بن أمية بن المغيرة فقال: إن الله فتح عليكم الطائف غدًا فعليك ببادية بنت غيلان بن معتب فإنها مُبَتّلةٌ هَيْفاء شَمُوع نَجْلاء ، إن قامت تثنت، وإن قعدت تبنّت، وإن تكلمت تغنت، تُقبل بأربع، وتُدْبر بثمان، مع ثغر كالأقْحوان، وثدي كالرُّمان، أعلاها قَضيب، وأسْفَلُها كثيب، وبين رجليها كالقعب المكفو. فهي كما قال قيس بن الحطيم:

تغترف الطرف وهي لاهية ... كأنما شف وجْهها تَرَفُ
بين شُكول النساء بخلقتها ... قصد فلا جَبَلة ولا قَضَفُ

فقال رسول الله ﷺ حين سمع كلامه : «لقد غلغلت النظر فما كنت أحسبك إلا من غير أولي الإربة»[1] وكان رسول الله ﷺ يضحك من كلامه ويظن ذلك نقصا من عقله، فلما سمع منه ما سمع قال لنسائه: «لا يدخل هيتُ عليكن» وأمر أن يسير إلى خارج المدينة فبقي هناك حتى قُبض رسول الله ، فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه كُلِّم فيه فأبى أن يرده، فلما ولي عمر رضي الله عنه كُلِّم فيه فأبى أن يرده، فقيل له: قد كبر وضعف واحتاج، فأذن له أن يدخل كل جمعة فيسأل ويرجع إلى مكانه: هذه رواية أهل الأخبار.

• مخنث يصف امرأة!

وأخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها مختصرا فقال فيه : كان يدخل على أزواج النبي ﷺ مُخَنّث، فكانوا يَعُدّونه من غير أولي الإرْبة، فدخل النبي ﷺ يوما وهو عند بعض نسائه وهو يَنْعَتُ[2] امرأةً فقال: إذا أقبلت أقبلت بأربع، وإذا أدبرت أدبرت بثمان. فقال النبي ﷺ : «لا أرى هذا يعرف ما ههنا، لا يدخل عليكن»[3] فحجَبُوه. زاد أبو داود في هذا الحديث: فأخرج فكان بالبَيْداء يدخل كل جمعة يَسْتَطْعِم[4] . قوله: فإنها مُبَتّلة هَيْفاء، المبتلة التامة الخَلْق التي لم يركب بعض لحمها على بعض ولا يوصف الرجل بذلك ، والهَيْفاء : اللّطيفة البطن الضامرة الخصر، والشَّمُوع: اللّعوب الضَّحوك، والنَّجلاء: المتسعة العين. وقوله: وإن قعدت تبنت: قال الأصفهاني في «كتاب أفعل» التبني تباعد ما بين الفخذين، قال: وقيل: معنى تبنت صارت كالبنيان. وقوله: تقبل بأربع وتُدْبر بثمان قال المازري في المعلم : عن أبي عبيدة: معناه تقبل بأربع عُكن، ولكل عكنة طرفان فتصير ثمانية فتدبر بهن، وهذا كلام غير مفهوم ولكن الشراح استمروا عليه، قال: وإنما أنّثَتْ فقال بثمانٍ ولم يقل بثمانية ، والأطراف

---

(١) الذين لا مأرب ولا حاجة لهم في النساء!
(٢) ينعتها: يصفها.
(٣) رواه مسلم في كتاب السلام باب منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب.
(٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب باب في الحكم في المخنثين من حديث أم سلمة برقم ٤٩٢٩.

مذكرة لأنه لم يَذْكر الأطراف ولو ذكرها لم يكن بدٌّ من التذكير. وقوله في شعر قيس بن الحطيم تغترق الطرف بالغين المعجمة أي تستغرق نظره وتستوفيه.

قال السهيلي في الروض الأُنُف ويقال: إن ابن دُرَيْد صحف هذه اللفظة فقالها «بالعين» المهملة وصَحّف أيضا قول مهلهل :

أنكحها فقدها الأراقم في جنب وكان الحباء من أدم

فقال فيه الخباء بالخاء المعجمة فقال فيه الشاعر :

ألم تصحف فقلت تعترف الطرف مكان تغترق
وقلت كان الخِبَاء من أدم وهو حباءٌ يهدي ويسترق

وهيت الأشهر فيه بياء مُعْتَلة بعدها تاء صحيحة مُثَنّاة. وقال بعضهم صوابه: «هنْب» بنون ساكنة بعدها باء مفردة، حكاه عياض عن بعض شيوخه. وأما «بادية» فالباء المفردة بعدها دال مهملة ثم ياء معتلة وسمعت بعض شيوخنا يذكرون أن الصواب فيها «بادنة» بالنون عوض الياء المعتلة ولم أر ذلك منقولا. ويذكر أن «بادية» هذه توفيت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأنه صلى عليها فرأى منها ما شق عليه يريد من شحمها فأخبرته أم سلمة أنها رأت بأرضِ الحبشة أعوادًا يغطى بها النعش ووصفتها له فقال عمر: نِعمْ هودج الظعينة هذا! فكانت أول امرأة غُطِّيَ نعشها.

قال أبو الفرج في الأغاني : وكان هيت مَوْلَى لعبد الله بن أبي أمية، فلذلك حضه على «بادية» ووصفها له. قال: ولما فُتحت الطائف تزوج «بادية» عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فولدت له ابنته «بُرَيْهَة» وسيأتي في باب الغيرة ذكر المخنثين.

• نعمان المخنث يصف عائشة بنت طلحة!

قال إسحاق بن إبراهيم : قيل لنعمان المخنث : كيف رأيت عائشة بنت طلحة قال: أحسن البشر، قيل له صفها، قال: تناصف وجهها في القسامة، وتجزأ معتدلا في الوسامة، إن تكلمت تغنت، وإن مشت تثنت. وقوله: تَنَاصَف وجهها في القسامة أي أخذ كل موضع منه حظّه من الحسن لم ينفرد بالحسن موضع دون موضع، فيغبن أحد المواضع حقه. والقسامة: الحسن وهو أيضا معنى قوله وتجزأ معتدلا في الوسامة أي أن الوسامة عمت جميع أجزائه بالتسوية.

• ما وراءك يا عصام!

الزبير في الموفقيات قال : بلغ الحارث بن عمرو بن حجر الكندي عن الحسناء بنت عوف بن مُحَلِّم الشَّيْباني ما هي عليه من جمال وكمال فأرسل إليها امرأة من كندة يقال لها: «عصام» فقال لها: اذهبي فاعلمي لي علم الجارية [1]، قالت: فأتيت فإذا امرأة كأنها «المهاةُ الوحشية» وإذا حولها بنات لها كأنهن الغِزلان فأعلمتها بالذي حضرت له فأرسلت إلى ابنتها وقالت: أي بنية هذه خالتك قد جاءت لتنظر بعض شأنك، فلا تستُري عنها شيئًا من أوصافك وناطقيها إن استنطقتك [2]، قال: فأذنت لها أمها [3] فلما دخلت عليها «عصام» وتوسمت خُلُقَها رأت أحسنَ الناسِ وجهًا وجِسمًا ثم خرجت

---

[1] الجارية: الفتاة الصغيرة وعِلْمَها: أي خبرها وما يتعلق بها مما يهم الخاطب.

[2] إن أدارت معك حوارًا فردي عليها.

[3] وهي أمامة زوجة عوف بن محلّم.

وهي تقول: «تَرَكَ الخِداعَ من كشَفَ القناع»[1] حتى دخلت على الحارث فقال لها: «ما وراءك يا عِصام»؟! قالت: أصلَحَ الله الأمير. أقول حقا، وأُخبرك صِدْقًا. رأيت وجها كالمرآة الصّقيلة، يَزينه شَعر حالك كذنب الحسيلة[2]، فيه حاجبان كأنهما خُطّا بقَلم أو سُوّدا بحُمم، تقوسا على مثل عين العبهرة . يظللان بأشفارهما ما تحتهما، بينهما أنف كحد السيف الصقيل لم يُزْر به قصر، ولا يعيبه طول، حفت به وجنتان كالأرجوان، في بياض محض كالجمان، شق فيه فم كالخاتم لذيذ المبتسم، فيه ثنايا غرر ذات أشر، وأسنان كالدرر ، ينطقّ فيه لسان ذو فصاحة وبيان، ركب ذلك على عنق فص، كإبريق الفضة، فوق صدر غض، نبت في ذلك الصدر ثديان كالرمانتين يخرقان عليها ثيابا ويمنعانها من تقلد سخابها، تحت ذلك كله بطن كالقَبَاطِيّ المُدْمجة كسي عكنا كالقراطيس المدرجة أحاطت تلك العكن بسرة لها كمدهن العاج، ينتهي ذلك إلى خصر لطيف تحته كفل ينهضها إذا قعدت، ويقعدها إذا نهضت كأنه دعص[3] رمل لبده سقوط الطل يحمله فخذان لفّاوان متصل بهما ساقان خدلجتان أبيضان يحمل ذلك قدمان حذو اللسان فتبارك الله مع صغرهما كيف يُطيقان حمل ما فوقهما، فأما سوى ذلك فإني تركت صفته لك لوقت مشاهدته. قال: فأرسل الحارث إليها فتزوجها وهي أم أولاده المتوجين.. انتهى ما ذكره الزبير. الحسيلة: الأنثى من البقر، والعَبْهرة: الحسنة الخَلْق الممتلئة الجسم والأشر: تحزير يكون في أطراف الأسنان وهو ما يستحسن وأكثر ما يكون مع الصغر، والسخاب: قلادة تتخذ من غير الجوهر. وقد تقدم ذكر وصية أم هذه المرأة حين أهدتها للحارث في باب قبل هذا.

• خُطاب بحضرة عزّة الميلاء!

أبو الفرج في الأغاني قال : اجتمع مصعب بن الزبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وعمرو بن سعيد بن العاص وأتتهم عزة الميلاء فقالوا لها: إنّا قد خطبنا وأردنا منك أن تنظري لنا نساءنا فسألت مصعبًا عمن خطب؟ فقال: «عائشة بنت طلحة» ، وسألت عبد الله بن عبد الرحمن فقال: «أم القاسم بنت زكريا بن أبي طلحة» وسألت عمرو بن سعيد فقال: «عائشة بنت عثمان» فتوجهت لتنظر إليهن فبدأت «بعائشة بنت طلحة» فدخلت عليها فأكرمتها عائشة وسُرّت بها، وسألتها عن حالها وعن حاجتها فقالت لها: إني كنت في نسوة من قريش فتذاكرنا جمال النّساء وخلقهن فتذكرتك فلم أدر كيف أصفك؟! فقالت: فماذا تريدين؟ قالت: فديتك أقبلي وأدبري! فأقبلت وأدبرت فارتج كل شيء منها! فقالت لها عزة: خذي ثوبَك فأخذته فرأتها من أحسن الناس صورة وأتمهم حُسْنا فعَوّذتها، وقالت لها: ما أظن أن الله خلق لصورتك شبيهًا في الدنيا!! وودعتها وانصرفت إلى أم القاسم فأكرمتها وسُرّت بها وسألتها عن حاجتها فعرفتها بمثل ذلك، وسألتها أن تُقبل وتُدبر؛ فأقبلت وأدبرت فرأت منها ما ألجمها!! فعوذَتْها وقالت لها: يا أم القاسم، والله ما رأيت حسنا إلا رأيت فيك أحسن منه، وودعتها وانصرفت. وفعلت مثل ذلك مع «عائشة بنت عثمان» ورجعت إليهم وهم ينتظرونها فقالوا: ما صنعت؟ فقالت لمصعب: أما «عائشة» فلا والله ما رأيت مثلها قط مقبلة ولا مدبرة مخطوطة المتنين عظيمة العجيزة ممتلئة الترائب ، نقية الثغر، وضيئة الوجه، فرعاء الشعر، لفاءُ الفخذين، مُبتلّة الخصر، خميصة البطن ذات عكن، ضخمة السرة، يرتَج ما بين أعلاها إلى أسفلها، وفيها عيبان: أذنان يجاوزان

---

(١) في مجمع الأمثال للميداني أنها قالت: (صرح المخض عن الزبد).

(٢) الحسيلة ولد البقرة والذنب الذيل والمقصود أنه طويل مسترخ وفي مجمع الأمثال: كأذناب الخيل.

(٣) الدعص: التل الصغير من الرمل.

الحد في الكبر، وقدمان كذلك. ولكن الأول يواريه الخمار!! والثاني يواريه الخُف! ثم قالت لعبد الله بن عبد الرحمن: وأما أم القاسم فكأنها خوط بان أو جدول عنان لو شئت أن تعقد أطرافها لفعلت ولكنها شحمة الصدر، وأنت عريض الصدر وإن كان ذلك قبيحا، لا والله حتى يملأ كل شيء مثله. وقالت لعمرو بن سعيد: وأما عائشة فوالله ما رأيت مثل خلقتها لامرأة قط لكأنها أفرغت في قالب الحسن إفراغا غير أن في وجهها رَدة فوصلوها وتزوجوهن. قولها: غير أن في وجهها «رَدة» بفتح الراء تريد أن وجهها ينقص في الحسن عن بدنها، وقال بعضهم: الردة تَقَاعُسٌ في الذقن.

أبو علي في الأمالي قال: كان لرجل من مَقَاول[1] حِمْيَر ابنان قد بَرعا في الأدب والعلم وكان اسم أحدهما: عمرو واسم الآخر: ربيعة، قال: فلما بَلغ الشيخ أقصى عمره دعاهما ليبْلوَ عقولهما ويعرِف مبلغَ علمهما فقال لعمرو وكان الأكبرَ: يا عمرو، أخبرني عن أحب النساء إليك؟ قال: الهركولة اللَّفَّاء الممكُورة الجَيْداء، التي يشفي السقيمَ كلامُها، ويُبْرئ الوصَبَ إلمامها، التي إن أحسَنْتَ إليها شَكَرتْ، وإن أسأت إليها صَبَرت، وإن استعتبتها أعتبت، الفاترةُ الطرف، الطَّفلة الكف، العميمة الرِّدف. قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: قد نعت فأحسن وغيرُها أحبّ إليَّ منها. قال: ومن هي؟ قال: الفتّانة العينين، الأسيلةُ الخَدين، الكاعبُ الثّديين، الرّداح الوَركين، الشاكرة للقليل. المساعدة للخليل، الرّخيمة الكلام، الجَمّاء العِظام، العذبة اللّثام، الكريمة الأخوال والأعمـــام!! قال أبو علي: اللفاء: الملتفة باللحم، والممكورة: المطوية الخَلْق، والرّداح: الثقيلة العجيزة، الضخمة الوركين، والرخيمة: اللينة الكلام، والجماء العظام: التي لا يوجد لعظامها حجم، وقوله: العذبة اللثام: أراد موضع اللثام فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وبقي مما لم يفسره أبو علي، الهركولة وهي العظيمة الوركين، والجيداء، وهي طويلة العنق، والطَّفْلَة الكف هي الرَّخْصَة.

ومن الكتاب المذكور: قال : وصف أعرابي نساء فقال: يتلثمن على السبائك ويَتَشحْنَ على النيازك، ويتّذرْن على العوانك، ويرتفقن على الأرائك، ويتهادين على الدرانك ابتسامتهن وميض عن وليع كالإغريض، وهن إلى الصبا صور وعن الخنا نور قال أبو علي: يقال: تلثمت المرأة وتلفمت؛ فاللثام على الفم واللفام على طرف الأنف، والنَّيازك: جمع نَيْزَك وهو الرُّمح القصير، والعوانك جمع عَانك وهو الرمل المنعقد، يشقي فيه البعير لا يقدر على السير فيقال حينئذ قد اعتنك ، والأرائك: السُّرَر واحدتها أريكة كذا قال أبو علي.

وقال صاعد في الفصوص: الأريكةُ : الحجلة إذا كانت على سرير فإن لم تكن على سرير فهي حَجَلة[2]، ويتهادين: أي يمشين مشيا ضعيفا، والدرانك: الطنافس واحدها دُرنُك بضم الدال والنون، والوميض: اللمعان الخفيّ، والإغريض والوليع: طلع النخل وصُورٌ موائل، ومنه قيل لمائل العنق: أصور ونور أي نُفَّر من الريبة، واحدها نَوَار.

• وصف لأجمل النساء!

أبو الفرج قال : قال رجل لأعرابية: إني أريد أن أتزوج، فصفي لي أجمل النساء قالت: عليك بالبَضّة البَيضاء الدرماء اللَّعساء الشماء الجيداء الزبحلة السبحلة المدبجة المتن، الخميصة البطن، ذات الثدي

---

(١) المقاول جمع مِقْوَل كمنبر الملك من ملوك حمير يقول ما شاء فينفذ كالقَيْل أو هو دون الملك الأعلى - القاموس المحيط.

(٢) وقال في القاموس: الأريكة كسفينة: سرير في حجلة أو كل ما يتكأ عليه من سرير ومنصة وفراش أو سرير منجد مزين في قبة أو بيت فإن لم يكن فيه سرير فهو حَجَلة.

الناهد، والفرع الوارد، والعين النجلاء، والحدقة الكحلاء، والعَجيزة الوتيرة، والساق الممكورة، والقدم الصغيرة، فإذا أصبتها فأعطها الحكم فإنها غُنْم من الغُنْم.

• وصف امرأة:

وقال الأصمعي: سمعت امرأة من العرب تقول في وصف امرأة: هي سعطاء بَضّة، بيضاء غَضّة، رَدْمَاءُ سَهلة، قَبّاء طَفْلة، تنظر بعيني شادن ظمآن، وتبسم عن نَوْرٍ كالأقحوان، في غِبِّ التَّهْتان، وتشير بأساريع الكثبان، خلقها عميم، وكلامُها رخيم.

• كيف وجدتها؟!

وقال: وتزوج أعرابي امرأة فقيل له: كيف وجدتها؟ قال: رَصُوفًا رَشُوفًا ألوفا أنوفا، رصوفا: ضَيّقة الفرج، رشُوفًا: طيّبة المُقبّل، وألوفا: محبة لبعلها، وأنوفا: بعيدة عما لا خير فيه.

• كلامهن!!

ووصف أعرابي نساء فقال: كلامهن أقتل من النَّيل، وأوقع في القلب من الوَبْل في المَحْل، وفُروعهن أحسن من فُروع النخل. وقال أعرابي: قدمت البصرة فرأيت فيها عيونًا دُعْجًا، وحواجب زُجًّا يسجين الشباب، ويسلبن الألباب.

• كاد الغزال أن يكونها!

وذكر بعضهم امرأة فقال: كاد الغزال أن يكونها لولا ما تم منها ونقص.

• وصف شامل!

وذكر آخر امرأة فقال: مطلع الشمس من وَجْهها، ومَلْقَط الدر من فمها، ومبادي الليل من شعرها، ومغرس الغصن من قَدّها، ومَهيل الرمل من ردفها، ومَنْبت الورد من خَدها، ومَنْبع السحر من طَرْفها، أعلاها كالغصن ميال، وأسفلها كالدعص منهال.

• أبعد من السماء!

وسئل أعرابي عن امرأة فقال: هي أرق من الهواء، وأطيب من الماء، وأحسن من النعماء، وأبعد من السماء.

• متى تكون المرأة كاملة!

وقيل لأعرابية: أتحسنين صفة النساء؟ قالت: نعم، قيل لها: صفي لنا امرأة كاملة، قالت: إذا سحرت عيناها، وسهل خداها، ونهد ثدياها، ولطفت كفاها، وأنعم ساعداها، وعظم وركاها، والتفت فخذاها، وخدل ساقاها[1]، فتلك همّ النفس ومُناها!!

• رباعيات لا غنى للمرأة الجميلة عنها!

وروى عن بعض الأكاسرة أنه قال: ينبغي أن يكون في المرأة أربعةٌ سود، وأربعة بيض، وأربعة حمر، وأربعة كبار، وأربعة صغار، وأربعة واسعة، وأربعة ضيقة: فأما الأربعة السود: فشعر الرأس والحاجبين وأشفار العينين والحدقتان. وأما الأربعة البيض: فاللون، وبياض العين، والثغر، والظفر، إلا أن يُصْبَغ! وأما الأربعة الحمر: فالوجنتان، والشفتان، واللسان، واللثة. وأما الأربعة الكبار:

---

[1] خدل كفرح امتلأت ساقاها.

فالثديان، والفرج، والعجيزة، والركبتان. وأما الأربعة الصغار: فالأذنان، واليدان، والفم، والرجلان. وأما الأربعة الواسعة: فالجبين، والعينان، وأصل الثديين، والسُّرة. وأما الأربعة الضيّقة: فالمنخران، والأذنان، والخَصْر، والفرج.

• على هامش الأربعة الكبار!

ويقرب مما فسرت ههنا الأربعة الكبار وضدها فسر قول عروة بن أذينة أنشده الحصري في الزهر وذكر الأبيات بكمالها، والمراد البيت الخامس منها :

إن التي زعمت فؤادك مَلّها ... خُلِقَت هَوَاكَ كما خُلِقْت هَوًى لها
كيف الذي زعمت به وكلاكما ... أبدى لصاحبه الصبابة كلّها
ولعمرها لو كان حبك فوقها ... يوما وقد ضَحِيَتْ إذن لأظَلّها [1]
فإذا وجدت لها وساوسَ سلوةٍ ... شفع الضميرُ إلى الفؤادِ فَمَلّها
بيضاءُ باكرهَا النّعيمُ فصاغَهَا ... بلباقةٍ فَأدَقّها وأجَلّها [2]
لما عرضتُ مسَلّما ليَ حاجةٌ ... أخشى صعوبَتها وأرجو ذُلّها
منَعَتْ تَحِيّتَها فقلت لصاحبي ... ما كان أكثرها لنا وأقلّها !!
فدنا وقال : لعلّها معذورةٌ ... في بعض رِقْبَتِها! فقلت: لَعَلّها!!

قال ابن الأعرابي: أدقها: أي أدق حاجبيها وأنفها وخِصْرها.. وأجلها: أي أجل عَضُدَيها وساقيها وفَرْجَها، وهذا كما قال الآخر:

فدَقّت وجلّت واسبكرت وأكملت ... فلو جن إنسان من الحسن جُنّت [3]

وقوله في هذه الأبيات: «فإذا وجدت لها وساوس». البيت هو كقول الأحوص:

إذا رُمْتُ عنها سَلْوةً قال شافعٌ ... من الحُبّ : ميعادُ السُّلُوّ المقابرُ

قوله فيها: ما كان أكثرها لنا وأقلها! قال البكري في اللآلئ : يريد أن تحيتها وإن كانت نَزْرة قليلة فإنها عنده كثيرة جليلة، فالضمير على هذا عائد على التحية وهذا كما قال العباس ابن قطن:

أليس قليلا نظرة إن نظرتُها ... إليك وكلا ليس منكِ قليل!

وكما قال إسحاق بن إبراهيم :

إنّ مَا قل منك يَكْثُر عِندي ... وكثيرٌ مِمّن تُحِبّ القليل

وقال ابن جني : معناه ما كان أكثرها لنا فيما مضى وأقلها الآن! قال: وهو على حذف المضاف أي ما كان أكثر وصلها أو مَوَدّتها. وقول البكري أحسن .

---

(١) ضحيت: تأذت من الشمس، وفي الأغاني قبل هذا البيت بيت هو:

وبيت بين جوانحي حُبّ لها ... لو كان تحت فراشها لأقلّها

(٢) أدق المواضع التي ينبغي أن تكون دقيقة، وأجل المواطن التي ينبغي أن تكون جليلة، فهي مثلا دقيقة الخصر، وثيرة الرّدف.

(٣) قال في القاموس: اسْبَكرت الجارية: اعتدلت واستقامت والمسبكر: الشاب التام المعتدل، ومن الشعر المسترسل.

• هذا والله الدائم الصبابة!

قال مصعب بن عبد الله الزبيري [1]: حدثني عروة بن عبد الله قال: كان عروة بن أذينة [2] نازلًا في داري بالعقيق فسمعُته يُنْشد لنفسه هذه الأبيات قال: فأتاني أبو السائب المخزومي، فقلت له بعد الترحيب به: ألك حاجة؟ قال: نعم، أبيات لِعُروةَ بَلَغَني أنك سمعتَه يُنْشِدها فأنشدته الأبيات فلما بلغت قوله:

فدنا وقال: لعلّها معذورةٌ ... في بعض رقْبتها فقلت لعلَّها

فطرب! وقال: هذا والله الدائم الصبابة الصادق العهد لا الذي يقول:

فدنا وقال: لعلها معذورة ... في بعض رقبتها فقلت لعلَّها

قال: لقد عدا هذا الأعرابي طوره وإني أرجو أن يغفر الله لصاحب هذه الأبيات بحسن ظنه بها وطلب العذر لها: فعرضت عليه الطعام فقال: لا والله ما كنت لأخلط بهذه الأبيات طعاما حتى الليل وانصرف.

وأنشد أبو الفرج الأصفهاني هذه الأبيات في كتاب القِيان وزعم أنه وجدها في شعر أبي الشّيص وزاد فيها البيت الثاني:

إني لأُضْمِر في الحشا وجدًا بها ... لو كان تحت فراشها لأقلها

وقال بعده:

ولعمرها لو كان حُبّك فوقها ... .

ومن هذا البيت والذي قبله أخذ القائل قوله:

إني لأحبك حبا لو كان تحتك لأقلك ... ولو كان فوقك لأظلك

وبالله سبحانه وتعالى التوفيق.

فصل في الأوصاف المحمودة من خلق المرأة والمستحب من سائر تصرفاتها وأفعالها منقولة من كتاب فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي -رحمه الله تعالى-

قال: إذا كانت المرأة شابة حَسَنَةَ الخَلْق فهي خَوْدٌ. فإذا كانت جميلةَ الوجْه حسنةَ المَعْرَى فهي بَهنَكة. فإذا كانت ضخمة فهي زبحلة؛ فإذا زاد ضخمها ولم تقبح فهي سبحلة. فإذا كانت دقيقة المحاسن فهي ممكورة. فإذا كانت حسنة القَدّ لينة العصب، فهي مبتّلة. فإذا كانت لطيفةَ البطن فهي هيفاء وقباء وخُمْصَانة؛ فإذا كانت لطيفة الكشحين فهي هَضيم؛ فإذا كانت لطيفة الخَصر مع امتداد القامة فهي ممشوقة؛ فإذا كانت طويلة العنق في اعتدال وحُسْن فهي عُطْبُول؛ فإذا كانت عظيمة الوَرِكَيْن فهي هَرْكَوَلة فإذا كانت عظيمة العجيزة فهي رَدَاح؛ فإذا كانت سمينة ممتلئة الذراعين والساقين فهي

---

(١) راوية أديب محدّث، وهو عم الزبير بن أبي بكر وكان شاعرًا، وكان أبوه عبد الله بن مصعب من أشرار الناس وكانت وفاة مصعب بن عبد الله في ٢ من شوال سنة ٢٣٣هـ.

(٢) هو عروة بن يحيى المتوفى سنة ١٣٠ كان شاعرًا غزلًا فضلًا عن تقدمه في الفقه والحديث وهو القائل:

لا أركب الأمر تُزري في عواقبه ... ولا يُعابُ به عرضي ولا ديني

كم من فقير غني النفس تعرفه ... ومن غني فقير النفس مسكين

خَدَلَّجَة؛ فإذا كانت تَرتَجُّ من سِمَنِها فهي مَرْمَارة؛ فإذا كانت ترتعد من الرطوبة والغَضَاضة فهي رَهْرَهة؛ فإذا كانت كأن الماء يجري في وجهها فهي رَقْرَاقَة؛ فإذا عُرِفَتْ في وجهها نَضْرَةَ النعمة فهي فُنُقٌ؛ فإذا كان بها فُتور عند القيام لسمنها فهي أَناةٌ وَوَهْنَانَةٌ؛ فإذا كانت طيبةَ الرّيح فهي بهَنانة، فإذا كانت عظيمة الخَلْق مع الجَمال فهي عَبْهرة؛ فإذا كانت ناعمة جميلة فهي عَبْقَرة؛ فإذا كانت متَثَنِيَةً من اللين والنّعمة فهي غيداء أو غادة ؛ فإذا كانت طيبة الفم فهي رشُوف؛ فإذا كانت طيبة ريح الأنف فهي أنوف، فإذا كانت طيبة الخلوة فهي رَصُوف؛ فإذا كانت لعوبًا ضحوكًا فهي شَمُوع؛ فإذا كانت تَامةَ الشَّعْرِ فهي فَرْعَاء. فإذا لم يكن لِمرْفَقَيْها حجم من سِمَنِها فهي رَدْمَاءُ، فإذا ضاق مُلْتَقَى فخذيها لكثرة لحمها فهي لَفَاء.

ولهَ في فصل ثانٍ من الكتاب المذكور

إذا كانت المرأة حيية فهي خفرة وخريدة، فإذا كانت تظهر للناس وتحادثهم فهي بَرزَة، فإذا كانت منخفضة الصوت فهي رخيمة، فإذا كانت محبة للزوج متحببة إليه فهي عروب، فإذا كانت نفورًا من الريبة فهي نوار، فإذا كانت عروسًا فهي هَدِي، فإذا كانت بخاتم ربها فهي بكر وعذراء، فإذا فض خاتمها فهي ثيب وعوان، فإذا كانت عفيفة فهي حَصَان، فإذا أحصنها زوجها فهي مُحْصَنَة، فإذا كانت كثيرة الولد فهي نثور، فإذا كانت قليلة الولد فهي نزور، فإذا كانت تلد الذكور فهي مذكار ، فإذا كانت تلد الإناث فهي مئناث، فإذا كانت تعاقب بين الذكور والإناث فهي معقاب، فإذا كانت لا يعيش لها ولد فهي مقلاة، فإذا كانت تأتي بتوأمين فهي مِتْآم، فإذا كانت تلد النجباء فهي منجاب، فإذا كان لها ضرات فهي مضرة.

الباب العشرون

في ذكر أوصافهن وما ورد في ذلك من المخايرة والتفضيل وفيه عشرون فصلا فصل في ذكر الشعور

- **الشعر أحد الجمالين!**

أبو الفرج في كتاب النساء قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا تزوج أحدُكم المرأة فلْيسأل عن شَعْرِها فإن الشعر أحد الجَمالين»[1] .

- **الشعر أحد الوجهين!**

حمزة بن الحسن الأصبهاني في كتاب الأوصاف له قال : كان يقال استجيدوا من المرأة شعرَها فإن الشعر أَحَدُ الوَجْهَين!

- **الشعر الأسود!**

وقال خالد بن صفوان : الشعر الأسود بُرْنُس الجمال .

- **كمال الحسن في الشعر!**

أبو منصور الثعالبي في كتاب فقه اللغة قال : كمال الحسن في الشعر. وقال في فصل من الكتاب

---

[1] أورده الشوكاني في الفوائد المجموعة كتاب النكاح حديث رقم ١٤ حيث عزاه للدارقطني والديلمي، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة وقال: آفته الحسن وهو العدوي وابن علاثة يروى الموضوعات، أما طريق الديلمي ففيه إسحاق بن بشر وهو كذاب.

المذكور عقده لتفصيل أوصاف الشعر يقال: شعر جُفال إذا كان كثيرا، وَوَجْفٌ إذا كان متصلا. وكَثٌّ إذا كان كثيفا مجتمعا ومُعْلَنْكِسٌ ومُعْلنكك إذا زادت كثافته، ومُنْسَدِر إذا كان مُنْبسطًا وسَبِطٌ إذا كان مُجْتَمِعًا وسبط أيضا إذا كان مسترسلا ورَجْل إذا كان بين السبط والجعد، وسُخَامٌ إذا كان حَسنًا لينًا، ومغْدَوْدِن إذا كان طويلا ناعما.. انتهى ما ذكره أبو منصور الثعالبي[1]. قال غيره: وجَثْل إذا كان ضخما غليظا، وأثيثٌ إذا كان كثيرا ملتفا ووارد إذا كان طويلا مسترسلا، واشترط بعضهم فيه أن يصل إلى الكَفَل.

• أوصاف ذم الشعر!

ومن أوصاف الذم فيه: شعر جَعْد بسكون العين إذا كان منكسرا غير مسترسل وقَطِطٌ بفتح الطاء وكسرها إذا اشتدت جُعودَتُه، ومُقْلَعِط بسكون القاف وفتح اللام وكسر العين المهملة إذا زاد على القطط، ومُفلفَل إذا كان في نهاية الجُعودة كشعر الزّنج.

ومن الشعر في هذا الباب قول امرئ القيس:

وفرع[2] يُغَشّي المتنَ أسودَ فاحم أثيث كقِنْو النَّخْلةِ المُتَعَثْكِلِ
غدائره مُسْتَشْزِرات إلى العلاَ تَضِلّ المداري في مُثَنًّى ومُرسَل[3]

يُغَشّي المتن: أي يكسو الظهر لطوله وجُثولَته. والمتعثكل: المتداخل. ومستشزرات: كناية عن ضفرهن. وأنشد أبو علي في الأمالي لبكر بن النطاح وهو من أشعار الحماسة قوله:

بيضاء تسحب من قيام شعرها وتغيب فيه وهو وحف أسحم
فكأنها فيه نهارٌ مشرق وكأنه ليل عليها مُظْلِمُ

[وقوله تسحب من قيام: يريد من بعد قيامها وذلك هو الغاية في السبوغ والطول].

من أقوال ابن علي في الأمالي!

قال أبو علي: ومن أحسن ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي أنشده الناجم عنه:

وفاحم وارِدٍ يقبل مَمْشَاهُ إذا اختال مرسلا عُذَرَه
أقبل كاللليل من مفارقه مُنْحَدِرًا لا يذمّ مُنْحَدَره
حتى تناهى إلى مواطئه يلثم من كل موطئ عَفَره

---

[1] نقلًا عن أبي عبيدة.

[2] الفرع: الشعر. والأثيث: الكثير، والقنو: الكباسة، والمتعثكل: كثير العثاكيل أي العيدان التي عليها البُسْر، ومراده الدلالة على وفرة شعرها، وكان من عادة نساء العرب أن تشد قسمًا من الشعر كالرمانة، ثم ترسل فوقه المثنى والمرسل.

[3] حدد ابن سنان فصاحة اللفظ في ثمانية أمور: أولها أن يتألف اللفظ من حروف متباعدة في مخارجها حتى لا يثقل النطق به على اللسان. وهم يمثلون لما قبح من الألفاظ بسبب تنافر الحروف فيها لتقارب مخارجها بلفظ (الهُعْخُع) كما يمثلون له بقول امرئ القيس في وصف الشعر: (مُسْتَشْزِرات)؛ فلقد وجد البلاغيون في هذه الكلمة بعدًا عن الفصاحة لتقارب مخارج الحروف فيها ومن اليسير أن يلمس القارئ عسر النطق في هذه الكلمة والذي أدى إلى هذا الثقل اجتماع السين والشين والزاي. وإن ذهب بعض الباحثين إلى أن حكم البلاغيين على هذه الكلمة غير صحيح في الدراسة النقدية والأدبية وفي فصاحة الكلمة أو عدم فصاحتها [حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت]. وامرؤ القيس رأس شعراء الجاهلية ورائدهم ولد سنة ١٣٠ق.هـ وآباؤه من ملوك كندة وتوفى سنة ٨٠ق.هـ. وغدائره: ذوائبه جمع غديرة وهي الشعر المشدود بخيوط على الرأس. ومستشزرات: مرتفعات. وتضل: تغيب. والمداري: جمع مِدْرى: وهي آلة على شكل أحد أسنان المشط أو أطول يسرح بها الشعر المتبلد. والمثنى: المفتول وضده المرسل، وهو يصور شعر محبوبته في لوحة فنية تشبه إلى حد ما التسريحات الحديثة.

كـــأنـــه عـــاشـــق دنـــا شـغـفًـا حـتـى قـضـى مـن حبيبه وَطَـرَه

العُذَر: بضم العين المهملة وفتح الذال المعجمة جمع عذرة وهي الخُصلة من الشعر.

قال الثعالبي: وأخذ ابن مطران هذا المعنى فقال:

أظباء أعارتها المها حُسْنَ مشْيها كما قـد أعـارتـهـا العيون الـجـآذرُ
فمن حسن ذاك المشي جاءت فقبَّلت مَـواطِـيء مـن أقـدامـهـن الـغـدائـر

انتهى ما ذكره الثعالبي. والغدائر: جمع غديرة. وهي الضفيرة. وقال ابن المعتز في مثل ذلك:

مهضومة الكشح وَجْـهُـهـا قَمَر تـنـشـق عـنـه حَـنَـادِسُ الـظُّـلـم
دعـت خـلاخـيـلُـهـا ذوائـبـهـا فـجـئـن مـن قَـرنـهـا إلـى الـقَـدم

وأنشد أبو علي في الأمالي لابن المعتزّ قوله:

سَقَتْني في ليلٍ شَبِيهٍ بشعرها شـبـيـهـةَ خَـدَّيْـهـا بـغـيـر رقـيـب
فأمسيت في ليلين بالشَّعْر والدُّجى وشمسين من خَمرٍ وخَدّ حَبيب

أخذ أبو الطيب معناهما فقال:

كشَفَت ثـلاثَ ذوائـبٍ مـن شعرها فـي لـيـلـةٍ فـأرَت لـيـالـيَ أربـعًـا
واستقبلت قمرَ السَّماءِ بِوَجْهِها فـأرتـنـي القمرين فـي وقـتٍ مَعًا

أراد بالقمرين: الشمس والقمر فجعل وجهها شمسًا قابلَ من بدر السماءِ قمرا.

وقال أبو الفرج كشاجم يذكر سواد الشعر وبياض الفرق:

رنـت فـأصـابـت سـر قلبي بلحظة لها فِي الحَشَا لذع وليس لها جُرحٌ
وقد حَسَرت عن واضحِ الفرقِ فاحمٍ كخَطَّي ظـلام شُـقَّ بينهما صبحُ

ومِمّا يتعلق بالشَّعر ما ذكره ابن بسام في الذخيرة قال: ومن نوادر الآفاق الحلوةِ المَسَاق، الغريبة الاتفاق، خبر النّحلي مع المعتمد بن عباد، وذلك أنه مشت بين يديه يوما بعض نسائه في غِلالة لا يكاد يفرق بينها وبين جسمها وذوائب تخفي إياه الشمس في مُدْلَهَمِّهَا، فسكب عليها ماء ورد كان بين يديه، فامتزج الجميع لينا واسترسالًا، وتشابه طيبًا وجمالًا، وأدركت المعتمد أريحية الطرب ومالت بعِطفِه راحُ الأدب فقال:

وهـويـت سـالـبـةَ الـنـفـوس عـزيـزة تـخـتـال بـيـن أسـنـة وبَـواتـرِ

ثم تعذر عليه المقال، واشتغل عن تلك الحال فقال لبعض الخدم: سِرْ إلى النحلي وخذه بإجازة هذا البيت، ولا تفارقْه حتى يفرغ منه فلما بلغه الأمر بإجازة البيت فتأملَ قليلا، فأضاف النحلي إليه لأول وقوع الرقعة بين يديه هذين البيتين:

راقـت محاسنُها وراق أديمها فـتـكـاد تُـبْـصِـرُ بـاطـنًـا مـن ظَـاهـر
يندي بماء الـوردِ مُسَبل شعرِها كالظل يسقط مـن جـنـاح الطائر

فلما قرأه المعتمد استحسنه واستحضره وقال له: أمعنا كنت يا نحلي؟ فأجابه النحلي: بكلام معناه: يا قاتل النحل أوَمَا تلوت: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [النحل: ٦٨].

• من غريب الحديث!

الخطابي في غريب الحديث قال: قالت جارية لأبيها: «يا أبتِ، اشترِ لي لُوطًا أُغطّي به فَرْعَلي، فإني قد عَتَقْت؟ قال: اللوط: الرّداء، والفرعل الشَّعر، وقولها: عتقت تريد قد أدركت.

فصل في ذكر الجبهة والجبين وما يتصل بهما من ذكر الطرر والسوالف

• ابن قتيبة يلقي الضوء عليهما!

الجبهة: على التقريب موضع السجود من الإنسان، والجبينان يكتنفانها من جانبيها. قال ابن قتيبة في أدب الكاتب: ولا يكاد الناس يفرقون بين الجبهة والجبين وإنما الجبهة مَسجد الرّجل، الذي يُسيبه نَدَبُ السّجود، والجبينان مكتنفان لها من كل جانب جبين، انتهى كلام ابن قتيبةَ.

• ما يستحب من الجبهة!

ويستحب من الجبهة استرسالها، ورقّةُ بَشرتها، وعدم تَغَضُّنها، ويقال لمن كان بهذه الصفة: صَلْتُ الجبهة، وطَلْقُها، وواضح الجبين. وليس وضح الجبين كناية عن البَياض إذ قد يقال ذلك لمن كان أسمر اللون. وضد الصَّلت والواضح الأغضن، والمرأة غضناء وواحد الغضون غَضْن بالسكون، وغَضَن بالتحريك، وتسمى هذه الغضون الأسارير، واحدها سِرَر بكسر السين وفتح الراء، وكأن الأسارير على هذا التقدير جمع، ويقال في معنى السّرر، أسرار بفتح الهمزة، والأسرار جمع سِرَر فالأسارير على هذا جمع الجمع. ويقال في معنى السرر سِرار بزيادة الألف وجمعه على هذا أسرة. قال أبو كثير الهُذَلي:

وإذا نظرت إلى أَسِرَّة وَجْهِه ... بَرقت كبرقِ العَارضِ المتَهَلّلِ

ويستحب أيضا من الجبهة اتساعها من غير إفراط.

قال أبو الفرج في الأغاني: كانت عُلَيّة بنت المهدي شقيقة إبراهيم جميلة الصورة إلا أنه كان في جبهتها اتساع مُفرط، فمن أجلها اخترعت العصائب المكللة. قال الأعشى[1]:

غرّاءُ فَرْعَاء مَصْقُولٌ عَوَارِضُها ... تمشي الهوينى كما يمشي الوَجِى الوَجِلُ

حكى أبو الفرج في الكتاب المذكور: عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الأصمعي قال: قلت لأعرابية ما الغرّاء؟ فقالت: هي التي بين حاجبيها بَلَج وفي جبهتها اتساع تتباعد معه قُصَّتُها عن

---

(1) ولقد عُمّر الأعشى حتى بعثة الرسول ﷺ ورحل في صلح الحديبية ليسلم، فبلغ قريشًا خبره، فرصدوه على طريقه وقالوا: هذا صناجة العرب ما مدح احد قط إلا رفع شأنه، فاستمع لهم وفي الطريق رمى به بعيره فمات. ومطلع هذه القصيدة التي عدت من المعلقات وبدئت بالغزل:

وَدِّعْ هريرة إن الركب مرتحل ... وهل تطيق وداعًا أيها الرجل؟

غرّاء فرعاء مصقول عوارضها ... تمشي الهوينى كما تمشي الوجى الوجل

كأن مشيتها من بيت جارتها ... مرّ السحابة لا ريثٌ، ولا عجل

والغرّاء: البيضاء الواسعة الجبين، والفرعاء: الطويلة الفرع أي الشعر، والعوارض هنا: الرباعيات والأنياب من الأسنان يريد أنها نقية الأسنان، الوَجِي: الذي يشتكي حافره ولم يحف بعد، فيكون مشيه متثاقلا، فكيف إذا كان وجلًا؟ أي يمشي وهو خائف. وهو يعني أن هذه الجارية لسمنها وتدللها تمشي متمهلة متمايلة.

حاجبيها، فيكون بينهما نقيًّا، وهذه «القُصة» التي وصفت الأعرابية هي «الطُّرّة» وحقيقتها أن يقطع مقدم الناصية ويصف ما بقي منها على الجبهة والجبين صَفًّا معتدلا بحيث لا يصل ذلك إلى الحاجبين فيبقى ما بين القُصّة والحاجبين نقيا من الشعر، وجمعها طُرَر تشبيها لها بطرة الثوب وهي حاشيته وهذا شيء كانت النساء تفعله قبل هذا. وقد قال الحريري في مقامته: لا والذي زين الجباه بالطُرَر، والعيون بالحَوَر. وقال في موضع آخر: لَوْ لَمْ تُبرزْ جبهتُه السين لما قنفشت الخمسين. شبه أطراف الشعر المصفوف برؤوس السينات إذا كتبت وهو مقلوب من قول التهامي:

وفي كتابك فاعذر من تهيم به ... من المحاسن ما في أجمل الصور
الطرس كالخدّ والنونات دائرة ... مثل الحواجب والسينات كالطرر

والسوالف: كناية عن خُصل من الشعر ترسل على الخد، واحدها سالف وسالفة. وفاعل إذا كان اسما ولم يكن صفة، يجمع على فواعل، وأصل السالف صفحة العنق، فسميت خَصْلَة الشعر سالفة؛ لاتصالها بالسالفة إذ السالفة هي موضع إرسالها. وقد تسمى أيضا «أصداغا» لهذا المعنى، إذ الصدغ هو مبدأ إرسالها. وقال صاحب الصّحاح: الصُّدغ: خَصْلة من الشعر ترسل بين العين والأذن. قال: ومنه قالوا صدغ مُعَقْرب. وأنشد الحُصري في كتابه الموسوم بالنورين لأبي فارس وذكر السوالف والأصداغ:

سكرت من لَحْظِه لا من مُدامَته ... ومالَ بالنوم عن عيني تمايُله
وما السُّلافُ دَهَتْني بل سَوالِفه ... وما الشَّمُول ازدهتْني بل شَمَائله [1]
أَلْوَى بصبري أصداغٌ لوين له ... وغُلّ صدري بما تحوي غلائله

ولبعض أهل عصرنا وذكر السوالف بغير تاء:

أرى سهم لحظٍ فوق عقرب سالف ... وكيف نجاتي بين سهم وعقرب
وألحظ ما ظلته باللحظ من دمي ... على وجنتيها والبنان المخضب

وقال الشاعر وذكر الأصداغ:

ظباء كالدنانير ... كِناس في المقاصير
وقد عَقْربن أصدغا ... كأذناب الزرازير

وقال آخر:

وبنفسي من إذا حسسته ... نثر الوردُ عليه ورقَه
وإذا مست يدي أصداغَه ... أفلتت منها فعادت حَلَقَه

أخذ هذا من حكاية تروى عن المغيرة بن عبد الرحمن قال: حججت مع أبي وأنا غلام وعليّ جُمّة فجئنا للسلام على عمرَ بن أبي ربيعة فسلمنا عليه وجلسنا عنده، فجعل يمد الخصلة من شعري ثم يُرسلها فترجع إلى ما كانتَ عليه وهو يقول: وا شباباه، وذكر الحكاية. قوله: فعادت به حلقة ليس في الكلام حلقة محركة إلا جمع حالق. وغيره يجيز ذلك على ضعف وإنما الوجه تسكين اللام في حلْقة الحديد وحلْقة الناس.

(1) السُلاف: الخمر، وكذلك الشمول. أو الباردة منها. والشمائل: جمع شمال. وهي صفاته.

فصل في ذكر الحواجب

من أوصاف الحواجب : الزَّجَجُ وهو دقة خط الحاجبين وامتدادهما إلى مُؤخر العين حتى كأنهما خُطّا بقلم وضِدّه الزَّبَب وهو غلظ شعرهما وكثافته. ومن أوصافها: البَلَج وهو أن يكون ما بين الحاجبين نقيا من الشعر وهو من صفات السُّؤْدُد عند العرب وكانوا يتيمنون بالسيد الأبلج. وقال الحريري في مقامته: لا والذي زين الثغور بالفلَج والحواجب بالبلَج .

وقال أبو طالب : يمدح النبي ﷺ :

وأَبْلَجُ يُسْتَسْقى الغَمَامُ بِوجهه ... ثِمالُ اليَتامى عِصْمَةٌ للأرامل

وضد البلج: القَرَن وهو أن يطولَ الحاجبان حتى يَلْتَقِيَ طَرَفَاهُما. وقال ثابت في كتاب خلق الإنسان: يقال : رجل أقرن، وامرأة قرناء، فإذا نسبت إلى الحاجبين، قلت: مقرون الحاجبين ولا يقال أقرن الحاجبين: والمعروف من وصف رسول الله ﷺ «البلج»، ووقع الحديث لأم معبد وصفه «بالْقَرَن»، وهو خلاف المعروف من وصفه، ولعل القرن كان خفيًّا جدا، وقد تكلمنا على هذا في كتابنا شرح الشفا.

ولعلي بن رستم الساعاتي وذكر البلج :

وأحورَ ساجٍ لم أكن قبل حبه ... لأعرفَ مَا وَجْدٌ بأحْوَر ساجِ
يُريك جبينًا ساطِعًا تحت طُرَّة ... كسِرِّ صباح في صُدور دياجي
إذا راشَ سهمُ الناظرين بهُدْبِه ... وإن كان سلْما غير يوم هياج
غدا موترا من حاجبيه حنيه ... له البلج الوضاح قبضة عاج

ولعلي بن المؤمل من شعر اليتيمة، وذكر القَرَن:

أبديت مكنون الهوى لما بَدا ... للعين لؤلُؤ ثغره المكنون
والقلب مقرون بكل بلية ... مُذْلاح ذاك الحاجبُ المقرون

فصل في ذكر العيون

من أوصاف العيون المستحسنة الكَحَل: وهو اسْوِدَادُ الحَدَقةِ من غير كُحْلٍ حتى كأنها قد كُحِلَت. والْحَوَر: وهو شدة اسوداد سَواد العين مع شدة بياضها.

وقال أبو عمرو بن العَلاء: الحَوَرُ أن تتسع الحدقة حتى لا يظهر معها شيء من البياض كأعين الظباء والبقر، قال: وليْس في بني آدم حَوَرٌ وإنما هو تشبيه لها بأعين الظباء. والدَّعَجُ: وهو سعة الحدقة وشدة اسوادها. والبَرَج وهو سعة العين وشدة بياض بياضها[1] . والنَّجَل وهو اتساع العين مع حسنها ومثله العَيَن بالتحريك وامرأة عَيْناء وجمعها عِين. والوَطَف وهو طول أشفار العين وتمامها. ومثله الهَدَب بفتح الهاء والدال المهملة كذا في مختصر العين. ومن أوصاف العين المستحسنة الفُتُورُ وهو انكسار النظر، وذبوله في أصل الخِلقة، وهو معنى وصفهم العين بالمَرض والسّقم، قال جرير :

إن العيونَ التي في طرفها حور ... قَتَلْنَنَا ثم لم يُحيين قتلانا

---

(١) قال في القاموس: والبَرَج محركة: أن يكون بياض العين محدقًا بالسواد كله.

يصرعن ذا اللب حتى لا حِراك له ... وهن أضعف خلق الله إنسانا

وقال ابن ميادة :

ونظرن من خلل الستور بأعين ... مرضى يخالطها السّقام صِحاح

وقال عبد الله بن جندب :

ألا يا عباد الله هذا أخوكم ... قتيلٌ فهل فيكم به اليوم ثائر؟
خذوا بدمي إن مت كل خريدة ... مريضةِ جَفنِ العينِ والطّرف ساحر

وقال أبو نواس:

ضعيفة كرّ اللحظ تحسَب أنها ... قريبة عهد بالإفاقة من سُقْم

وهذا الفتور والذّبول هو الذي قُصد به من شبه العيون بالنّرجس ألا ترى أن ابن المعتز نبه ذلك بقوله:

وسْنَانُ قد طرف النعاسُ جفونَه ... فحكى بمقلته عيون النرجس

ولا يصح ما ذكره بعضهم من أن التشبيه إنما وقع بنرجس المشرق في أعلاه دائرة كحْلاء، يحف بها ورق أبيض على شكل العين، فإن ذلك لم يثبت. ولو ثبت لكانَ لا يُشْهُها به إلا من علم وجوده، والتشبيه واقع ممن علم وجود ذلك وممن لم يعلم، واستحسن بعضهم في العين القَبَل وهو ميل الحدقة في النظر إلى الأنف [1]. وأنشد الثعالبي في كتابه فقه اللغة:

أشتهي في الطَّفْلةِ القَبَلا ... لا كثيرًا يُشْبهُ الحولا

ولا أعلم لهذا الاستحسان وجهًا وهو إلى المعايب أقرب منه إلى المحاسن. ومن ألوان العين الزرق والزرقة، وفي حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ «الزرق في العين يمن» [2]. وفي حديث ذكره أبو الفرج في كتاب النساء قال: قال رسول الله ﷺ: «تزوجوا الزرق فإن فيهن يمنا» [3]. وقال معاوية لصحار العبدي: إنك لأزرق ، فقال له صحار: والبازي أزرق أخذه الشاعر فقال:

أحبك إن قالوا: بعينك زُرْقَةٌ ... كذاك عِتاق الطير زُرْق عُيونُها [4]

وقال بعض المتأخرين :

قالوا : به زُرْقَةٌ فقلت لهم ... بذاك تمت خصاله البهجة
ما كَحَّل العينَ مثلُ زُرْقَتِها ... كم بين ياقوتة إلى سبْجةِ

---

(١) قال في القاموس: القَبَل محركة: إقبال السواد على الأنف أو مثل الحول، أو أحسن منه. أو إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى، أو إقبالها على عرض الأنف أو على المحجر أو على الحاجب أو إقبال نظر كل من العينين على صاحبتها!

(٢) ذكره العجلوني بلفظ (زرق العيون يمن) تحت رقم ١٤١٤، وقال: قال ابن الغرس ضعيف. وذكر ابن القيم في جواب الأسئلة الطرابلسية أنه موضوع، وذكره في الجامع الصغير عن أبي هريرة بلفظ (الزرقة في العين يمن).

(٣) قال المناوي: أي بركة في المرأة فيندب تزوجها لخبر الديلمي عن أبي هريرة: (تزوجوا الزرق؛ فإن فيهن يمنًا) قال ابن الغرس عقيبه: وبه أنه لا معارضة بينه وبين النهي عن الأشقر الأزرق لأن ما هنا في النساء، وما هناك في الرجال، أو يقال: المضر اجتماعهما. انتهى ملخصًا. [العجلوني].

(٤) العِتاق: الكريمة الأصيلة.

وأنشد الثعالبي في اليتيمة [1]: للوأواء الدمشقي:

يا من هو الماءُ في تكوينِ خِلْقَتِه ... ومن هو الخَمْرُ في أفعال مقْلَتِه
ومن بزرقةِ سيفِ اللَّحْظ طَلَّ دمي ... والسيف ما فخره إلا بزُرْقَتِه [2]
عَلّمت إنسان عيني أن يعُوم وقد ... جاءت سباحته في بحر دَمْعته

قال الثعالبي: وهذا كقول الموصلي:

وقالوا بمقلته زرقة ... تشين فظَلَّ لَها مُطْرقا
وهل يقطع السيف يوم الوغى ... إذا لم يكن متنه أزرقا

ومن ألوانها : الشُّكْلَة: بضَمِّ الشين المعجمة وسكون الكاف وهي بعض حمرة يسيرة تكون في بياض العين، فإن كانت في سوادها فهي الشهلة وكلاهما مما يستحسنه كثير من الناس والواحد منهما أشكَل وأشهل، ومثل الأشكل [3] الأسجر بالسين المهملة والجيم [4].

وجاء في حديث جابر رضي الله عنه، كان رسول الله ﷺ: «ضليعَ الفم، أشكل العينين» [5]، أخرجه مسلم من طريق شعبة عن سماك عنه. قال شعبة: قلت لسماك ما ضَلِيعُ الفَمِ؟ قال: عظيمهُ، قلت: فما أشكل العينين؟ قال: طويل شِقِّهما.

قال عياض في الإكمال: تفسير سماك ههنا الشُّكْلة بطول شق العينين وَهْمٌ عند جميعهم، والصواب في الشَّكلة: أنها حُمْرةُ بياض العين كما قدّمناه نحن قبل.

وكان الأصمعي يخالف في الأسْجَر ويقول هو بمعنى الأشْهَل بالهاء وأكثر اللغويين على خلافه. وفي حديث حُمَيْد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «كان أسجر العينين» ولم يرد في وصف رسول الله ﷺ «الشُّهلة» وإنما وردت في وصفه «الشُّكلة» [6]. ومن معايب العين: الحَوص: بالحاء المهملة وهو ضيقها، والخَوَص، بالخاء المعجمة، وهو ضيقها مع غورها. واللخص باللام والخاء المعجمة وهو غلظ الجفن الأعلى. والبخص مثله إلا أنه بالباء المفردة وهو غِلَظ الجَفْن الأسفل. قال ثابت: وذلك خَلْق في العين ليس داءً حادثا فيها.

فصل في وصف الأنف

من أوصافها : الشمم وهو استواء أعلى قصبة الأنف مع ارتفاع يسير في الأرنبة وهو من صفات الجمال وعلامة السُّؤْدُدِ في الرجال .

---

(١) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي والكتاب يمثل العقل العربي في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس الهجريين وواقع النفسية والبيئة، كما أحصى الشعراء إحصاء شبه كامل - وفضل الثعالبي في جمع نصوص الكتاب ولم شتاتها وتبويبها وتقسيمها وفقًا لشعرائها وأقطارهم، وأبو الفرج الوأواء (٠٠- ٩٩٥م): هو محمد بن أحمد الغساني الدمشقي شاعر مطبوع، حلو الألفاظ، رقيق المعاني، وذكر صاحب اليتيمة أنه كان مناديًا في دار البطيخ.

(٢) طلّ دمي: راح هَدَرًا. (٣) قال في المعجم الوسيط: الشُّكْلَةُ اختلاف الألوان في العين: الحمرة في بياضها.

(٤) قال في المعجم الوسيط: الأسجر. يقال: سجَرت عينه سَجَرًا وسُجرةً خالط بياضها حُمْرَةٌ يسيرة فهي سجراء، وصاحبها أسجر والجمع: سجر وفي صفته ﷺ: (وأنه كالأسجر العين).

(٥) رواه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب صفة فم النبي ﷺ. والترمذي في سننه كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ، والبيهقي في دلائل النبوة باب في صفة عين رسول الله ﷺ وأشفاره وفمه، وأحمد في مسنده ٥/ ١٠٣.

(٦) انظر غريب الحديث للهروي ٣/ ٢٨.

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

بيض الوجوه كريمةٌ أحْسَابهم شُمُّ الأنوف من الطِّراز الأولِ

وقال الفرزدق :

بكفه خيزُران ريحه عَبِقٌ من كف أروع في عرنينِه شَمَمُ

وضد الشمم القَنَا، وهو احْدِيدَاب قَصَبةِ الأنف مع نزول الأرنبة، وكان رسول الله ﷺ: «أشمَّ الأنف» ، وبذلك وصفه أصحابه. وفي بعض الأحاديث: ما يدل على أنه ﷺ: كان «أقنى» والمعروف ما ذكرناه، ولعل القُنُوَّ كان منه خَفِيّا، وقد بين ذلك ابن أبي هالة بقوله: «أقنى العِرنين يحسبه من لم يتأمله أشمَّ» [1] . ومن أوصافها: (الدّلف) وهو قصر الأنف وصغر الأرنبة وبعضهم يستحسنه. قال أبو النجم: أنشده ثابت في كتاب خلق الإنسان:

للشم عندي بهجة وملاحة وأُحِبّ بعضَ مَلاحة الدّلفاءِ

وقريب من «الدّلف» «الخنس» وهو قِصَر الأنف وارتفاع يسيرٌ في الأرنبة كأنوف الظّباء والبقر وهو من المعايب .

ابن الجوزي في كتاب الأذكياء عن الأصمعي قال: كنت عند الرشيد إذ دخل عليه رجل بجارية أراد بيعها فتأملها الرشيد ثم قال: خُذ جاريتَك فلولا خَنسٌ بأنفها وكَلَفٌ في وجهها لاشتريتُها قال: فانطلق الرجل بها فلما بلغت الباب طلبت الرجوع فأمر الرشيد بردها فأنشدته:

ما سَلِمَ الظَّبيُ على حسنه كلَّا ولا البدر الذي يوصف
الظبي فيه خَنَسٌ بَيْن والبدر فيه كَلَف يُعرف

فأعجبته بلاغَتُها واشتراها وقرب منزلها وكانت أحظى [2] جواريه عنده.

• من معايب الأنف!

ومن معايب الأنف : ضخامته وكِبَرُه، قال أبو الفرج في الأغاني: كانت رملة بنت عبد الله بن خلف جميلةً، حسنة الجسم، وكان أنفها عظيما، وكان ذلك يَعيبها. وتزوجها عمر بن عبد الله بن معمر وكانت عنده عائشة بنت طلحة فقال يوما لعائشة: فعلت يوم «أبي فَديك» كذا، وفعلت يوم «سجستان» كذا وأقبل يعد أيام حروبه، فقالت له عائشة: أنا أعلم أنك أشجع الناس وأعرف لك يوما كنت فيه أشجع منك في جميع الأيام التي ذكرت! قال: وما هو؟ قالت: يوم اجتليت [3] رَمْلة وأقدمت على أنفها. ومن معايبه: (القَعَم): بالقاف والعين المهملة وهو تطامن في وسطه ، كذا ذكر ثابت. وقال الثعالبي: هو اعوجاج فيه. و(الفَطَس) وهو تطامن شديد فيه مع عرض واتساع. و(الكَزَم) بتحريك الزاي: هو قصره أجمع وافتتاح خرقيه كأنوف السودان.

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات من حديث طويل ١/ ٤٢٢، وأبي نعيم في دلائل النبوة ٥٥١، والطبراني كما في مجمع الزوائد ٨/ ٢٧٣، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ٣١، والسيوطي في زهر الخمائل ص ٣٢.

(٢) أكثرهن تمتعًا بقربه واهتمامه وحبه. وانظر الأذكياء باب في طرف من أخبار النساء المتفطنات ص ٢٥٣.

(٣) قال في المعجم الوسيط: اجتلى العروسَ بَعْلُها نظر إليها مَجْلُوَة.

فصل في ذكر الخدود

من الخدود : الأشْجع وهو المتسع وضده السَّهل وهو الذي فيه طول يستحسن. وكذلك الأسِيلُ، قال امرؤ القيس:

تصدّ وتُبْدِي عن أسيل وتتقى ... بناظرة من وحشِ وَجْرَة مُطفلِ

وقال الأخطل :

أسيلة مجرى الدمع أمّا وِشَاحُها ... فيجري وأما القُلْب منها [1] فلا يجري

والوجناتُ من الخدود ما ارتفع منها ويجوز تحريك الواو من مفردها بالحركات الثلاث. وتشبيه الشعراء حُمْرةَ الخد بحُمرة التُّفاح والوَرْد، وحمرة الخَمْر والجَمْر والدّم باب واسع شائع تكاد شُهْرَتُه تُغني عن إيراد شيء منه، ولكن نذكر هنا من قول العباس بن الحسَن بن عبد الله بن العباس ابن علي ابن أبي طالب وذكر التفاح :

زارتك من بعض الخدور ... بيض نواعم كالبدور
حور تحور إلى ضِنَا ... ك بأعين منهن حور
وكأنما برضَابِهن ... جنى الرحيق من الخُمورِ
يصبغن تُفاحَ الخدو ... دِ بماء رُمّانِ الصُّور

وقال آخر :

ومنعم كالماء يشفي ذا الصدا ... كشفائه ويَشِفُّ مثلَ شَفيفه
تَلْقَى جَنَى التفاح من وجناته ... وترى جني الورد من تَطْرِيفه

وقال العطوي :

ذات خدين ناعمين ضنين ... بما فيهما من التُّفاح
وثنايا وريقةٌ كسُلافٍ ... من رحيقه وروضةٍ من أقاحَ

وقال البحتري وذكر الورد :

لما مشينا بذي الأراك تشابهت ... أعطافُ أغصانٍ به وقُدودِ
في حلتي خَزٍّ ورَوْضٍ فالتقى ... وشْيَان: وشْيُ رُبًا ووشي بُرودِ
وسَفَرْنَ فامتلأت عيونٌ راقها ... وردان: ورد جَنىً وَوَرْدُ خُدودِ

وقال ابن المعتز وقد تضمنت أوصافا :

ليل ، وبدر، وغصن ... شَعْر ، ووَجْنةٌ ، وقَدُّ
خمر ، ودُرّ ووَرْدٌ ... ريقٌ وثَغْرٌ ، وخَدُّ

وعكس خالد الكاتب هذا التشبيه فقال :

رأت منه عينيّ منظرين كما رأت ... من الشمس والبدر المنيرين في الأرضِ

---

[1] القُلْب: بضم القاف وسكون اللام السوار يكون نظمًا واحدًا. وعدم جريانه كناية عن امتلاء معصميها.

عَشِيَّةَ حيّاني بوردٍ كأنّه خدودٌ أضيفت بعضُهن إلى بَعْضِ

قال جحظة : حدثني خالد الكاتب قال: جاءني رسول إبراهيم بن المهديِّ فسرت إليه، فرأيت رجلا أسود جالسًا على فرش قد غاب فيه فاستجلسني واستنشدني، فأنشدته البيتين، فزحف حتى صار على ثُلُثي الفِراش، وقال لي: يا فتى، تُشَبّه الناسُ الخدودَ بالورد، وتُشَبّه أنت الوردَ بالخدود؟! وذكر بقية الخبر. وأنشد صاحب الزّهر لابن المغيرة:

وردُ الخدود أردُّ منْ وردِ الرياضِ وأنعم
هذا تَنَشَّقُه الأنو ف وذا يُقَبّلُهُ الفَمُ
فإذا عدلت فأفضل الـ ـوردين وَرْدٌ يُلْثَمُ
لا ورد إلا ما تَوَلّى صَبْغَ حُمْرَتِه الدّمُ
سبحان من جعل الخدودَ شقائقًا تَتَبَسّم
وأعارها الأصداغ فهـ ـي بها شقيق يعلم [1]

ومن هذه الأبيات أخذ المستنصر العباسي وقد تمشى ببغداد في بستان الخلفاء المعروف بالرقة مع «فضة» التي اشتهر بحبها فرأى أغصان ورد قد مال النسيم بها على النهر فقال:

يا نسيمَ الراح إن تركتَ للنهر بُرودا وتمشيتَ على الرقة سكران عَمِيدَا
قُلْ لغصنِ الوردِ في الرّوضِ بحق أن تَميدَا أظهر المحبوب خدين وأظهرت خُدودا
غير أن الفضلَ عندي للّذي أضحى فريدا أحسنُ العالمِ عينين، وخدّين، وجِيدا

وقال الصَّنَوْبريّ، وذكر الخمر :

ذات خدٍّ يكاد يُدْميه وهم من مُشير بالجَدّ أو بالمزاح [2]
في بياضٍ وحُمرةٍ فكأن قد صبـ ـغَ حُسْنًا من ماءِ مُزْنٍ ورَاحِ [3]

وأنشد ابن أبي طاهر:

له وجنتان من بياض وحُمرَةٍ فحَافَاتُها بيضٌ وأوساطُها حُمْرُ
رِقاقٌ يجولُ الماءُ فيها كأنها زجاجٌ أجيلت في جوانبها خَمْرُ

وقال ابن وكيع: وذكر «الخَمْر»:

أسقم جسمي بسقم طَرْف حيرني في الهوى احوراره
عجبت من جَمْر وجنتيه يَحْرِقُني دونه استعاره

وأنشد ابن الجلاب في روح الشعر لأحمد بن أبي الحكم:

أرى عقرب الصدغ في خدها وفي كبدي حُمَةُ العقرب

---

(١) بقية الأبيات في زهر الآداب: ص ١٨٩ الجزء الثالث.
(٢) الجَداء: صغيرة الثدي.
(٣) الرّاح: الخمر.

وفي وجنتيها شعاعُ اللهيـ ـب وفي أضلعي قبسُ الملهب

وأنشد ابن بسام في الذخيرة لأبي حمد بن حبرة :

يصفرّ لوني إذا ما تأمّله طَرْفي ويَحْمَرّ خَدُّه خَجَلا [1]
حتى كأن الذي بوَجْنَتِه من دم خدي إليه قد نُقِلاَ

وقال محمد بن ياقوت: وذكر «الدم» قال ابن دريد أنشدنيه لنفسه :

مالي بجَوْرِ الحبيب من قِبَلِ هل حاكم عادل ليحكم لي؟! [2]
حُمْرَةُ خَدّيْه من دَمي صُبِغَتْ ويَدّعي أنها من الخَجَلِ

فصل في ذكر الشفاه واللثاث

الشِّفَاهُ: جمع شَفَة، وثبوت الهاء في الجمع دليل على أن الأصل ثبوتها في الواحد، ولكنها حُذفت منه. ومَنْ جَمَعَ شفة على شفوات، فالمحذوف عنده من شفة الواو. واللِّثَاث: جمع لِثَة: وهو اللحم المغَشِّي لأصول الأسنان، ويسمى ما نزل منه بين الأسنان على هيئة الشرف «العمور» واحدها عمرو، وتسمى «القيود» ومنه قوله :

لمرتجة الأعطاف هيف خصورها عذاب ثناياها لطاف قيودها

● المستحسن من الشفاه!

ومن المستحسن من الشفاه : الشفة اللَّمْيَاء، واللَّمَى مَقْصُورٌ سُمْرة يسيرة مستحسنة، تكون على الشفاه، واللِّثَاث، وقد تكسر اللام منه وتضم حكى الكسر المطرز وحكى الضم أبو علي الهجري. وأنشد القاني لجميل :

تبسم عن ثنايا واضحات عذاب الطعم زينها لماها

قال: وقد يكون اللّمى في غير الشفة واللثاث. يقال شجرة لمياء إذا اسودَّ ظِلُّها لكثافة أغصانها. ويُسْتَحْسَن منه أيضا الشفة الحُوّاء واللعساء والحُوّة: سُمْرةٌ يسيرة، وهي نحو من اللمياء وربما كانت أشد منه. قال ذو الرمة:

لمياءُ في شفتيها حُوّة لعس وفي اللثاث وفي أنيابها شنب

اللعس: سمرة شديدة تَضْرِبُ إلى السواد، وقالوا شجر ألعس كناية عن كثافته واسْوِدَادِ ظلِّه. ومن الشفاه المستحسنة: الشفة الظَّمياء والظمى مقصورا : سمرة يسيرة مع رقة وضمور ومَعنى ذلك في الشفة ظاهر. وإذا وصفوا به الرمح كنّوا به عن رِقّته وسُمرته. وإذا وصفوا به الظل كنّوا به عن السمرة وعدم الكثافة. ورقة الشفاه مما يستحسن، وضدَه الذَّلَم بالتحريك والمرأة دلماء. وقال أبو عبيدة في كتاب النقائص: عند قول الفرزدق:

دعون بقضبان الأراك التي جنى لها الركب من نعمان أيام عرّفوا

---

(١) الطرف: العين. (٢) الجور: الظلم.

فمحن به عذب الثنايا غَرُوبة رقاق وأعلى حيث ركين أعجف

قال: قوله وأعلى حيث ركين أراد به لحم اللثة. يخبر أنها قليلة اللحم والعرب تمدح بقلته، وتذم بكثرته؛ فلذلك ذكر العجف. قال: ويستحب أيضا في الشفة «الحُموشَة» وهي الرّقة فإن غلظت قيل: شفة بثعاء والرجل أبثع: قال: ويقال في مثل ذلك امرأة شفاهية أي كبيرة الشفة ورجل شفاهي. انتهى كلام أبي عبيدة.

● **دعابة!**

وقيل لابن سيرين: فلان اشترى جارية غليظة الشفتين فقال: لو اشتراها غليظة الشَّفْرين لكان خيرا له. ومما ورد في ذكر الشفاه واللثاث من الشعر قول النابغة:

تجلو بِقَادِمَتَي حمامة أيكة بَرَدًا أُسِفَّ لِثَاثُه بالإثمد [1]
كالأقحوان غَدَاةَ غِبِّ سَمِائِه جَفَّتْ أعاليه وأسفله نَدِ [2]
زعم الهمام بأن فاها بارد عذبٌ مُقَبَّلُه شهيُّ المورد
زعم الهمام ولم أَذُقْه أنه عذب إذا ما ذقته قلت: ازدد

شبه شفتيها بقادمتي الحمامة وهما الريشتان اللتان في مُقَدَّمَتي جناحيها لرقتهما وشدة سُمْرتهما، فجعلهما يجلوان أسنانها أي يظهران بياضها بما فيها من السمرة، وكان نساء العرب يجْرِحْن لثَاتهن ويجعلن الإثمد عليها فيبقى سواد فيها. وهذا كقول الآخر أنشده سيبويه:

كنَوّاحِ ريشِ حمامةٍ نجديّةٍ ومسحت باللثتين عَصْفَ الإثمد [3]

وقوله «كالأقحوان» شبه الثغر بالأقحوان وقد مطر ليلا فجلاه المطر وصفى لونه ثم جف الماء من أعلاه فاشتد بياضه بسبب ذلك وبقى أسفله مترويًا بندى الماء، وبقية الأبيات بينة المعنى. وقال ذو الرمة:

من الواضحات البيض تحوي عقودها على ظبية من رمل فاردة بكر
تبسم ايماض الغمامة جَنّها رواق من الظلماء في منطق نزر

يريد على ظبية بكر من رمل فاردة وهي الرملة التي انقطعت عن معظم الرمل. وشبه أسنانها بلمع البرق. يشير بذلك إلى بياض الثغر. وقوله جنها رواق من الظلماء، إشارة إلى سمرة شفتيها ولثاتها. ومن هنا أخذ ابن المعتز قوله:

لما تعرى أفق الظلماء مثل ابتسام الشفة اللمياء

---

(١) القوادم: الريش المقدم في جناح الطائر. أُسِفَّ: خلط والإثمد: حجر يكتحل به.

(٢) الأقحوان: نَوْر أبيض. والقصيدة في (وصف المتجردة) إنه يصف ثناياها البيض اللامعة، ولثاتها الحمراء الداكنة، كأنها البَرد، وكأن لثاتها أسِفت بالإثمد، أو كأنها الأقحوانة صبيحة أمسية مطيرة فهي في أنضر وأنقى حالاتها، جفت أعاليها ولا يزال أسفلها يترقرق عليه الندى فهو يلمح الأقحوان، والأسنان كأسافله، الندية. وهو المعنى الذي أتى به طرفة في قوله:

وتبسم عن ألْمَى كأن مُنَوّرًا تخلّل حُرَّ الرّمل دعصٌ له ند

والألمي: الأسمر اللثة، وهو يمدحون سمرة اللثة لتظهر بياض الأسنان، والمنور. الأقحوان، والدعص: الكثيب، وتقدير البيت: وتبسم عن ثغر ألمي كأنه الأقحوان تخلل حرّ الرمل له دعص ندي. اهـ[النابغة الذبياني - عمر الدسوقي].

(٣) قاله: خفاف بن ندبة. وأراد كنواحي ريش فحذف الياء وهو يصف شفتي المرأة فشبههما بنواحي الريش في الرقة واللطف، وعصف الإثمد ما خلط منه.

وأنشد الحصري في الزهر لكشاجم [١]:

عرضن فعرّضن القلوبَ من الجوى ... لأبرح من كَيّ القُلوبِ على الجَمْرِ
كأن الشفاهَ اللُّعْسَ منها خَواتِمٌ ... من التَّبْر مختوم بهن على الدُّرِّ

وأنشد أبو الفرج في كتاب النّساء:

فما أنْسها لا أنس منها إشارة ... بسبّابة اليمنى على خاتَم الفَم
وأعْلَنْتُ بالشكوى إليها فأومأت ... حذارًا من الواشين أن لا أتكلم
فلم أر شكلا واقعا فوق شكله ... كعُنَّابَةٍ يُرْمَى بها فوق عندم [٢]

وقال آخر:

عذبت بالرشف منها شَفَةٌ ... رشْفُها أطيب من نَيل الأمل
وعَلَتْها حمرة في لَعَسٍ ... تستعير اللونَ من وَرْد الخجلِ

فصل في ذكر الثغور

يقال: ثغر رتَل بفتح التاء، وقد تكسر إذا كان حسن الوصف مستوى اللّثاث، والرجل رتل بالكسر. فإن كان بين الأسنان كلها تفريق يسير فالثغر شتيت، والرجل شتيت الثغر، وليس ذلك بمكروه. فإن كان التفريق بين الثنايا خاصة فالثغر أفلج، والرجل أفلج الأسنان. قال ابن دريد: ولا تقول رجل أفلج إلا إذا ذكرتَ الأسنانَ معه والفلج من الأوصاف المستحسنة. وقد قدمنا قول الحريري: لا والذي زيّن الحواجبَ بالبلج والسنون بالفَلج وجاء ذلك في وصف رسول الله ﷺ: أفلج الثنيتين إذا تكلم رأى كالنور يخرج من بين ثناياه ﷺ. أخرجه الترمذي في الشمائل [حديث رقم ١٤].

وقال عياض رحمه الله في الشفاء: كان رسول الله ﷺ: «أفلج أبلج» [٣] وقد سمعت ما حكيناه آنفا عن ابن دريد. والأشر في الأسنان حدة في أطرافها وتحزيز يكون في أعاليها وهو مما يستحسن، وأكثر ما يكون مع الصغر [٤] وحداثة السن والهمزة منه مضمونة وأما الشين فإن شئت ضممتها وإن شئت فتحتها. والشنب هو الماء الجاري على الأسنان وقال بعضهم: هو بردها وعذوبة مذاقها. ويروى عن الأصمعي أنه قال: سألت «رُؤبة» عن الشنَب فأجاب بالتفسير الأول ومثله الرضاب، ومثلهما الظَّلم بفتح الظاء. أنشد ثابت:

وهند تيمت قلبي ... غداة النحر إذ ترمي
بوجه مشرقٍ صافٍ ... وثغر بارد الظَّلَم

وقال أبو علي في الأمالي: أنشدنا أبو بكر بن الأنباري فيما أملاه علينا من معاني الشعر:

---

(١) هو أبو الفتح كشاجم.

(٢) العندم: دم الأخوين.

(٣) جاء في زهر الخمائل على الشمائل إصدار مكتبة القرآن (مُفلج الأسنان): أي منفرجهما، وهو خلاف متراص الأسنان، ويروى (أفلج الأسنان) وفي رواية لابن سعد: (مُبَلّج الأسنان) والمراد: الثنيتان العليان دون السفليين لأن المدح خاص بفلج العليين - كما أشار محققه. وقال ابن الأثير في النهاية: في صفته عليه السلام: أنه كان مفلج الأسنان وفي رواية: أفلج الأسنان. ثم قال: الفلج بالتحريك فرجة ما بين الثنايا والرَّباعيات، والفَرق فجرة بين الثنيتين. ومنه الحديث: (أنه لعن المتفلجات للحسن) أي النساء اللاتي يفعلن ذلك بأسنانهن رغبة في التحسين.

(٤) قال الثعالبي: وهو يدل على حداثة السن وقرب المولد.

إذا ما اجتلى الراني إليها بطرفه غروب ثناياها أنار وأظلما

الغروب: حد الأسنان واحدها غَرب، الراني: المديم النظر، وأنار من النور أي أصاب نورا، وأظلم: من الظَّلَم وهو ماء الأسنان. قال الرّياشي: سمعت الأصمعي يقول: أحسن ما قيل في وصف الثغور هو قول «ذو الرمة»:

وتجلو بفرع من أراكٍ كأنه من العَنْبرِ الهِنْدِيّ والمسك ينضِح
ذُرى أقحوان واجَهَ الليل وارتقى إليه النّدى من رامةِ المُتَرَوِّح
هجان الثنايا مُعْرِبٌ لو تبسمت لأخرس عنه كاد بالقول يفصح [1]

قال الحُصْريّ في الزَّهْر: ومن قديم هذا المعنى وجَيِّده قول النابغة وذكر الأبيات التي أنشدناها في الفصل الذي قبل هذا، قال: ومن قوله فيها «ولم أذقه» أخذ كل من أتى بهذا المعنى. وأنشد لبشار في مثله:

يا أطيبَ الناسِ ريقًا غير مُخْتَبَرٍ إلا شهادةَ أطرافِ المساويك
قد زرتنا مرةً في الدهر واحدةً ثَنِّي ولا تجعليها بيضةَ الديك
يا رحمةَ الله حُلّي في منازلنا حَسْبي برائحةِ الفِرْدَوس مِن فيك

وأنشد غيره في مثل ذلك للمجنون، وتُروى لنُصَيْب الشاعر:

كأن على أنيابها الخمر سحها بماء الندى من آخر الليل عابق
وما ذقته إلا بعين تفرسا كما شيم من أعلى السحابة بارق

وأنشد أبو الفرج في الأغاني:

وثغر أغرّ شتيت النبات لذيذ المقبّل والمُبْتَسم [2]
وما ذقته غير ظني به وبالظن يَقْضِي عليك الحَكَم

وسمع مصعب بن الزبير صبيحة بنائه بعائشةَ بنت طلحة مغنيةً تغني بهما، فقام حتى دنا منها وقال: يا هذه إنا ذقناه فوجدناه على ما وصفت!! قال ابن الرومي:

تَسَنَّتْ بالسواك أبيض صافيا يكاد عذارى الدر منه تحَدّر [3]
وما سر عيدان الأراك بريقُها تأودها في أيكها تتبخْتَرُ
لئن عدمت سقيا الندى أن ريقها لأعذب من هاتيك سقيا وأخصر
وما ذقته إلا بشيم ابتسامها وكم مخبر بيديه للعين منظر

كأنه نسج على أبيات ابن أبي ربيعة التي منها:

يمج زكى المسك منها مفلّج نقى الثنايا ذو غروب مؤشر

---

١ هجان الثنايا: يريد أن ثناياها ناصعة البياض من قولهم: إبل هجان. أي بيض كرام.
٢ الأغر: الحسن الأبيض. شتيت النبات متفرق الأسنان. أي أن أسنانه غير متراكبة.
٣ يقال: سن الأسنان سوّكها أو عالجها بالسُّنون، واستنّ: استاك. والسّنون ما يستن به من دواء لتقوية الأسنان وتنظيفها.

يـــرق إذا تَـفـتـر عـنـه كـأنـه حـصَـى بَـــرَدٍ أقـحـوان مـنـور

وقال أيضا :

تـبـسـمـت عـــن واضـــح نـيـر مـفـلـج عـــذب إذا أقـبـلا
كـأقـحـوان الـرمـل فـي حـائـر أوكـسـنـي الـبـرق إذا مـا علا

الحائر: موضع يجتمع فيه الماء، وأخذ أبو حبة النميري قوله: «أوكسني البرق» فقال:

وبيضاء مِكْسَالٌ لَعُوب خَرِيدَة لـذيـذ لـدى لـيـل الـتّـمـام سمامها
كـأن ومـيـض الـبـرق بيني وبينها إذا حان من بعض البيوت ابتسامها

وقال ذو الرمة:

أسيلة مجرى الدمع هيفاء طَفْلة رَدَاح كإيماض الـبـروق ابتسامها
كـأن عـلـى فيها ومـا ذقـت طعمه زجـاجـةَ خـمـرٍ طـاب فيها مدامها

وقال الشريف الرضي :

بتنا ضجيعين في ثوبَيْ هوىً وتُقًى يُلْفُنَا الـشـوقُ مـن فَـرْقٍ إلـى قَـدَم
وبـات بـارق ذاك الثغر يوضح لي مـواقـعَ اللّثْم فـي داجٍ مـن الظُّلَمِ

ومن بيتي الشريف أخذ الآخر قوله :

ضـمـمـتـه ضـمّ مـفـرط الـضـمّ لا كـــأب مـشـفـق وأم
ألـثـمـه فـي الـدجـى وبـرق ثناياه يـريـنـي مـواقـع الـلَّـثْـم

وأنشد جحظة يقول:

ومـن طـاعـتـي إيـاه يمطر نـاظـري إذا بـدا مـن ثـنـايـاه لـي بـرقـا
كـأن دمـوعـي تبصر الـوصـل هاربا فمن أجـل ذا تسعى لتدركه سبقا

أخذه أبو الطيب فقال:

تـبـلّ خـدي كـلـمـا ابـتـسـمـت مـن مـطـر بـرقـه ثـنـايـاهـا

وتبعه السري بقوله:

أريـتـنـي مـطـرًا يـنـهـلّ ساكـبـه مـن الـعـيـون لـبـرق لاح مـن بـرَد

وأنشد الحريري في مقاماته البيت الأخير من هذه الأبيات وهي للبحتري:

بـات نـديـمـا لـي حـتـى الـصـبـاح أهـيـف مـهـضـوم مـكـان الـوشـاح
أمـــزج ريـقـي بـجـنـي ريـقـه وإنـمـا أمـــزج راحـــا بـــراح
كـأنـمـا يـبـسـم عـن لـؤلـؤ مُـنَـضّـد أو بَـــرَدٍ أو أقـاح

وعارض ذلك بيتيه اللذين قال في البيت الثاني منهما: إنه البيت النزر الجامع لمشبهات الثغر

نفسي الـفـداء لثغر راقَ مَبْسَمُه وزانـــه شـنـب نـاهـيـك مـن شنب

يفْتَرّ عن لؤلؤ رطب وعن برَد وعن أقاح وعن طَلَع وعن حَبَب

قال أبو الريحان في كتاب الجماهر: قولهم في اللؤلؤ «رطب» إنما ذلك كناية عما فيه من ماء الرونق والبهاء ونعومة البشرة وتمام البقاء؛ لأن الرطوبة فضل مقدم لذات الماء وهي تنوب عنه في الذكر، قال: وليس يعني بالرطوبة فيه المعنى الذي هو نقيض اليبوسة.

وأنشد في الكتاب المذكور لبعضهم معتذرًا عن كبر الثغر:

يفتر عن مثل نظم الدُّر أتقنه بحسن تأليفه في النظم مُتْقِنُه
عابوا وفُورَ ثناياهُ فقلت لهم الدُّر أكبرُه في العين أثمنه

أخذ المعنى أبو عثمان سعيد بن يحيى البدروني ممن تقدم عصرنا قليلا فقال:

يعيبون من ثغري جفاء بنظمه وعندهم ذاكم يعيب ويبخس
ألم يعلموا أن المَباسِمَ جَوْهر وأن كبارَ الدُّرّ أغلى وأنفسُ؟!

فصل في ذكر الأعناق

يقال: عنق، وجيد، وتليل، وهاد، وكَرْدٌ، وكلها بمعنًى. قال بعضهم: الكَرْدُ أصل العنق [1]. وقال السُّهيلي: إن الجيد ما لم تستعمله العرب إلا في المدح ولا تقول جِيدٌ قبيح، ولا جعلت الغُلّ في جيده. وأورد على نفسه قوله عز وجل: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٥]. فأجاب بأن ذلك من نحو قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2] [التوبة: ٣٤]. ومن قول الشاعر:

تحيتُهم بينهم ضربٌ وجيعُ

ومن أوصاف الأعناق المستحسنة: التلع: وهو إشراق العنق وانتصابها. والسّطَعَ وهو كناية عن الطول [3]، وجاء ذلك في وصف النبي ﷺ [4]. والجَيَد وهو قريب من السطع والرجل أجيد والمرأة جيداء على القياس في مثل هذه الصفات. قال قيس بن الحطيم:

حَوْراءُ جَيْداء يُستضاء بها كأنها عود بانةٍ قصف

وطول العنق: مما يستحسن ما لم يُفْرِط فإذا أفرط عاد ذمًّا. قال الشمردل:

يشبهون ملوكا في تحليهم وطول أنضية الأعناق واللمم

الأنضية: بالضاد المعجمة جمع نضى وهو ما بين الرأس والكاهل من العنق كذا قال صاحب الصحاح. وقال أبو العباس في الكامل: النضى مركب النصل من السلاح يعني من السهم [5]. قال: وإنما ضربه في البيت مثلا. وكان واصل بن عطاء يعاب بطول عنقه وسمى «نعامة» لأجل ذلك فقال فيه بشار:

ما لي أشايع غزالا له عنق كنِقْنِق الدر إن ولّى وإن مثلا

وكان جعفر بن يحيى بن خالد: طويل العنق طولا مفرطا فقال فيه أبو نواس:

---

(١) معرب. (٢) التوبة: ٣٤ ويراد بها التهكم. (٣) يقال: سطع الرجل رفع رأسه وقدّ عنقه.
(٤) أشار إلى ذلك ابن الأثير في غريب الحديث: مادة سطع قال: في حديث أم معبد: (في عنقه سطع) أي ارتفاع وطول.
(٥) وهكذا جاء في المعجم الوسيط: نضي السهم: ما بين ريشه ونصله جمعه أنضية.

ذاك الأمير الذي طالت علاوته كأنه ناظر في السيف بالطول

وزعموا: أن جعفر بن يحيى هو أول من اتخذ هذه الأطواق العِراض في اللباس المفرج ليستر بها عنقه فاستحسنها الناس بعده واستعملوها وقال امرؤ القيس :

تَصُدُّ وتُبْدي عن أسيل وتتقي بناظرة من وحش وَجْرَةَ مُطْفِل
وجيدٍ كجِيدِ الرّيم ليس بفاحش إذا هي نضته ولا بمعطل

ليس بفاحش : أي ليس بمُفرط الطول تحرّزَ بذلك مما ذكرناه، وذكر أرباب البيان أن من وصف العنق بالطول قول النابغة :

إذا ارتعثت خاف الجَبانُ رِعاثها ومن يتعلق حيث عُلّقَ يفرق

وأنه أول من فتح للشعراء هذا الباب فتبعوه وأن ابن أبي ربيعة تناوله فأوضحه بقوله:

بعيدة مَهوى القُرط إما لنَوْفَل أبوها وإما عبد شمس وهَاشِم

وعندي أنه ليس في هذه الأبيات تعرض للعنق ولا إشارة لوصفه بطول ولا قصر، وإنما يدل على طول المرأة لا على طول عنقها ألا ترى أنها لو كانت وقصاء [1] وكانت مع ذلك طويلة لصح أن يقال فيها بعيدة مهوى القرط فتأمل هذا الاستدراك تجده صحيحا إن شاء الله تعالى [2]. وقال المران بن منقذ :

وهي هيفاء هضيم كَشْحُها ضَخْمَةٌ حيث تَشُدّ المؤتَزَر
صَلْتَةُ الخَد طويلٌ جِيدُها ضخمةُ الثَّدْي ولَمّا يَنْكسر

وقال ذو الرُّمة :

لها جيدٌ أم الخشف ريعت فأتلعت ووجهٌ كوجهِ الصُّبح ريان مشرق
وعينٌ كعينِ الرّيمِ فيها مَلاحَةٌ هي السحرُ أو أدنى التباسًا وأعلق

وقال آخر :

وأعجبني منها غداةَ لَقِيتُها تهَبُّلُ أرداف لها ومحاجر
وجيد كأملود الرخام رعاته بمهلكة صبت عليها الغدائر

وقال قيس بن الحطيم :

تراءت لنا يوم الرحيل بمقلتي غرير بملتف من السدر مفرد
وجيد كجيد الريم حال يزينه تَوَقّد ياقوتٍ وفَضل زَبَرْجد

وقال العرجي :

تريك وجها فوق جيد لها مثل رخام المرمل المدمج
كأنما الحلي على نحرها نجُوم فجرٍ ساطعٍ أبْلَجِ

قال الشاعر وذكر ظبية :

---

(١) قال في المعجم الوسيط وقِصَ يَوْقَصُ وقَصًا: قصرت عنقه خِلقة فهو أوقص وهي وقصاء ويقال: عنق أوقص، وعنق وقصاء وجمعه وُقْص.

(٢) لست مع المؤلف فإن مهوى القُرط الرقبة لا الجسم كله ولا نستطيع أن نقول في قصيرة الرقبة بعيدة مهوى القرط حتى ولو كانت هي غير قصيرة!

فعيناك عيناها وجيدُك جيدُها خلا أن عظم الساق منك دقيق

ومن معايب العنق: الوَقَص: وهو قِصَرُها. والهَنَع وهو تطامنها [١] والصَّعر وهو ميلها [٢] ومثله الحَدَل بالحاء والدال المهملتين [٣]، والغَلَبُ وهو غِلَظُها. قال ثابت: ومن كان أغْلَبَ لم يستطع أن يلتفت إلا بعنقه كلها [٤].

فصل في ذكر المعاصم

المِعْصَم: موضع السِّوَار من الذِّراع. وقد يطلق ويراد به الذِّراع نفسُها ويقال: مِعْصَم خَدْلٌ بفتح الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة أي ممتلئٌ رَيّانٌ. وكذلك: مِعصم غَيْل بفتح الغين المعجمة وسكون الياء المعتلة. المبرد في الكامل قال: قال أبو المخشن الأعرابي: كانت لي ابنة تجلس معي على المائدة فتبرز كفًا كأنها طلعة في ذراع. كأنها جُمّارة، فما تقع عينها على أكلة نفيسة إلا خصّتني بها فزوجتُها، وصار يجلس معي على المائدة ابن لي فيبرز كفا، كأنها كُرنافة في ذراع كأنها كربة فما تقع عيني على لقمة طيبة إلا سبقت يده إليها! الجمارة: قَلْب النخلة. ويقال قُلْبُها بضم القاف. وتشبيه المعصم بها كناية عمّا فيها من البياض والرطوبة والبضاضة والغضاضة. قال أبو حنيفة: وربما شبهوا بها المرأة لأجل ذلك فقالوا: «كأنها جُمّارة». والكرنافة: ما يبقى في النخلة من السَّعَفَةِ بعد قطعها، والكربَة بالتحريك الشيء المقطوع منها. قال أبو حية النُّميري:

رمته أنـاة من ربيعة عامر نئوم الضحى في مأثم أي مأثم
فقلن لها في السِّر: نفديك لا برح صحيحا وإلا تقتليه بألمم
فألقت قناعًا دونه الشمس واتّقت بأحسن موصولين كف ومِعْصَمِ

أخذه من قول النابغة:

قامت تراءى بين سَجْفَي كِلّةٍ كالشمس يوم طلوعها بالأسْعُد
سقط النّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطه فتناولته واتّقتنا باليد [٥]

يريد فاجأتُها فسقط نصيفُها فسترت وجهها بمعصمها أو بكفها والنصيف ثوب يُعْتَجَر [٦] به.

ما لا نعلمه عن النابغة:

قال الهيثم بن عدي: قال لي صالح بن حسان المدني: أتعلم أن النابغة كان مُخَنّثًا؟ فقلت له: وكيف؟ قال: أو لم تسمع قوله: «سقط النصيف.. البيت»، والله ما يُحْسِنُ مثلَ هذه الإشارة إلا مُخَنّث العَتيق [٧]!. وأخذه جميل فقال يصف امرأة:

---

(١) قال في المعجم الوسيط: الهنع انحناء القامة. فهو أهنع وهي هنعاء.

(٢) قال في المعجم الوسيط: الصّغر: داء في العنق لا يستطيع معه الالتفات، وميل العنق أو الوجه إلى أحد الجانبين وقد يكون هذا مرضًا.

(٣) قال في المعجم الوسيط: الحدل: وجع في العنق. وحَدِل حَدَلًا: مال، ومال عنقه خِلْقةً أو من وجع فهو أحدل وهي حَدْلاء.

(٤) قال في المعجم الوسيط: غَلِبَ غَلَبًا: غَلُظَ عُنُقُه، الأغلب: ذو العنق الغليظ.

(٥) السَّجف: الستر الرقيق المشقوق الوسط، والكِلّة: غشاء رقيق يُتقى به البعوض (ما نسميها: ناموسية) والأسعُد: برج الحمل.

(٦) يعتجر: اعتجر بالعمامة لفها ورد طرفها على وجهه، واعتجرت المرأة، اتمرت بالعجار. والعجار ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها. والنصيف: كل ما غطى الرأس من خمار أو عمامة.

(٧) عتق العبد: خرج من الرق فهو عتيق ومثل هؤلاء أدرى بأمور النساء.

غدا لاعبا في الحَيّ لم يَدْر أننا نَمُرّ ولا أرضٌ لنا بطريق
فلما انتحيناه اتّقانا بكَفّه وأعلن مِنّا رَوْعَةً بِشَهيق [1]!!

وقال مسلم بن الوليد: في مثل ذلك وأحسن كُلّ الإحسان -على بشاعة تشبيهه وشناعته-[2]:

فأقسمت أنسى الداعيات إلى الصبا وقد فجأتها العين والستر واقع
فغطت بأيديها ثمارَ نُحُورِها كأيدي الأساري أثقلَتْها الجوامع

وقال أبو الفرج في كتاب النساء لجميل :

وسواعد عرضت وكشح ضامر جَال الوِشاحُ عليه كل مَجال
وعجيزةٍ رَيَّا وساقٍ خَدَلّة بيضاءَ تسكت مَنطق الخلخال

وأنشد أيضا لابن دهبل: وذكر الخضاب :

وكف كهُدّاب الدمقسي لطيفة لها درس حناء حديث مضرج
يجول وشاحاها ويغرب خصرها ويشبع منها وقف عاج ودملج

ومن أناشيد الثعالبي في اليتيمة:

قد حجبت وجهها عن النظر بمعصم حل عقد مُصْطَبَري
كأنه والعيون ترمقه عمود صبح في دارة القمر

ومما يتعلق بهذا الفصل : الأبيات المتداولة التي يُتغَنّى بها :

صِلْ من هَوَيْتَ ودَعْ مقالةَ حاسد ليس الحَسُودُ على الهوى بمُساعِدِ
لم يَخْلقِ الرّحْمَنُ أحسنَ منظرا من عاشقين على فراشٍ واحدِ !!
متوسِّدَيْن عليهما لُحُفُ الهَوى متعانقين بمِعْصَمٍ وبساعِدِ
يا من يلوم على الهوى أهلَ الْهَوى هيهات تضربُ في حَديدٍ باردِ!!

ومثل هذه الأبيات في شُهْرتها وتَداوُلها والتَّغَنّي بها وهي مما نحن بسبيله الأبيات الأُخَر التي أولها:

مشتاقةٌ طَرَقَتْ في الليل مشْتاقا أهلًا بمن لم يَخُنْ عَهْدًا وميثاقا
أهلا بمن ساق لي طيفَ الأحِبَّة بل أهلا وسهلاً وترحيبًا بمن سَاقَا
يا زائرًا زارَ مِنْ قُرْبٍ عَلَى بُعْدٍ آنَسْتَ مُسْتَوحِشًا لا ذُقْتَ ما ذَاقَا
الله يعلم لو أني استطعت لقد فرشت ممشاك أحداقًا وآماقَا
ضاق العناق وضم الشوق بينهما ضم الفريقين أعناقًا فأعْنَاقا
يا ليل عَرّجْ على إلفين قد جَعَلا عقد السواعد للأعناقِ أطواقا

أنشد هذه الأبيات أبو محمد الرشاطي في كتابه المسمى باقتباس الأنوار : وذكر أنها لأبي عبد

---

(١) كما يفعل من يفاجأ.

(٢) يقول الأستاذ علي الجندي في فن التشبيه: والتشبيه مصيب جدًا، ولكن عيبه جاء من أيدي الأسارى المثقلة بالأغلال فإنه لا يصح في الذوق أن تشبه بها أيدي الحسان التي تستر رمان الصدور.

الله الجامدي بالجيم منسوب إلى الجامدة قرية من قرى واسط، وتروى لعمر بن أبي ربيعة وادعاها كثير من الشعراء. وأنشد الرشاطي أيضا: لأبي عبد الله الجامدي :

سقاني وحَيَّاني وباتَ مُعَانِقي فياعطفَ معشوقٍ على ذُلِّ عاشق
ويا لَيلةً باتت سواعِدُنا بها تدورُ على الأعناق دَوْرَ المخَانِقِ
نَبُثُّ من الشكوى حديثا كأنه قلائد دُرٍّ في نُحورِ العواتِق

فصل في تطريف الأنامل

وتطريفها : بالحُمْرة والسَّواد قال امرؤ القيس بن حجر :

وتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيرِ شَثْنٍ كأنه أساريع ظبي أو مساويك إسحل [1]

تعطو: أي تتناول : والشثن: الغليظ الجافي ، يقول: إن أناملها ليست كذلك، والأساريع جمع أسروع وهي دود بيض الأجساد حُمْر الرؤوس شديدة الغضاضة والنعومة، فشبهها بها لبياضها ونعومتها. وقد يمكن أن يكون أشار إلى هذه الأنامل قد طُرّفت بالحُمرة كأنها رؤوس تلك الأساريع. وظبي: موضع معروف، و هذه الأساريع هي بنات النقى تخفى مرارًا وتظهر. قال فيها ذو الرمة:

خراعيب أملود كأن بنانها بنات النقى تَخْفَى مِرارًا وتَظْهر

والإسحل: شجر يشبه الأيك تتخذ منه المساويك فشبه البنان بالمساويك للطافتها واستوائها. وفي هذه المساويك يقول ذو الرمة:

جرى الأسحل الأحوى برخص مُخضبٍ على الغُر من أنيابها فهي نصع

وقال النابغة:

بمخضّب رخص كأن بنانه عَنَمٌ يكاد من اللطافة يُعْقَدُ

يقال: إن العنم التي شبه النابغة بها هي الأساريع التي شبه امرؤ القيس بها. ويقال: بل العنم شجر لين الأغصان محمر الثمر تشبه به البنان المخضوبة وكثير من الرواة يروي بيت النابغة: عنم على أغصانه لم يعْقِدِ. فهذا يدل على أن العنم نبت لا حيوان، وكذلك قول الشريف الموسوي:

وألْمَسْتني وقد جَدّ الوداعُ بنَا كفًّا تُشِيرُ بقُضْبَانٍ من العَنَم

يدل على أن العنم عنده شجر. قال ابن رشيق في العمدة: تشبيه امرئ القيس الأنامل المخضوبة بالأساريع من أبدع التشبيهات إذ هي كأحسن البنان لينا وبياضا وطولا واستواءً.

قال : غير أن نفس الخَضَرى المولّد إذا سمع قول أبي نواس في الكأس:

تعاطيكها كف كأن بنانها إذا اعترضته الكف صف مدارى

أو قول ابن العباس الرومي :

---

(١) يرخص: يريد ببنان رخص وهي الأصابع. وقوله: غير شثن: أي غير غليظ جاف. وظبي هنا اسم رمل، وأساريعه دواب تكون فيه بيض مثل الديدان التي يستخرجها هواة الصيد من الأرض - فشبه بها أصابعها في لينها ونعومتها وبياضها أو بالإسحل، وهو شجر له غصون يُستاك بها في لطافتها. وقال أبو الدقيش: نسب الأساريع إلى ظبي، لأن الظباء تأكل هذا الضرب من الدود كما تأكل البقل. اهـ [شرح ديوان امريء القيس].

سقى الله قصرا بالرصافة شاقني ... بأعلاه قصري الدلال رصافي
أشار بقضبان من الدر قمعت ... يواقيت حمرا فاستباح عفافي

أو قول عبد الله بن المعتز:

أشارت بأطراف رطابٍ كأن ... أنابيب در قمعت بعقيق
وقالت كلاك الله في كلِّ موطنٍ ... مكانُك من قلبي مكانُ شقيق

كان ذلك أحبّ إليها من تشبيه البنان بالدود في بيت امرئ القيس. وإن كان تشبيهه أشد إصابة.. انتهى كلام ابن رشيق. وللصنوبري في نحو مما تقدم:

بسطت أنامل لؤلؤ أطرافها ... فيها تطاريف من المرجان
وتقنعت لك بالدجى فوق الضحى ... وتَنَقَّبَتْ بشقائقِ النُّعمان

ومن قديم ما قيل في هذا المعنى قول عكاشة العمى:

قُمْ فاسقني من قهوةٍ أكوابا ... تدع الصحيح بعقله مُرْتابا
من كف جاريةٍ كأن بنانها ... من فضة قد طرّفت عِنّابا

ولابن المعتز في التطاريف السود:

وكف كأن الشمس مدت بنانها ... إلى الليل تجلوه فقبلها الليل

وقال بعض المتأخرين:

وحوراءِ اللواحظ بين قلبي ... وبين جُفونها حربُ البَسوس
ترى ماءَ النعيم يجول فيها ... كمثل الخمر في صافي الكؤوس
كأن بنانَها أقلامُ عاجٍ ... مُرصَّعَةُ الرؤوس بآبنوس

وأنشد ابن الجلاب في روح الشعر لأبي بكر محمد بن عياض القرطبي:

عَلِقْتُها فتانةً أعطافُها ... تُزْري بغُصن البَانَةِ المِيّاد
من للغزالةِ والغَزالِ بِحُسْنِها ... في الخد أو في العين أو في الهاد
خضبت أناملها السواد وقلّما ... أبصرت أقلاما بغير مداد

وقد قدمنا في باب الزينة ما ورد في السنة من كراهة التَّطْريف والنَّقْش واستحباب الغمس أي الخضاب، ثم تَلَوْنا ذلك بما ورد في إباحتها والترخيص فيها بما أغنى عن تكراره هنا فينظر ذلك هناك.

فصل في ذكر النحور والصدور

النحر: موضع القلادة من الصدر كذا قال صاحب الصحاح، قال: وكذلك اللبة، وقال: الأعلم في شرحه لأشعار الستة عند قول امرئ القيس:

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ... ترائبها مصقولة كالسجنجل

أي بالزعفران، وسمعت أنه ماء الذهب والزعفران، وقيل هو المرأة، قال: الترائب جمع تريبة وهي

موضع القلادة من الصدر فيخرج من كلامهما أن النحور واللبات والترائب ألفاظ مترادفة وفي ذلك نظر. ومن أبيات الحماسة :

سود ذوائبها بيض ترائبها ردم مرافقها في خلقها عمم

ردم: أي ممتلئات باللحم، وعمم: أي تمام وكمال. وأنشد ثابت في كتاب خلق الإنسان:

والزعفران على ترائبها شرق به اللبات والنحر

فهذا قد أخبر أن صفرة ترائبها إنما هي لأجل الخَلُوق فأما قول ابن مطير أنشده أبو علي في الأمالي:

بصفر تراقيها وحمر أكفها وسود نواصيها وبيض خدودها

وقول بشار:

وصفراء مثل الزعفران شربتها على صوت صفراء الترائب رود
حسدت عليها كل شيء يمسها وما كنت لولا حبها بحسود

فيحتمل أن تكون هذه الصفرة صفرة الخلوق كما تقدم، وأن تكون صفرة الحلي المذهب كما قال عاصم في شرحه للحماسة. وقال الشاعر: فيما يتعلق بهذا الفصل:

حقاق من العاج قد ركبت على صحن صدر من المرمل

وقال ابن المعتز :

وذات دلال سبت مهجتي بمستشرفين على مرمر
كأن العقود على نحرها نجوم نظرن إلى المشتري

أخذه من قول الحارث بن خالد :

كأنما الحلي على نحرها نجوم فجر ساطع أبلج

وقال الأعشى :

عهدي بها في الحي قد سربلت هيفاء مثل المهرة الطهر
قد نهد الثدي على نحرها في مشرف ذي بهجة نائر
لو أسندت ميتا إلى نحرها عاش ولم ينقل إلى قابر

فصل في ذكر الثدي واختلاف الناس فيما يستحسنون من كبرها وصغرها

يقال : للمرأة إذا كَعَبَ ثديُها أي ظهر: كاعب فإذا أفْلَكَ أي استدار قيل : مُفْلِكة، فإذا أنهد أي علا وأشرف قيل : ناهد، وبعضهم يجعل الناهد والمفلكة واحدًا. قال أبو الفرج: قيل لإبراهيم بن سَيار النّظام: أيّ مقادير الثدي أحْمَد؟ قال: وجدت الناس يختلفون في الشهواتِ، وسمعنا الله تعالى يقول حين وصف الحور العين ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النّبأ: ٣٣] ولم يقل فوالك ولا نواهد. وقالت العرب: يسار

الكواعب ولم تقل: يسار الفوالك ولا النواهد. فآثر النّظّام ابتداء النهود، وفي ضمن ذلك تفضيله صغر الثدي على كبره. وقال كثير في مثل هذا:

نظرت إليها نظرةً وهي عاتق ... على حين شبت واستبان نهودُها [1]
نظرت إليها نظرةً ما يسرني ... بها حُمْرُ أنعام البلاد وسودُها

وبيَّن ابن الجهم القدر الذي يريده من يريد صغر الثدي بقوله:

يَمْلأُ الكفَّ ولا يَفْضُلها ... وإذا ثنيته لا يَنْثني

وسئل آخر فقال:

أريد ضخما في غير تمديد ... مُرَكّنا في غير تبديد

هذا استحسن كِبَره، وأراد منه أن يكون مُرَكّنا أي ذا أركان، وهو المقعد الذي عناه النابغة بقوله:

والبطنُ ذو عُكَنٍ لطيفٌ طَيّهُ ... والنحرُ تَنْفِحُهُ [2] بثدي مُقْعَدِ

قال أبو عبيدة: دخل مالك بن الحارث الأشتر على عليٍّ رضي الله عنه صَبيحة بنائِه على بعض نسائه، فقال له: كيف وجد أميرُ المؤمنين أهلَه، فقال: كخير امرأةٍ لولا أنها جَدّاء قبّاء، فقال: وهل يريد الرجال من النساء إلا ذاك؟ قال: لا حتى تروي الرضيع، وتدفئ الضجيع. الجَدّاء: الصغيرة الثديين، والقبّاء: اللطيفة الكشحين [3].

الجاحظ في البيان قال: كتب الحجاج بن يوسف إلى الحكم بن أيوب أن يخطب لابنه عبد الملك امرأة جميلةً من بَعيد، مليحة من قريب، شريفةً في قومها، ذليلةً في نفسها، أمة لبعلها، فكتب إليه قد أصبتها وهي «خولة» لولا عظم ثدييها فكتب إليه الحجاج لا يحسن نحر المرأة حتى يَعْظُمَ ثدياها وزوّجها ابنه. وقال المراز بن المنقذ:

صَلْتَةُ الخد طويل جِيدُها ... ضخمة الثَّدي ولمَّا ينكسر

ومنه أخذ بشار قوله:

والثدي تحسبه وسنان أو كسلا ... وقد تمايل ميلا غير منكسر

ومن أبيات الحماسة:

أبتِ الرّوادِف والثُّدِيّ لقُمْصِها ... مسَّ البُطُونِ وأن تَمسَّ ظُهورا [4]
وإذا الرياح مع العَشِيّ تناوَحَتْ ... نَبّهن حَاسِدَةً وهِجْن غَيُورا

يقول: إن ارتفاعَ ثَدْيَيْها يمنع الثّوبَ أن يَمَسّ البَطْن، وارتفاع رِدْفيها يمنعه أن يمَسّ الظّهر فإذا تناوحت الرياح أي أتت من كل ناحية، وجَدَت بين جسمها ثوب هواءً خاليًا فتمكنت من رفعه؛ فيبدو ما تحته فينبه حسد الحاسد ويُهيجُ غَيْرَةَ الغَيُور.

ويتطرق إلى طرف من هذا قول الفرزدق:

---

(١) العاتق: فرخ الطائر حين يسقط ريشه الأول وينبت له ريش قوي.
(٢) نفحه: رفعه.
(٣) قال في المعجم الوسيط: قَبّ قَبّا دق خصْره، ومر بطنه فهو أقب، وهي قَباء! والجدّاء: الصغيرة الثديين. والأثر سبق تخريجه.
(٤) كنّى عن كبر الأعجاز، ونهود الثدي بارتفاع القميص عن أن يمس بطنًا أو ظهرًا، وهذا من بديع الكناية.

إذا بُطِحَتْ فوق الأثافِيّ رفعتها بثَدْيَيْن في صدر عريض وكَعْثَب

زعم أنها إذا بُطِحَتْ على وجهها لم تَمَسَّ الأرضَ بشيء من بدنها إلا برؤوس ثدييها، وبكعْثَبها لِعَظم ذلك فصارت لبدنها كالأثافي، وسيأتي الكلام على هذا البيت بعد هذا.

وقال الأعشى في النَّاهد :

عهدي بها في الحي قد سربلت هيفاء مثل المهرة الضامر
قد نَهَدَ الثديُ على نحرِها في مشرف ذي بهجةٍ نائر

وقال عبد الله بن أبي السمط :

كأن النهود -وقد فلكت وزَان العقودُ عليها النحورا-
حِقاقٌ من العاجِ مكنونةٌ حملنَ مِنَ المسك شيئًا يسيرا

وهذا كقول ابن الرومي :

صدورٌ فوقهن حِقاقُ عاجٍ ودُرٌّ زانَه حُسنُ اتّساقِ
يقول القائلون إذا رأوه أهذا الدُّرّ من هذا الحقاق؟!

ونحو منه قول الآخر :

حِقاقٌ من العاجِ قد رُكِّبت على صَحْن خَدٍّ مِنَ المَرْمَرِ
خَشَيْن السُّقوط فأثبتنها بشبه مَسَامِير من عَنْبَرِ

والأصل في ذلك كله قول عمرو بن كُلْثُوم:

وثَدْيًا مثل حُقِّ العاجِ رَخْصًا حَصَانًا من أكُفِّ اللّامِسِينا

وقال ابن المعتز :

وذاتُ دلالٍ سَبَتْ مُهْجَتي بمُسْتَشْرِفَيْن على مَرْمَرِ
كأنهما خرط كافورةٍ بأعلاهما نُقْطَتا عَنْبَرِ

وأنشد الحِجازيّ في المُسْهَب لبعضهم :

يا صاحبيّ بمهجتي خَمْصَانةٌ مالت فمال الغُصْنُ من أعطافها
في الصَّدر منها للطِّعَانِ أَسِنَّةٌ ما أُشْرِعَت إلّا لحمى قطافها
إن أنكرَتْ قَتْلي هناك فَفَتِّشَا تجدا دمي قد جَفّ في أطرافها

ويتطرف طرفًا من معنى هذه الأبيات ما أنشده ابن الأبار في كتاب الحلة السيراء للأمين المقدسي أبي زكريا رحمه الله تعالى :

وحوراءَ تَسْتَعلي بنَهْدَيْن أُشْرِعا ولا غروَ أن يدعو هواها فأتبعه
تقول وقد رقت لما بي أجازع وأنت جري، والأسنة مُشْرَعَة؟!
فقلت لها جَفنَاكِ عَرَّا تجلدي ونَهْداك هذا نَفْس هيمان مُوجَعة

وما زلتُ ألْقَى القِرْنَ يغسل رمحه فكيف بمن يُلْقِي الفؤاد بأربعة؟!

قال ابن الأبار : صدر هذا عنهم وقد أنشد بمحلهم للقاضي أبي بكر بن العربي في مداعب له من فتيان الملثمة هزَّ رُمْحَه عليه وأومأ به إليه فقال :

يهز عليّ الرّمحَ ظبي مُهَفْهَفٌ لَعُوبٌ بألباب الْبَرِيّةِ عَابث
ولو كان رمحًا واحدا لاتقيتُه ولكنه رمحٌ وثانٍ وثالثُ

قال : كذا قرأته في ديوان شعره والبيتان عندي بالإسناد للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية. أبو الفرج في كتاب النساء قال: كان هشام بن عبد الملك مشتهرًا بحب ابنته عائشة دون سائر أخواتها وكان لا يصبر عنها وكان إذا ركب في جُنده ركبت معه وإن ثدييها في صدرها كالرمانتين.

فصل في ذكر الخصور

قال امرؤ القيس :

وكَشْحٍ لطيف كالجديلِ مُخَصّر وساقٍ كأنبوب السقى المذلل

الكشح: الخَصْر، والجَديل: العِنان المضفور، يشير بذلك إلى رقة الخَصر وإضماره. ومن أبيات الحماسة:

عُقَيْلِيَّة أما مَلَاثُ إزارها فَدعْصٌ وأما خَصرها فبَتيل[1]

ملاث إزارها: الموضع الذي يُلاث الإزار عليه، أي يُلف. يريد ردفها، والدعص: هو الكَثِيب من الرمل، وبَتيل: أي رقيق، والبَتْل القطع، يريد أنه لرقته يكاد يَنْقطع، وهذا كقول ابن عبد ربه:

يا لؤلؤًا! يَسْبي العقولَ أنيقًا ورَشًا بِتَقْطِيع القلوب خليقا
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله درا يعود من الحياء عقيقا
وإذا نظرتَ إلى محاسن وجهه ألْفَيْتَ وجهكَ في سَنَاهُ غريقا
يا من تقطع خَصْره من رِقّة ما بالُ قلبك لا يكون رقيقا؟!

ويقال : إن أبا الطيب المتنبي لما سمع هذه الأبيات صَفّق بيده استحسانا لها وقال : والله يابنَ عبدِ ربّه لتأتينّك العِراق حَبْوًا. وقال حبيب :

مَهَا الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل
من الهيف لو أن الخلاخيل ضمرت لها وشحًا دارت عليه الخلاخل

وقال أبو الطيب :

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حَدَقٍ نِطاقا

أخذه السّريّ فقال :

وأغيد مهتز على صحن خدّه غلائل من صبغ الحياء رقاق

---

(١) البيت ليزيد بن الصّمة ويسمى ابن الطثرية: والمعنى: هي من بني عقيل، فأما ما في الإزار منها فثقيل غليظ مثل الدعص، وأما ما هو خارج الإزار من الخصر فهو في غاية الدقة.

أحاطت عيون الناظرين بخصره فهن له دون النطاق نطاق

وقد أنشدنا فيما تقدم من الفصول بيتي العباس بن الحسن وهما :

أتاح لك الهوى بيض حسان سبينك بالعيون وبالثُّغور
نظرت إلى النحور فكدت تقضي وأولى لو نظرتَ إلى الخُصور

وقال أحمد بن المفلس من شعراء اليتيمة :

أبُروقٌ تلألأت أم ثُغُور ولِيالٍ دَجت لنا أم شعور؟
وغصون تأودت أم قدود حاملات رُمّانَهن الصُّدُورُ
مَثْقَلاتٌ أردافهن ولكنْ مُرْهفَات من فوقهن الخُصُورُ

فصل في ذكر العكن

من استحسن من المرأة الضُمور والهيف لزم أن يكون غير مستحسن للعُكَنِ، فإن العُكَن لا تكون إلا مع السّمن ولأجل هذا احتاج النابغة إلى التحرز في قوله :

والبطنُ ذُو عُكَنٍ لطيفٌ طَيُّهُ والنَّحر تنفحه بثدي مقعد[1]

قوله لطيفٌ طيُّهُ تحرز من السمن المعيب فأراد أن بطنها ألطف ما يمكن أن تكون عليه بطن ذات عكن. وقد تقدم حديث «هيت» المخنث وقوله لعبد الله بن أبي أمية: «عليك ببادية بنت غيلان؛ فإنها تقبل بأربع وتُدبر بثمان». مُرادُه بذلك أنها تقبل بأربع عُكَنٍ، ولكل واحدة طرفان مما يلي ظهرها فهي تدبر بثمان . وقال الشاعر :

لما رَأَت أنّ الرحيل قد حان قامت تهادي في رَقيق الكَتَّان
بواضحِ الْوَجْهِ جميلِ الخِلاَن وعُكَنٍ مثْل مُتونِ الغِزلان

وقال يزيد بن معاوية في زوجته أم خالد بنت هاشم بن عتيبة :

لها عُكَنٌ بِيضٌ كأنّ مُتُونَها إذا شَفّ عنها السّابِرِيّ قِدَاحُ

وقال آخر :

لها كفَلٌ وافٍ وبطن مُعَكّن وأخشم مثل القعب غير منور

وقد تقدم إنشاد هذا البيت مع صلته قبل هذا .

الرشاطي في اقتباس الأنوار قال : كان سابور بن أزد شير أجمل ملوك فارس وكان قد استولى على بعض الشام وتوجه إلى سواد العراق فحاصر صاحب الخضر وهو حصن منيع كان هناك فأقام عليه أربعة أعوام لا يقدر منه على شيء وأشرفت ابنة صاحب الحصن وكانت تسمى نضيرة وكانت أجمل أهل زمانها فرأت «سابور» فهويته وراسلته فاشترط لها ما أرادت ودلته على غرة في الحصن فملكه وقتل أباها وأعرس بها فلم تزل ليلتها تتقلب على فراشها لا تنام فسألها عن ذلك؟ فقالت: إن جنبي

---

(١) العُكنة: ما انطوى وثنى من لحم البطن سِمنًا. وتعكّن البطن صار ذا عُكن.

لينبو عن فراشك هذا، فقال: إنه لمن خَزّ الصين وإنه لمحشو بالقَزّ، وما نامت الملوك على ألين منه، ثم أمر بأن يلتمس ما كان يؤذيها فوجدوه «ورقة آس» قد كانت على الفراش فلصقت بإحدى عُكَنِهَا فأُزيلت من عكنتها وقد أثرت فيها وجرى الدم من مكانها وذلك للينها ونعمتها وفي الحكاية طول.

وقال ابن وكيع فيما له تعلق بهذا الفصل: أنشد الحُصري في كتاب نور الطرف:

خذها بكفي فاتر الجفون ... مُدامَة كدمعة المحزون
على غديرٍ أملسِ المُتون ... مثل فرند الصارمِ المسْنُونِ
أمواجُهُ كَعُكَنِ البُطُون

وذكر ابن وكيع في هذا المعنى قوله:

سقاني كأس الراح شَاطِئُ جَدْوَلٍ ... تَدَارِيجُه يحكين بطْنًا معكنا
إذا صافَحَتْه رَاحَةُ الريح خِلتَه ... بتكسيرِها إيّاه ثوبًا مُعَيّنًا

وأنشد ابن الجلاب في روح الشعر لابن سارة:

والنهر قد رقّت غلالة متنه ... وعليه من ذهب الأصيل طِرازُ
تترقرق الأمواج فيه كأنها ... عُكَنُ البطونِ تَضُمُّها الأعجاز

فصل في ذكر السرر

قال صاحب الصحاح: تقول كان ذلك قبل أن تُقْطَع سُرُّك بالضم ولا تقول قبل أن تقطع «سرتك» لأن السُّرَّة لا تقطع وإنما هي اسم للموضع الذي يكون فيه السُّرّ. والسُّرُّ هو الطرف الذي يقطع من سُرّة المولود، وقد قدمنا في باب الأوصاف المجملة أن السُّرة من الأربعة التي يستحب اتساعها من المرأة وذكرنا أن قولهم في وصفها كمدهن العاج إشارة إلى اتساعها وبياضها.

وقال ابن المعتز وجمع بين العكن والسرر:

وتحت زنانير شددن عقودها ... زنانير أعكان معاقدها السرر

قال أبو الحسن الباخرزي في كتاب دمية القصر: لم أزل أستحسن هذا المعنى لابن المعتز ويملكني الإعجاب به حتى سمعت قول التهامي:

وغادرت في العدا طعنا يحف به ... ضرب كما حفت الأعكان بالسرر

ومن كتاب «كنوز المطالب» لابن سعيد: وذكر تميم بن المعز فقال: أحسن ما قيل في نيل مصر:

يوم لنا بالنيل مختصر ... ولكل يوم مسرة قصر
والسفن تصعد كالخيول بنا ... في موجة والماء ينحدر
فكأنما أمواجه عُكَنٌ ... وكأنما داراته سُرَر

وقال ابن سعيد: وقد رويت هذه الأبيات للأمير منصور بن دبيس في نيل العراق. ولبهاء الدين زهير بن محمد المصري:

حبذا نفحة ريح فرجت عني غمة
ضربت ثوبَ فتاةٍ أظهرت تيهًا وحِشْمة
فرأيت البطنَ والسُّرةَ والخَصْرَ وثمة

وذكر الباخرزي في كتاب دمية القصر المذكور: قيل: مما يتعلق بهذا الفصل وإن لم يكن فيه تصريح بذكر السرر قال: أمر بهاء الدولة أبا الحسن بن أحمد البتي أن يكتب له أبياتًا من شعر من نظمه مستحسنة لتكتب على تِكة سراويل فقال:

لِمَ لا أتِيهُ ومَضْجعي بين الروادِف والخُصُور
وإذا نسجت فإنني بين التَّرائب والنُّحور
ولقد نشأت صغيرةً بأكفِّ ربّاتِ الخُدور

قال الباخرزي: وصدق هذا من أحسن ما قيل في المعنى، قال الباخرزي: والتّكة هي قُفْل اللذة[1].

فصل في ذكر الفرج وما ورد في النظر إليه منعًا وإباحة

لم يختلف أحد في استحسان ضخامة الفرج وكبره، وإن اختلف في استحسان السمن أو الضمور، وكبر الثدي أو صغره، ووفور العجيزة أو توسطها لم يختلف في هذا بل جميعهم يتفق على أن الفَرْجَ مهما ازداد ضخامة ووفرًا ازداد حُسْنا، واستحق تفضيلا ومدحًا.

قال النابغة: يذكر المتجردة امرأة النعمان وقد كان النعمان سأله ذلك:

وإذا لمست لمست أخثم جاثما مُتَحَيِّزًا بمكانِه مِلء الْيَدِ
وإذا طَعَنْتَ طعنتَ في مُسْتَهدَفٍ رابي المجسة بالعبير مقرمد
وإذا نزعت نزعت عن مستخصف نزع الحزور بالرِّشاء المحَصد

الأخثم: بالخاء المعجمة والثاء المثلثة العريض المرتفع، الجاثم: بالجيم هو الذي ثبت في موضعه وتمكن، وأصل الجاثم: الرابض اللاصق بالأرض. وقوله متحيزًا بمكانه: يعني أنه قد حاز ما حوله وبرز، والمستهدف المرتفع وكذلك الرابي، والعبير: الزعفران، والمقرمد: المطلي، وقوله: إذا نزعت عن مستخصف أصل النزع جذب الحبل من البئر، وضَرَبَه مثلا بجذب الذكر من الفرج. والمستخصف: الشديد الضيق القليل البلل، والحَزُور: الغلام القوي، والرّشاء المحَصد: الحبل المفتول. يقول: هو ضيق فإذا نزعت عنه نزعت بشدة كما ينزع الغلام القوي بالحبل المحكم الفتل، وخصه بذلك لأنه يأمن عليه فيشتد جذبه له.

وأنشد سيبويه:

وإن لها مَرْكَبًا أَرْزَبًّا كأنه جبهة ذَرَّى حباء

المركب والرّكب أعلى الفرج، والأرزب: الغليظ، ويروى مركنا بالنون وهو كناية عن شكله يريد أنه ذو أركان، وقد شبهوه بكركرة البعير وهو الرّحا التي تحت زوره وما أرادوا بذلك إلا نُتُوّه وعِظَمه وجرمه. قال أبو عيينة الأسدي يخاطب أسماء بنت حارثة:

---

(١) التكة: بالتاء المشددة المكسورة رباط السراويل (الشورت).

جـــزاكِ الـلـه يـا أسـمـاءُ خـيـرًا فـقـد أرضـيـت فَـيـشَـلَـةَ الأمـيـر
بـصـدعٍ قـد يـفـوح الـمـسـك منه عـظـيـمٌ مـثـل كِـرْكِـرَة البعير

وشبهوه أيضًا بسِنَام البعير والنّاقة. قال عبد بني الحسحاس:

مـن كـلِّ بـيـضـاءَ لـهـا كَـعْـثَـبٌ مـثـل سـنـام الـبَـكْـرةِ الـمـائـرة

وبالقَعْب المكفوء وهو القدح المقلوب، وذلك أيضا لضخامته ونُتُوئه. وقد تقدم قول «هيت» في «بادية» بنتَ غيلان وبين رجليها مثل القعب المكفو، وقال الشاعر:

لـهـا كـفـل وافٍ وبـطـن مُـعَـكّـن وأخـشـم مثل الـقَـعْـب غير مُـنَـوَّر

يشير بقوله غير مُنَوَّر بكسر الواو أنه خلق ولم ينبت بعد. ومن أبيات الحماسة:

قامت تمَطّى والقميصُ مُـنْـخَـرِقْ فصادف الخَرْق مكانًا قد خُلِقْ [1]
يـحـسـبـه الـنـاظـر فـي تـمـيـيـزه كـأنـه قـعـب نُـضَـار منفلق [2]

وأنشد أبو علي في الأمالي:

إذا انبطحت جافى عن الأرض بطنها وخـوى بـهـا راب كـهـامـة جُنبل
إذا مـا عَـلَاهـا فـارسٌ مُـتَـبَـذّل فنعم فـراش الـفـارس المتبذل

خوى بها بالخاء المعجمة أي رفعها، والجُنْبُل، بضم الجيم هو القدح العظيم يقول: إن كعثبها لِضَخامته يرفعها إذا انبطحت فيتجافى بطنها عن الأرض. هو كقول الفرزدق أيضا:

ما مَـرْكـبٌ وركـوبُ الخيلِ يعجبني كـمـركِـبٍ بين دُمْـلُـوجٍ وخَـلْـخَـالِ
ألـذّ للفارس المجري إذ انبهرت أنـفـاسُ أمثالها مـن تحت أمثالي

وقد ذموا بصغر الفرج وهجوا به وعدوه في أوصاف النساء المذمومة وقالوا: امرأة قَعِرة بفتح القاف وكسر العين المهملة إذا كانت قليلة لحم الفرج. وقال ابن ميادة يهجو نساء:

وتـبـدي الجميسيات فـي كـل زينة فـروجًـا كـآثـار الـصّـغـار مـن البُهْم

يعني آثار أظلافها في الأرض إذا مشت، قال ابن ميادة: فاتفق أني ضلت لي إبل فخرجت في طلبها فَدُفِعْت إلى حَيّ الجميسين فرأيت عجوزا بفناء بيت فأقبلت عليها أنشدها فعرفتني وأنا لا أدري وكانت جالسة بفناء البيت فاستوقفتني، ثم دخلت إلى البيت وكلمت جارية لها فلم يرعني إلا ريحُ الطّيب قد نفح من البيت، وإذا أنا بامرأة جميلة قد هتكت الستر وقد استقبلتني وعليها إزار أحمر فأطلقته وقالت: انظر يابن الزانية! أهذا كما نَعَتّ؟! قال: فما رأيت قط أضخم منها قُبلًا! لقد نتأ بين فَخِذَيها كأنه القَعْب المكفأ فقلت: لا والله ما هو كما نَعَتّه وما هو إلا كآثار القياسرة الدهم وانصرف ابن ميادة وفي نفسه من المرأة شيء فكان يشبب بها القياسرة، والقياسرة: الإبل العظام، والجُميسيات، بالجيم منسوبات إلى بني جُمَيْس ابن عامر قال ذلك الرشاطي في اقتباس الأنوار.

---

(١) تمطّى: أي تتمطى، والتمطّي التبختر، ومد الساقين في المشي.
(٢) القعْبُ: القدح الضخم، والنُّضار شجر تتخذ من خشبه القصاع. ومُراده ظاهر، والبيت الثاني في الحماسة شطرة واحدة هي الثانية.

● **وصف الفرج لأبي النجم:**

الصولي في كتابه المؤلف في أخبار أبي تمام حبيب بن أوس قال: حدثني محمد بن سعيد عن عمر ابن شبة عن الأصمعي قال: كان الناس يقدمون قول أبي النجم في ذكر الفرج، ويتعجبون من حسن وصفه؛ وذلك قوله:

كأن تحت ثوبها المنْعَطّ ... إذا بدا منها الذي تُغَطّى
شطا رميت فوْقَه بِشَطّ ... ضخم القذال حسن المخط
كأنما قط على مقط ... كهامة الشيخ اليماني الشط

قال الصولي: فلما قال بشار:

عجزاء من سر بني مالك ... لها هَنٌ من بطنها أرفع
زين أعلاه بأشرافه ... وانضم من أسفله المشرع

خفي على ذلك، فحفظه الناس وقدموه. وانتهى كلام الصولي. المنعط: المنشق، المنخرق، وأنشده ابن قتيبة في أدب الكتاب «المنقد» بالدال. وجعله مما أبدل من القوافي. والشط: سنام البعير. كذا قاله ابن قتيبة. وقال الخليل: الشط: شق السَّنام. قال ابن السيد في الاقتضاب: وهو أحسن في التشبيه ولابن صارة من شعراء الذخيرة في وصفه:

أبرزَت إذْ بَدت لنا ... كعثَبًا يملأ اليَدَا
فيه فرج كأنه ... عقد عشرين مفردا

قال بعض اللغويين: الحارقة من النساء بالحاء المهملة والقاف هي الضيقة الفرج. قال: ومنه حديث علي رضي الله عنه «خير النساء الحارقة». وللحارقة أيضًا تفسير آخر غير هذا يأتي بعد. وقد تقدمت أبيات ابن الرومي في وصف ضيق الفرج وحرارته في باب الألوان.

فصل في إباحة النظر إلى الفرج

ونذكر ههنا فصلًا في إباحة النظر إلى الفرج وإبطال ما روى في ذلك من المنع منقولًا من كلام الإمام أبي الحسن بن القطان في كتابه المسمى «بالنظر في أحكام النظر» قال ابن القطان: أما النظر إلى الفرج فموضع خلاف: أجازته المالكية. وقيل لأصبغ: إن قوما يذكرون الكراهية فيه فقال: من كرهه فإنما كرهه بالطب لا بالعلم، ولا بأسَ به وليس بمكروه! وروى عن مالك: لا بأس أن ينظر إلى الفرج في الجماع، زاد في رواية و«يَلْحَسَه بلسانه»، وهذا مُبالغة في الإباحة وليس على ظاهره.

قال القاضي أبو الوليد بن رشد: أكثر العوام يعتقدون أنه لا يجوز للرجل أن ينظر إلى فرج امرأته في حال من الأحوال، قال: وقد سألني عن ذلك بعضُهم واستغرب أن يكون جائزًا. قال ابن القطان: وعلى هذا أيضا مذهب الحنفية في الجواز. وأما الشافعية: فلهم فيه قولان: أحدهما الإباحة. والآخر المنع كما تقدم والنظر إلى داخله عندهم أشد، ذكر ذلك الغزالي، ولم يحك فيه عن الشافعية قولا ثالثا وأعرفه لأبي إسحاق منهم قال: يكره النظر إليه لأنه سخف ودناءة ولا يحرم. قال: وقد روى في منع ذلك وإباحته حديثان «لا يصح حديث منهما» فأما حديث المنع: فروى بقي بن مخلد عن هشام بن خالد عن بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر

أحدكم إلى فرج زوجته ولا فرج أمته فإن ذلك يورث العمى»[1]. ورواه أبو أحمد بن عدي عن بُقية أيضا بالسند المذكور فقال: «إذا جامع أحدكم جاريته أو زوجته فلا ينظر إلى فرجها فإن ذلك يورث العمى»[2]. قال فيه أبو أحمد بن عدي: حديث منكر.

قال ابن القطان: ليس في رواته من ينكر حديثه غير بقية، وقد قال المحدثون أحاديث بقية غير نقية فكن منها على تقية. وأما حديث الإباحة فروى عبدالرحمن بن زياد عن سعيد بن مسعود الكندي أن عثمان بن مظعون أتى النبي ﷺ: فقال: يا رسول الله إني لا أحب أن أنظر إلى عورة امرأتي، ولا أن ترى ذلك مني، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله جعلها لك لباسا وجعلك لها لباسا وإني أرى ذلك منهن ويرين مني»[3] قال: فمن بعدك يا رسول الله أولى. قال ابن القطان: في سند هذا الحديث ضعف ومجاهيل وعبد الرحمن بن زياد كاف في ضعفه جدا.

فصل في ذكر الأرداف

الرِّدْفُ والكَفَل والعَجُز والعَجيزَة والمأكمة واحد، ويقال امرأة عجزاء إذا كانت عظيمة العَجيزَة، وذلك من صفات المرأة المستحَسَنة، وكره بعضهم إفراط كبرها، وضد العجزاء الزَّلّاء والرَّسْحاء وهما صفتا ذم عند الجميع. قالوا: كانت الثريا صاحبة عمر بن أبي ربيعة تصب الماء على رأسها فلا يصل إلى فخذيها شيء منه لوُفور عَجيزَتها. وذكروا أن عائشة بنت طلحة كانت تستلقي على قفاها ثم تدحرج الأتْرُجَّة من تحت ظهرها فتخرج من الناحية الأخرى لوفور عجيزتها أيضا. وحلف مطيع ابن أياس أن جاريته أيضا كذلك.

قال الحارث بن خالد المخزومي في عائشة بنت طلحة:

قرشية عبق العبير بها ... عبق الدهان بجانب الحُقّ
وتنوء تثقلها عَجيزَتُها ... نهض الضعيف ينوء بالوَسق

قال مُسْلم بن قتيبة: رأيت عائشة بنت طلحة بمنى أو قال بمسجد الخيف وكانت جالسة فنهضت لتقوم ومعها امرأتان تنهضانها فانخذلت عجيزتها والتوت لعظمها قالت: إني لمُعَنّاة بكما، قال مسلم: فذكرت قول الحارث ابن خالد المخزومي: وتنوء تثقلها عجيزَتها.. البيتان المتقدمان قالت سُلافة مولاة فلانة: زرت مع مولاتي عائشة بنت طلحة وأنا يومئذ وَصيفة فرأيت عجيزتها من خلفها وهي جالسة كأنها غيرها فوضعت يدي عليه لأعلم ما هي! فلما وجَدَتْ مَسَّ يدي قالت: من هي هذه التي تمسني؟ قلت: أنا رأيت هذا الذي خلفك فخلت أنها امرأة جالسة معك، فضحكت وقالت: ما أكثر من يعجَبُ مما تعجبين منه!! قالت سلافة: ولم أر قطّ أحسنَ جسمًا من عائشة بنت طلحة.

أبو الفرج في الأغاني قال: إن رملة بنت عبد الله بن خلف وكانت ضَرَّتَها عند عمر ابن عبيد الله قالت ذات يوم لمولاة عائشة: أريني عائشة إذا كانت متجردة ولك عندي ألفا درهم، فأخبرت عائشة بذلك وقالت لها: إن فلانة قد سألتني أن أريها إياك متجردة. وتعطيني ألفي درهم فما ترين في ذلك؟

---

(١) أورده الشوكاني في الفوائد المجموعة كتاب النكاح حديث رقم ٣٠ وقال فيه ابن حبان: هذا موضع وكذلك قال ابن أبي حاتم وعده ابن الجوزي من الموضوعات.

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل ٢/ ٥٠٧ وقال: منكر، وأورده السيوطي في جمع الجوامع ص ٩٤١ حيث عزاه لابن عساكر.

(٣) أورده السيوطي في جمع الجوامع ص ١٦٥ وعزاه لابن سعد في الطبقات.

فقالت عائشة: أعلميها أني أتجرد ولا تعلميها أني عالمة بذلك، ثم قامت عائشة بنت طلحة كأنها تغتسل فأقبلت ورملة ورأتها مقبلة ومدبرة، فلما فرغت من ذلك أعطت مولاتها، وقالت لها: وددت أني ضاعفت لك العدد ولم أكن رأيتها من قبل!!

قال المسعودي في مروج الذهب: كانت هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان وافرة العجيزة قال: وجلس يوما أبو الجهم بن حذيفة العدوي على المائدة مع معاوية بن أبي سفيان فقال له: يا أبا الجهم، مَنْ أسَن، أنا أم أنت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، والله لكأني أنظر إلى أمك وإلى عظم عجيزتها وقد جئت أخطبها قبل أبيك وقبل زوجها الفاكه بن المغيرة، ثم تزوجها أبوك، فأتت بك وبإخوتك. فقال معاوية: أما إنها كانت تستكرم الأزواج، وتقل الخداج، ثم قال له معاوية: يا أبا الجهم إياك والسلطان فإنه يغضب غضب الصّبيّ ويَثِبُ وُثُوبَ الأسد وهذه مائة ألف فاستعن بها والحق بأهلك وإياك ومثل هذا! فقبله أبو الجهم بين عَيْنَيْه وقال: أبيت إلا الحلم والكرم ثم قال:

نقبله لنخبر حالتيه ... فنخبر منهما كرما ولينا
نميل على جوانبه كأنا ... إذا ملنا نميل على أبينا

وقال السُّلَيْك في معنى ما تقدم من الشعر:

من الخَفِراتِ لم تُفْضِح أباها ... ولم ترفع لإخوتها شنارا
كأن مجامع الأرداف منها ... نقى درجت عليه الريح دارا

وقال نُصَيْب:

ولولا أن يقال صَبا نُصَيْب ... لقلت بنفسي النشأ الصغار
بنفسي كل مضهوم حشاها ... إذا ظلمت فليس لها انتصار
إذا ما الدل ضاعفن الحشايا ... كفاها أن يلاث بها الإزار

وقال الحاكم الخُضْري: بضم الخاء وسكون الضاد المعجمتين:

تساهمَ ثدياها ففي الدرع دارة ... وفي المِرْط لَفّاوَان رِدْفُهما عَبْل
فوالله ما أدري أزيدت ملاحة ... وحسنا على النّسوان أم ليس لي عقل

أخذ البيت الأول من قول ابن أبي ربيعة:

خود وثير نصفها ... ونصيفها مهفهفا

وهذا معنى قول أبي تمام:

تشكي الأين من نصف سريع ... إذا قامت ومن نصف بطيء

وفي البيت الثاني أخذ مالك بن أسماء قوله:

أمغطى مني على بصري في الحب ... أم أنت أكمل الناس حسنًا

كشاجم في كتاب آداب النديم له قال: كان المأمون كثيرًا ما يجالس عمرو بن أبي عمرو

الشيباني، قال عمرو: بينما أنا جالس بين يدي المأمون إذ دخل الحاجب فألقى إليه سرًّا أصغى إليه بأذنه، فذهبت لأنهض فقال: أجلس فلولا أن للحجبة مؤامرات لا تصلح إلا باستطلاع الرأي فيها لكنت عندنا ممن لا نحتشمه، ولا نستر عنه أمرا فقلت: الحمد لله الذي وصل لي هذا الفضل من أمير المؤمنين، ثم التفت إلى الحاجب فما لبث أن دخل بوصائف حسان الصُّور فاعترضهن ثم قال: أيتهن أفضل عندك؟ فقلت: إن كان لما جَمَعت من الأوصاف المستحسنة فهذه، وأشرت إلى واحدة منهن مُدْمَجَة الخَصْر راجحة الكفل، ثم قلت: لأمير المؤمنين رأيُه و اختيارُه وموضع شهوته، فقال: قد وافقت شهوتي ما اخترته برأيك وأمر بأخذها، وخرج النخاسون وسائر الجواري ثم التفت إليّ وقال: ما قالت الشعراء المجودون في الأكفال؟ فقلت: الأبيات التي تتهاداها الرواة، قال: كأنك تريد قول القائل :

وبيض مُنيراتُ الوجوهِ كأنما ... تأزرن دون الريط من رمل عالج
يذرن مروط الخز قبلا كأنها ... قصار وإن طالت بأيدي النواسج

فقلت: نعم يا أمير المؤمنين هو الذي أردت فقال: لعمري لقد أحسن إلا أن أخا بَني أسد أرق معنى وأحسن مغزى في قوله :

يمشين مشي قطا البطاح تأوُّدًا ... قُبّ البطون رواجحَ الأكفال
يمشين بين حِجَالهن كما مشت ... بُزْن الجِمال دَلجن بالأحْمال
وإذا أردن زيادة فكأنما ... يخلعن أرجلهن من أوحال

أفهمت ما أراد في البيت الثاني؟ قلت: قد أعطى الله أمير المؤمنين من المعرفة ما لا يُنَازَع فيها! قال: إن الأحمال إذا أدلج بها حاملوها على الإبل استرخت أكفالها فإنما شبهها بها وهي على تلك الصفة. قال كُشاجم: وليس ما أنشده بأحسن من قول بعض الأعراب:

أبت الروادف والثُّدِّي لقمصها ... مَسَّ البطونِ وأن تمس ظهورا
وإذا الرياح مع العشى تناوحت ... نبّهن حاسدة وهجن غيورا

قال ابن الجوزي في كتابه المؤلف في أخبار عمر رضي الله عنه بسنده: عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: العجيزة أحد الوجهين.

فصل في ذكر السُّوق

يقال : ساقٌ خَدَلّجَة : أي ممتلئة لحما، وكذلك ساق خَدلاء وخَدْلة، وتوصف بها المرأة كناية عن امتلاء ساقيها وذراعيها، ومثلها الممكورة، وضد ذلك في صفة السوق الحَمْشَة بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وبالشين المعجمة وهي الساق الرقيقة وإذا وصفت المرأة بها أضفت فقلت: المرأة حمشة الساقين. وفي حديث سماك بن حرب عن جابر رضي الله عنه قال : «كان في ساقي رسول الله ﷺ حموشة» أي رِقّة. أخرجه الترمذي وصححه [1].

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب المناقب باب في صفة النبي ﷺ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه الصحيح، والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ٢٤٨)، وذكره ابن الأثير في غريبه فقال: ومنه حديث صفته عليه السلام: (في ساقيه حُمُوشة) وأحمش الساقين: دقيقهما

ومن الشعر في هذا الفصل قول امرئ القيس :

وكشحٍ لطيفٍ كالجديلِ مُخَصّر وساقٍ كأنبوب السّقِيّ المذَلّل[1]

أنبوب السقي: كناية عن البَرْدي النابت بين أثناء النخل المسقي شبهه بساق المرأة لبياضه وامتلائه ونعمته، والمذلل: الذي جمعت أطرافه وعطفت وذلك دليل على كرامته على أربابه وتعاهدِهم له بالسقي. وقال جميل :

وعجيزةٍ ريا وساقٍ خَدلّةٍ بيضاء تُسْكتُ مَنْطق الخَلْخَال

أخذه من قول النابغة :

على أن حَجْليها وإن قُلْتُ أُوسِعَا صَمُوتَانِ مِن ملء وقِلّة مَنْطق[2]

والنابغة هو أول من استعار خرس الخَلخال وصَمْتها فتبعه الناس في ذلك. وقال المؤمل:

عجبت لمن يُطَيّبُني بمسكٍ وبي يَتَطَيّب المِسك الفَتيت
خلاخيلُ النساءِ لها وَجِيب ووَسواسٌ وخَلْخالي صَمُوت

وقال ابن أبي زرعة:

استكتمت خَلْخالها ومشت تحت الظلام به فما نطقا
حتى إذا ريحُ الصَّبا نَسَمَت ملأ العبيرُ بنشرها الطرقا[3]

وقال خالد بن يزيد في زوجته رملة بنت الزبير :

تجول خلاخيلُ النساء ولا أرى لرملة خَلخالًا يجول ولا قُلْبا
فلا تُكثِروا فيها المَلامَ فإنني تَخَيرتُها منهم زُبَيْرِيّة قلبا

وقال ابن الرومي :

وإذا لبسْنَ خَلاخِلا أكذبن أسماء الخلاخل
يأبى تَخَلْخُلَهُن سُوقٌ من مرجَحنات خوادل

خوادل : بالدال المهملة وقد تقدم شرح ذلك في أول الفصل. وقال محمد بن يحيى القرشي: «عرف بابن عين الغولة» ممن تقدم عصرنا قليلا أنشدنيه والدي رحمه الله تعالى:

ما أنس لا أنس إذ زارت على فرق والنجم في الجانب الغربي مهزوم
واستكتمت حليها خوفا فقال لها خلخالها إن ما تخشين مكتوم

---

(١) قال الوزير عاصم بن أيوب في شرح ديوان امرىء القيس: الجديل: زمام يتخذ من سيور، وهو مشتق من الجدل، والجدل شدة الخلق. والمخصر: المعتدل، والأنبوب: البردي وساق المرأة يشبهه لبياضه ونعمته، والسّقي: المسقي من النخل، والمذلل فيه أقوال: أحدها - أنه الذي سقى وذلل بالماء حتى طاوع كل من مدّ إليه يده، وقيل: هو الذي تعنوه بالزمام في اللين والتثني واللطافة. وشبه ساقها ببياض بردي قد نبت تحت نخل والنخل تظله من الشمس.

(٢) الحَجْل بفتح الحاء وكسرها: الخَلْخَال.

(٣) خرجت متخفية، ولم يحاول الخلخال أن يدل عليها لامتلاء ساقيها لكن ريح الصَّبا الرقيقة التي تحمل أنفاس المحبين كشفت أمرها حين نشرت رائحتها هنا وهناك.

ونم حلى التراقي فانثني قلقا وشاحها رحمة والحسن مرحوم

وأما قول الشاعر وهو كعب بن جعيل :

وضجيع قد تعللت به طيب أردانه غير تفل
صعدة قد سبقت في حائز أينما الريح تميلها تمل
وإذا قامت إلى جاراتها لاحت الساق بخلخال زجل

فإنهن كن ربما جعلن في الخلاخيل جلاجل، وذكر ذلك الآمدي في المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء.

الجوزي في الأذكياء قال : لما عرضت الخيزران على المهدي قال لها: يا جارية ، والله إنك لمنيّة المتمني، ولكنك حَمْشة الساقين، فقالت: يا أمير المؤمنين، إنك أحوجُ ما تكون إليهما لا تراهما!، فاشتراها وحظيت عنده وأولدها ولديه موسى الهادي وهارون الرشيد، وقد ذكرنا آنفا معنى الحموشة. وقد تقدم في ذكر الزينة: ذكر بلقيس وأنها كانت شَعْراءَ الساقين، وأن الجن أرادوا أن يرى ذلك سليمان عليه السلام فتَنبو عينه عنها، فبنوا له صرْحا مُمرَّدًا من زجاج، فلما رأته حسبته لجّةً وكشفت عن ساقيها لكي تخوضه فرآها سليمان عليه السلام، فأعجبته، ولكنه كره ما رآه في ساقيها من الشعر فكلف بعض الجن، بما يزيل الشعر، فاخترعوا له النُّورَة.

قال الثعالبي في فقه اللغة : ويسمى الشعر الذي في ساق المرأة الغَفْر بسكون الفاء وفتح الغين. وعلى ذكر بلقيس وصرحها ذكر ابن الأبار في «تحفة القادم» أن أبا بكر بن سكن الشلبي جلس يومًا على نهر شلب بالجسر فتعرضت بعض الجواري للجواز فلما أبصرته رجعت وسترت ما ظهر له من محاسنها فقال ابن سكن :

وعقيلة لاحت بشاطيء نهرها كالشمس طالعة لدى آفاقها
فكأنها بلقيس وافت صرحَها لو أنّها كشفت لنا عن ساقها
حورية قَمَرية بَدْرية ليس الجفا والصد من أخلاقها

انتهى ما ذكره ابن الأبار، ويمكن تغيير هذين البيتين بأن يقال :

وعقيلة لاحت بشاطئ نهرها كالشمس تتلو في المشارق صُبْحَها
لو أنها كشفت لنا عن ساقها لحسبتها بلقيس وافت صرحها

فصل في ذكر الأقدام

الأقدام : جمع قَدَم، والقدم في اللغة اسم للرِّجل بأسْرها من حيث اتصلت بالساق.

قال ثابت في كتاب خلق الإنسان: أحسن الأقدام السَّبْطة.. التي لانَ عصَبُها وطالت سُلامياتها وأصابعها[1]، وضدها الكزماء بالزاي. ويقال للقدم التي لا أخمص لها رحاء بالراء والحاء المهملتين.

(١) السُّلامي: عظام الأصابع في اليد والقدم. وتسمى: القصب جمعها سُلاميات. ويطلق على عروق ظاهر الكتف والقدم أيضًا السُّلاميّات.

وكان رسول الله ﷺ لا أخْمَصَ لقدميه، وقد قدمنا نحن في بعض الفصول تشبيه القدم باللسان وذلك كناية عن سُبوطتها وصغرها [1]. وقال ابن الرومي :

تغشى غواشي فروعها قدما ... بيضاء للناظرين مقتدرة
مثل الثُّريَّا إذا بدت سحرا ... بعد غمام وحاسر حسرة

مقتدرة : بفتح الدال أي لطيفة، ورجل مقتدَر الطول أي قصير. وعكس الصنوبري تشبيه القدم بالثُّريا فقال: وقد استوفى في بيته الثالث الذي أنشدنا جميع الأبيات بسببه، تشبيهه الثريا في جميع أحوالها:

قم فاسقني والظلام منهزم ... والصبح بادٍ كأنه علم
وميلت رأسها الثريا لأسرار ... ها إلى الغروب وهي تحتشم
في الشرق كأس وفي مغاربها ... قُرْط وفي أوسط السما قَدَمُ

قال الحُصْري في كتاب نور الطرف وقد ذكر هذه الأبيات هذا من أجمع ما قيل في الثريا وأحسنه.

• تبادل الاتهامات !!

قال أبو الفرج في الأغاني : كانت عائشة بنت طلحة من أجمل النساء وأكملهم محاسن وكان فيها عيبان اثنان: كِبَر في أذنيها وعظم مُفرط في رجليها. وكانت ضرّتُها رملة بنت عبد الله بن خلف كبيرة الأنف وكانت عائشة تَعيبها بذلك؛ فبلغ ذلك رملة فقالت: أتراها نسيت أذنيها ورجليها؟!

• عتاب !

قال : وعاتَبَتْها عائشة يوما بمحضر زوجها عمر بن عبيد الله فقال: قولي خيرا واحذري أن يقال فيك ما فيك! يشير إلى رجليها وأذنيها.

ابن أبي شيبة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث أم سُلَيْم تنظر إلى امرأة فقال: «شمي عوارضَها وانظري إلى عرقوبَيْها» [2]. قال الأصمعي: إذا اسود عرقوب المرأة اسود سائرها، وهذا معنى قول النابغة :

ليست من السُّودِ أعقابًا إذا انصرفت ... ولا تبيع بِجَنْبي نخله البَرما

وفي حديث مسلم عن شعبة عن سماك قال: «كان رسول الله ﷺ منهوش العقبين» [3] قال شعبة قلت للسماك: ما منهوش العقبين؟ قال: قليل لحمهما يروي ذلك بالشين المعجمة وبالسين المهملة، وذلك مستحب من وصف الرجال. وضده «الدرم» وهو امتلاء العقبين باللحم وهو مستحب من وصف المرأة. وينشد للعجاج:

قامت تريك خشية أن تُصْرَما ... ساقًا بخنداة وكعبا أدْرَما
وكَفَلًا مثل النَّقَا [4] أو أعظما

---

(١) وقال في أساس البلاغة: وامرأة مُلْتَنة القدمين لطيفتهما. والأخمص: بفتح الهمزة والميم باطن القدم الذي يتجافى عن الأرض.
(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٢٣١، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٢/ ١٦٦، والبيهقي ٧/ ٨٧، وأشار ابن الأثير في النهاية إلى هذا الحديث في مادة (عرض) وقال وفيه: (إنه بعث أم سليم لتنظر امرأة فقال: شمّي عوارضها) العوارض: الأسنان التي في عُرض الفم. وهي ما بين الثنايا والأضراس. واحدها: عارض. أمرها بذلك لتعرف به نكهتها.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) الكثيب من الرمل.

ساق بخنداة: أي تامة ممتلئة، وكذلك خبنداة بتقديم الخاء، هذا الرجز ينسبه الناس إلى العجاج.

وقد ذكر الرشاطي في كتابه المسمى باقتباس الأنوار: في حديث أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ وكان يحدو هذا الرجز. ومما يتعلق بهذا الفصل قول أبي بكر بن مجير وهو مما يكتب على قبقاب:

لا يدعى العاشقون الحبّ منزلةً إلا إذا احتملوا للحسن كل أذى
لو لم أكن أنفذ العشاق فيه لما أوطأت خدي أقدام الحسان كذا

أنفذ العشاق إن شئت قلتها بالفاء والذال، وإن شئت قلتها بالقاف والدال المهملة.

الباب الحادي والعشرون

جامع لذكر الجماع وبيان ما فيه من المنافع والمضار وما قيل في الإقلال منه والإكثار، وفي مذاهب العرب في وطء الليل ووطء النهار، وذكر أسماء من أسماء النكاح منزلة على حسب ما نزلتها العرب في لغتها

• ما ذكره الأطباء من منافعه!

الجماع: هو أعظم اللذات الجسْمَانية، وأقوى الشهوات الحيوانية وذكر الأطباء من منافعه: أنه يُنشط النَّفْسَ ويسرها، ويزيد في النشاط ويُزيل الغضب، ويذهب بالفكر الرديء، والظنون السيئة، حتى إنه ربما أبرأ من الماليخوليا، وأنه يسكن عشق العُشّاق إذا أكثروا منه، وإن كان مع غير من يَهْوَوْنه، ويخفف عن البدن الممتلئ وهو عظيم النفع لأصحاب الأبدان القوية العبلة [1] الكثيرة الدم ومضر لمن كان بضد ذلك.

• تحذير!

قال الرازي في كتابه المعروف بالمنصوري: ولْيَحذَرْه أصحاب الأبدان اليابسة حذر العدو فإنه يؤدي إلى الدّق إذا أكثروا منه [2]، وكذلك النُّقَّه، والضّعفاء والنّحفاء، ومَنْ نَواحي خَواصره ومَرّاقه [3] رقيقة مهزولة، ومن عَصَبُه ضعيف فإن الجماع الكثير يضرّ بهؤلاء ضررا شديدا.

• رأي الطب منذ القدم:

قال جالينوس في بعض كتبه: المنيّ أحد الفضلات التي لابد من إخراجها فإنه إن أقام في البدن حدثت منه مَضَارّ وأمراض رديئة، فلذلك يستحب أن يُنْقَصَ منه باعتدال. قال: وأحوج الناس إلى إخراجه من يعتريه عند ترك الجماع ثقل في الرأس، وظُلْمة في العينين، وكآبة وبلادة وإفراط في النوم، فالاحتلام والجماع يزيل عن هؤلاء ذلك كله. قال: وأشد الناس استغناء عن الجماع من تُصيبه بعقبه الرِّعدة والكسل وسقوط شهوة الطعام.

---

(١) عَبِل عَبلا: غلظ وضخم وأبيضّ فهو عَبِل. (٢) الدّق: حُمّى الدّق: حمى معاودة يوميًا تصحب غالبًا السّل الحاد [مجمع اللغة].

(٣) النُّقّه: جمع نَاقِه: الذي برئ من مرضه وما يزال به ضعف، وهو نقه وهو نقهة وناقهة جمعها نُقّه. ومَراقّ البطن مارق ولان في أسافله ونحوها جمع مَرَق.

• الوقت المفضل!

قال الرازي : ولا ينبغي أن يكون الجماع على الجوع، ولا على الامتلاء المفْرِط، ولا في الحَمّام، ولا بأثر التعب، ولا بعقب القيء ولا الإسهال أو الفَصْد[١].

• كيف يتم التهيؤ له؟!

قال : وينبغي لمن قهرتْه شهوَتُه في الإكثار من النكاح أن يقل من التعب، وإخراج الدم، وطول الجلوس في الحَمّام، وأن يتغذى بالأغذية التي تزيد في المني، وأن يكثر من استعمال الأدوية المخصوصة بهذا الشأن .

• وماذا بعد قضاء حاجته من المرأة؟

قال أبو الفرج في كتاب النساء : وينبغي للرجل إذا قضى حاجته من المرأة أن يبادر إلى الغسل بالماء الحارّ دون الماء البارد في الشتاء والصيف وليكن ذلك في حمام إن أمكن، أو في موضع كنين لا يصل إليه فيه الهواء؛ فإن الجسم حينئذ تكون مسامُّهُ مفتوحةً، فأقل هواء يؤذيه، فأما الغسل بالماء الحار فيرطب الأعضاء التي خرجت منها رطوبتها، وتحللت بها حرارتها في المني ويسخنها، والاغتسال بالماء البارد رديء في الشتاء وفي الصيف، لأنه يزيد في برد الأعضاء ويُيْبِسها.

• وماذا بعد الغسل؟!

قال : وينبغي إذا فرغا من الغُسل أن يتناولا الطِّيب والبَخُور ويكثرا من استعمال المسك، فإنه أطيبُ الطيب، ولا يقربا شيئًا من الكافور ولا يَمَسّاه، وليكن جلوسُهما على الفُرَش الوثير الرّطْبة، وإن كانت حمراء أو خضراء فهما أحسن من غيرهما من الألوان، انتهى ما ذكره أبو الفرج- رحمه الله .

• نصيحة ذهبية!

قال الحارث بن كلدة طبيب العرب : من أراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء، وليؤخر العشاء، وليقلل من غشيان النساء، ولا يجامع على الامتلاء. وقال الشاعر :

ثلاث هن من سبب الحِمام ... وداعية السقام إلى الأنام
مدام يستدام وطول وطء ... وإدخال الطعام على الطعام

وقال بعض الحكماء: ينبغي للعاقل أن لا يخلي نفسه من ثلاثة من غير إفراط: الأكل، والمشي، والجماع. فأما الأكل: فهو قوام البدن؛ فتركه إخلال والإكثار منه اعتلال. وأما المشي: فمن ترك تعهده فيوشك أن يطلبَه فلا يَجِدَه[٢] !. وأما الجماع: فهو كالبئر إن نُزِحَت جمت وإن تركت أذمت[٣] . يقال: أذمت البئر إذا انقطع ماؤها، وفي معنى قوله إن نزحت جمتَ وإن تركت أذمت قولهم: الذكر كالضّرع إن حُلِب دَرّ وإن تُرِك ضَرّ.

• من أقوال المجربين!

قال تأبط شرًّا[٤] : مخطئ من أحب الدنيا إلا لثلاث: أكل اللحم، وركوب الليحم وحَكّ اللحم في

---

(١) الفصد: إخراج مقدار من دم وريد المريض بقصد العلاج. (٢) حيث تصاب الأعضاء بالتيبس، والجسم بالترهل.

(٣) قال في المعجم الوسيط: أذمت البئر: قل ماؤها.

(٤) قال في شرح الحماسة: اسمه ثابت وكنيته أبو زهير وكان أحد العدائين، وإنما سمي بهذا اللقب لأنه تأبط سكينًا ذات يوم وخرج فسئلت عنه أمه فقالت: لا أدري إنه تأبط شرًا وخرج، وقيل غير ذلك.

اللحم. قال يزيد بن المهلب: وَدِدْتُ لو كانت «طَلْيةُ نورَة» بألف ألف دينار، ولو كان فرج المرأة في وَجْهِ أسد حتى لا يَطلى إلا كريم، ولا يَصل إلى الفرج إلا شُجَاع. قالوا: أربع لا يشبعن من أربع: أنثى من ذكر، وأرض من مطر، وأذن من خبر، وعين من نظر! قال بعض الحكماء: كل شهوة يُعطيها الرجل نفسَه فلابد أن يكتسب قَلْبُه بها قسوةً إلا الجماع فإنه يُرقّق القَلب ويُصَفّيه، ولأجل هذا كان الأنبياء والحكماء يَفْعَلونَه ويأمرون به.

• رأي القاضي عياض!

قال عياض في الشفاء: لم يَزَلِ التمدّح بكثرةِ الجماع والفخر بوفوره عادة معروفة وسِيرة ماضية؛ فإنه دليل على الكمال وصحة الذكورية، وهو في الشرع سنة مأثورة، ولم يره العلماء مما يقدَحُ في الزّهد. قال سهل بن عبد الله: كيف يُزْهَد فيهنّ وقد حُبّبْن إلى سَيِّد البَشر؟! وذكر حديث عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلت على الناس بأربع: السّخاء والشّجاعة، وكثرة الجِماع، وقوة البَطْش»[1] انتهى كلام عياض رحمه الله.

البخاري عن قتادة: عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة، قال قتادة: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟! قال: كنا نتحدث أنه أُعْطِي قُوّةَ ثلاثين»[2].

• إشكال!

قوله: «يطوف على نسائه وهن إحدى عشرة» مشكل؛ فإنه لم يجتمع عند رسول الله ﷺ في وقت واحد من النساء أكثر من تسع، وربما أنس عَدّ سُرِّيَّتَيْه: ريحانة، ومارية في جملة نِسائه فكملن بذلك إحدى عشرة. كما قال مالك: فيمن ظاهر من أَمته أنه يلزمه الظهار لدخولها في جملة النساء من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم ﴾ [المجادلة: ٢]. وقد استوفينا الكلام على هذا في شرح الشفاء فينظر هنالك، وإنما نذكر هنا نبذًا وإشارات.

• هذا أطيب وأطهر!

سلمى مولاة النبي ﷺ عن زوجها أبي رافع قال: طاف النبي ﷺ ليلةً على نسائه التّسع، وتطهر من كل واحدةٍ منهن قبل أن يأتي الأخرى، وقال: «هذا أطهر وأطيب»[3]. فهذا الحديث: بيِّنٌ ليس فيه إشكال لذكره أنهن تسع. ونبه ﷺ بقوله: «هذا أطهر وأطيب» على أن الاغتسال من كل واحدة غير واجب وإنما هو مستحب.

يبين ذلك: الحديث الآخر الذي يرويه النسائي عن حُميد عن أنس أنه ﷺ طاف ليلة على نسائه بغسل واحد. ولا خلاف في هذا وإنما الخلاف: هل يلزم الواطئ الوضوء عند إرادته المعاودة أم لا؟! فقالت الجماعة لا وضوء عليه. وروى عن عمر وابنه رضي الله عنهما أنهما ألزماه الوضوء، وُضُوءَ الصلاة، وبذلك قال عطاء.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط وإسناده رجال موثقون، انظر مجمع الزوائد ٨/ ٢٦٩، ٩/ ١٣، والخطيب في تاريخ بغداد ٨/ ٧٠، وابن عساكر في تاريخه ٤/ ٣٤٨، والديلمي في الفردوس برقم ٤٣٣٥.

(٢) رواه البخاري في كتاب الغسل باب من دار على نسائه في غسل واحد انظر فتح الباري حديث رقم ٢٦٨.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب باب الوضوء لمن أراد أن يعود، وابن ماجة في سننه كتاب الطهارة باب فيمن يغتسل عند كل واحدة غسلًا.

وقال أحمد بن حنبل : أستحب له أن يتوضأ فإن لم يفعل فلا شيء عليه. وسبب الخلاف بينهم قوله ﷺ : «إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعودَ فلْيتوضأ»[١]. فمن حمل ذلك على الوضوء الشرعي أوجب على الواطئ، وضوء الصلاة ومن حمل ذلك على الوضوء اللغوي، أوجب عليه غسل الفرج، واستحب له وضوء الصلاة مراعاة للخلاف، وسواء كان هذا في امرأة واحدة أو في امرأتين فأكثر.

عياض في الشفاء عن طاوس قال : أعطى رسول الله ﷺ قوة أربعين رجلا في الجماع، قال: ومثله عن صفوان بن سليم. وفي حديث آخر : «أتاني جبريل بقطعة فأكلتها فأعطيت قوة أربعين رجلا في الجماع»[٢]. البخاري عن ابن عباس قال : «أفضل هذه الأمة أكثرها نساء»[٣]. قال عياض في «الشّفاء» يعني بذلك النبي ﷺ.

قال الخطابي في بعض تآليفه : ما معناه أن الله تعالى اختار لنبيه ﷺ من الأمور أفضلها، وجمع له الفضائل التي يزداد بها في نفوس العرب جلالة وضخامة، وكانت العرب تتفاخر بقوة النكاح، وكان النبي ﷺ من قوة البنية واعتدال المزاج على ما شَهِدَت به الأخبار ومن هو بهذه الصفة من كمال الخلقة كانت دواعي هذا الباب أغلب عليه فأبيح له الزيادة على أربع، ومنع غيره من أمته من ذلك خوفا أن لا يعدلوا فيهن ولا يقوموا بحقوقهن وذلك مأمون منه ﷺ قال : ولما لم يكن للإماء من الحق في التسوية والعَدل ما للحرائر أبيح للأمة جميعا أن يملكوا منهن ما شاءوا، وهذا كلام عال نفيس وقد قدمنا نحن الكلام على قوله: «أفضل هذه الأمة أكثرها نساء».

عياض في الشفاء عن ابن عباس قال : كان في ظهر سليمان ماء مائة رجل وكانت له ثلثمائة امرأة وثلثمائة سُرِّيّة. قال: وحكى النقاش سبعمائة امرأة وثلثمائة سُرّية. قال: وكان لداود عليه السلام لزهده وأكله من عمل يديه تسع وتسعون امرأة وتمت بزواج أوريا مائة امرأة، قال: وقد نبه على ذلك الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾[٤] [ص:٢٣].

مسلم : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان بن داود عليه السلام: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن يأتين بغلام يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه أو الملك: قل: «إن شاء الله» فنسي، ولم يقل، فلم تأت واحدة منهن إلا واحدة جاءت بشِقّ غلام، فقال رسول الله ﷺ: لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان له دركا لحاجته»[٥]. وفي رواية: لأطوفن على ستين امرأة.... وفي رواية: لأطوفن على تسعين، وفي غير رواية مسلم على تسع وتسعين، وفي بعض روايات البخاري على مائة امرأة[٦].

• أهناك تعارض؟!

وهذه الروايات ليست بمتعارضة فإنه ليس في إثبات القليل نفي الكثير.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٢٤٩، وابن ماجة في كتاب الطهارة باب في الجنب إذا أراد العود توضأ حديث رقم ٥٨٧.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات ١/ ٣٧٤ وذكره السيوطي في جمع الجوامع ١/ ١٠.

(٣) رواه البخاري في كتاب النكاح باب كثرة النساء انظر فتح الباري حديث رقم ٥٠٦٩.

(٤) ص: ٢٣. وقصة زواج أوريا من الإسرائيليات فلا تكون تفسيرًا للآية.

(٥) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب الاستثناء.

(٦) رواه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائه، وأحمد في مسنده ٢/ ٢٢٩.

قال جعفر بن محمد : ثلاثة من أخلاق الأنبياء: التنظف، والتطيب، والنساء. ثم ذكر سليمان عليه السلام، فقال: كانت له ألف امرأة في قصر واحد سبعمائة سرية وثلثمائة زوجة، فقيل له: يابن رسول الله كيف كان يقدر على جميعهن؟ قال: جعل الله فيه قوة بضع وأربعين رجلا، وجعل ذلك لنبينا محمدﷺ. قيل له: فعليّ، فأمسك كأنه استحى من ذكره لأبويه ولمكان فاطمة عليها السلام.

• تجارب وخبرات!

قال الجاحظ في البيان: عن عبد الله بن الحسين قال: قال علي رضي الله عنه: خُصصْنا بفصاحة، وسماحة، وصبَاحة، وحُظْوة عند النساء. وقال في وصيته لولده: يابني لا تُطِل الخلوة مع النساء فيَمْلَلْنَك، وتَمَلّهُن، واستبق من نفسك بُقْيةً، فإن إمساكك عنهن وهن يرين أنك ذو انتشار، خير من أن يقعن منك على انكسار .

وأنشد بعضهم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه :

أفلح من كان له قَوْصَرة يأكل منها كل يوم مرة

القوصرة: إناء يجعل فيه التمر، قال ابن السيد في الاقتضاب: وهو ههنا كناية عن المرأة، ومثله :

أفلح من كانت له مزخة يزخها ثم ينام الفخة

الزّخ: النكاح. يقال: زخ المرأة يزخها. والفخّةُ: نومة فيها فخيخ. أي صوت. قال بعضهم: حكم عليّ رضي الله تعالى عنه في هذا الرجز وهو المرة الواحدة في اليوم والليلة هو القدر المتوسط في هذا الباب، وهو أعدل الأشياء وأقله ما حكم به عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو المرة الواحدة في كل طهر، ولا حدّ لأكثره، وإنما هو بحسب المِزاج والقدرة!

• مرة في الشهر!

عبد الملك بن حبيب عن عمر رضي الله عنه : حَسْبُ المرأة المسلمة أن يأتيها زوجُها في كل طُهْر مرة، وذكر في ذلك حديثا رفعه إلى النبيﷺ قال : «يكفي المرأَة المؤمنةَ الوَقْعَةُ في الشهر»[1] .

• عتاب وقضاء!!

قال محمد بن يحيى بن حسان : عاتَبَتْ جَدّتي جَدّي في قلة الباءة[2] ! فقال لها: بيني وبينك قضاء عمر بن الخطاب. قالت: وما قضاء عمر بن الخطاب! قال: قضى «أن الرجل إذا أتى امرأته في كل طُهر مرةً فقد أدى لها حقها»، قالت له: أفكل الناس ترك قضاء عمر بن الخطاب، ولم يأخذ به غيري وغيرك؟!

• ما سر ذاك الغضب؟!

قال في الأغاني : عزل معاوية «مروان بن الحكم» عن الحجاز فعاتبه مروان في ذلك، فقال له: عزلتك لكراهتك «أمر زياد» ولأن «رملة» ابنتي أتتك تستعدي[3] على زوجها عمرو بن عثمان فلم تُعْدِها[4] ، فقال له مروان: أما كراهتي أمر زياد فجميع بني أمية كرهوه، ثم جعل الله لنا في ذلك الكره

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس حديث ٨٩٥٦، وأورده السيوطي في جمع الجوامع ١/ ١٠١٢، والهندي في كنز العمال ٤٤٨٦٧.

(٢) الباه: الجماع. (٣) استعْدَى: يقال: استعديت الأمير على فلان أي استعنت به واستنصرته.

(٤) فلم تعنها وتنصرها.

خيرا. وأما استعداء رملة على عمرو، فوالله إني لَتَأْتي عليّ سنةٌ أو أكثر وعندي بنتُ عثمانَ فما أكشف لها ثوبا، فعرّض لمعاوية بأن رملة إنما استعدت على عمرو طلبا للنكاح فغضب معاوية من كلامه وأغلظ له في الجواب وفي الخبر طول.

• كم تجامع في اليوم؟!

الزبير في الموفقيات قال: كانت لابن أبي عتيق جارية فارهة تُقْبل وتُدبر وكان الفتيان يتبعونها فجاء ابن أبي عتيق ذات يوم ليدخل منزله، فوجد مُقابلَ الباب فَتَيْين، فقال لأحدهما: كم تجامع يابن أخي؟ فقال: «واحد في اليوم» وربما لم أفعل، وقال للآخر: كم تجامع؟ فقال: «عشرين في اليوم» فقال للأول: إياك أن تمر على منزلي، وقال للآخر: أما أنت فأقبل وأدبر متى شئت. يريد ابن أبي عتيق: أن من قال أجامع عشرين كل يوم لا يعرف للنكاح حقيقة ولو عرف حقيقته لم يقل ما قال، وأما الآخر فقال قول عارف مجرب فلذلك أبعده وزجره عن القرب من داره.

• صدق أو لا تصدق!

قال الغزالي في الإحياء: كان عبد الله بن عمر شديد النكاح وكان يفطر من الصوم على الجماع، وربما جامع قبل أن يصلي المغرب ثم يغتسل ويصلي. قال: وقد جامع ليلةً ثلاثًا من جواريه في ليلة من شهر رمضان فيما بين المغرب والعشاء الأخيرة.

وحكى التيفاشي في قادمة الجناح: أن نافعا مولاه كان كذلك وأنه كانت له جارية تسمى «كوكب الصبح» فكانت تفر منه لكثرة جماعه. قال: وكان عبد الله ابن زمعة صهر رسول الله ﷺ من خير قريش صلاحا وعفافا وكان لا يستطيع الصبر على النكاح في شيء من الأوقات ليلا ولا نهارا فتجنب لأجل ذلك حضور مشاهد قريش وحضور المساجد وبنى مسجدًا بداره. قال: وكان يتزوج المرأة فلا تمكث عنده إلا أياما يسيرة حتى تفر إلى أهلها فقالت امرأة من أهل المدينة تسمى زينب بنت عمرو بن أبي سلمة: ما لَهُن يهربن منه؟ فقيل: لكثرة غِشْيانه لهن [1]، فقالت: ما يمنعه مني وأنا العظيمة الخَلْق الكبيرة العجيزة، المفعَمة الفَرْج [2]، فبلغه ذلك فتزوجها فصبرت عليه وولدت له.

أبو الفرج في الأغاني عن الشعبي قال: اشتاق النعمان بن بشير صاحب رسول الله ﷺ إلى سماع الغناء وهو بالمدينة فتوجه إلى منزل عزة الميلاء فسمعها ولما خرج اعترضته امرأة تشكو إليه كثرة غِشْيان زوجها لها فقال لها النعمان بن بشير: لأقضين بينكم بقضية لا ترد عَلَيّ: إن الله أحل له من النساء أربعا فيلزمك منه أربع مواقع: مرتان بالليل ومرتان بالنهار. كذا جاءت هذه الحكاية ولا أعرف لهذا الاستدلال وجهًا وإذا أباح الله عز وجل للرجل أربعا، من الزوجات فمن أين يؤخذ من ذلك أن له أن يطأ الزوجة الواحدة بين اليوم والليلة أربع مرات [3]؟ وإنما يستحسن في هذا تفقه كعب بن سور في القضية التي قدمنا ذكرها في باب معاشرة النساء.

• فن المعاشرة!

وذكر أيضا أبو الفرج في الكتاب المذكور قال: لما تزوج عمر بن عبيد الله بن معمر عائشة بنت

---

(١) غشيَ المرأة أتاها وجامعها. وغشي الأمر: لابسه وباشره. (٢) ممتلئة.

(٣) أقول - والله أعلم - إن وجود الأربعة على ذمته يقضي بحقهن جميعًا في المعاشرة، ومعنى ذلك أن أقل القليل لهن في اليوم مرة لكل واحدة، وأربع لهن جميعًا في اليوم، فإذا انفردت كل واحدة منهن بيوم كان لها ما للأربع في يومها وليلها وهذا تفسير الفتوى.

طلحة حمل إليها ألف ألف درهم وخمسمائة ألف مهرًا أو خمسمائة ألف درهم هدية. وقال لمولاتها: لك ألف درهم إن دخلتُ بها الليلة وأمر بالمال فحمل إليها وغطى بالثياب، فخرجت عائشة فلما رأته استكثرته وظنته فرشا، أو ثيابا، فسألت مولاتها فأعلمتها أنه المال فاستكثرته فقالت لها مولاتها: ما جزاء من حمل هذا إليك أن يبيت وحده؟ فقالت لها: هو كذلك! ولكن لا يجوز دخوله حتى أتهيأ له وأتزين! فقالت لها: والله إن وجهك أحسن من كل زينة ولا تحتاجين إلى شيء من طِيب أو حُليّ إلا وهو عندك وأكبت على رجليها تقبلهما وتطلب منها أن يكون دخوله بها تلك الليلة! فقالت لها: ويْحك كيف يكون هذا بهذه السرعة؟ فصدقتها الخبر وأعلمتها بما جعل لها عمر بن عبيد الله من المال فأمرتها أن تأذن له فسار إليها من ليلته وأتى بطعام فأكله كله حتى أعرى الخِوان [1] منه ثم سأل عن المُتَوضّأ [2] فأخبرته فقام فتوضأ ثم صلى فأطال الصلاة، ثم قام إليها فأسبل الستور وعانقها، وضمها إليه وما زال يفتح فاها ويقبلها ويترشفها بُرهة، ثم قام فوطئها واحدًا وتحدث معها ساعة، وقد مد يده إليها ففعل مثل ذلك ووطئها ثانيا، وما زال هذا حاله يُضاحكها ويُمازحها ويُقبلها ويطؤها إلى أن أكمل سبعا، ثم قام فدخل المتوضأ وخرج فدخل الحمام. قالت مولاتها: فلما خرج وقفتُ على رأسه وقلتُ له: لله دَرّك! فمثلك يتزوج النساء! فقال لي وكيف ذلك؟ فقلت له لقد عددت لك في ليلة البارحة سبعًا واحدًا بعد واحد ولقد أشفيت الغليل! فضحك عمر بن عبيد الله وضحكت عائشة ولم يكن عند عائشة في أزواجها أحظى منه، وكان ينال منها ما شاء عَفْوًا دون مناكرة وكانت قبله عند مُصعب فلم يكن يطمع منها في شيء إلا بعد شدة وتَحَيل.

• قم يا قتال!

وذكر الزبير : غير ما تقدم أن عمر بن عبيد الله لما ابتنى بها قال: لأقتلنك الليلة فلم يصنع إلا «واحدا» فلما أصبح حركته وقالت له: قم يا قَتّال. قال أبو الفرج: وهذا تحامل من الزبير وعصبيةٌ. والخبر في رضاها عن عمر وميلها إليه غير ما حكاه الزبير مما هو معلوم مشهور .. انتهى ما ذكـــــره أبو الفرج. وقد ذكر صاحب نثر الدرر، أن هذه القضية إنما جرت لعائشة مع مصعب .

• لا يكلف الله نفسا إلا وسعها!

الأصمعي قال : كانت بالبصرة امرأة جميلة فتنافس الناس في زواجها فتزوجها شاب مُعْدِم فأقام معها مدة يواقعها «خمسًا» كل ليلة ثم أربع ثم ثلاث ثم ثني ثم صار إلى واحد كل ليلة فلما رأت دوامه على «واحد» قالت في نفسها: قد كان فيمن خطبني من المياسير من لا يقصر عن واحد كل ليلة فاعتلت عليه وغاضبته وسارت إلى منزل أهلها فوصل إليها الفتى وصار يستعطفها فقالت له: قد كنتَ! وأشارت إليه بأصابعها الخمس، وكنت عنك راضية، ثم قبضت إصبعا وقالت ولكنك تغيرت، ثم قبضت إصبعا ثالثا، وقالت: لو أقمت على ذلك لم أغاضبك! فقال الفتى: وأشار إلى سبابته ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الخطابي في غريب الحديث : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال إن رسول الله ﷺ: «نهى عن السباع». قال الخطابي حاكيا عن بعضهم: «السباع» كثرة الجماع، وهذا تأويل غريب وقد تقدم

---

(١) مائدة الطعام. (٢) مكان الوضوء والطهر.

ذكر هذا الحديث قبل هذا وإنما المراد بالسباع المفاخرة بالجماع، وإفشاء الرجل ما يجري بينه وبين زوجته فيه وهو الصواب في تأويل الحديث[١] والله أعلم.

• الوطء ليلا!

قال أبو عبيدة البكري في كتاب اللآلئ: كانت العرب تقول: إن أولاد الموطوءة ليلا أنجب من أولاد الموطوءة نهارًا. وكانوا يزعمون: أن المرأة إذا وطئت نهارًا لم تنجب وإذا وطئت آخر الليل في أول الطهر وأول الشهر لم يخطئ إنجابها، قال وإلى هذا أشار الشاعر بقوله :

حملت للهلال في قبل الطهـ ـر وقد لاح للصباح بشير

• أسماء ومسميات!

قال ابن قتيبة في أدب الكتاب : ويقال للمرأة إذا حملت وهي حائض: قد حملت سهوا[٢]. قال غيره: ويقال أيضا في مثل ذلك قد حملت «رُضَعًا» بضم الراء و«تُضَعا» بضم التاء الصحيحة المثناة. قال أبو عبيدة: قالت امرأة من العرب وقال يعقوب بن السَّكيت هي أم تأبط شرًّا ما حملته رُضَعًا ولا وضعته يَتَنًا ولا أرضعته غَيْلًا، فالرضع ما ذكرناه، و اليتن أن تخرج رِجْل الجنين قبل رأسه، وذلك أنه يكون في البطن منتصبا فإذا أراد أن يخرج بقدرة الله تعالى انقلب فخرج رأسه قبل رجليه، فإذا خرج رجلاه قبل رأسه فذلك «اليتن» وهو مذموم، و«الغيل» و«الغيلة» أن ترضعه أمه وهي حامل وهو مُضِرّ للولد.

• عادات وتقاليد!

وفي بعض الأحاديث : «ولا تقتلوا أولادكم سرًا فإن الغيل يدرك الفارس فيدعثره عن فرسه»[٣]. وفي الصحيح : «لقد هممت أن أنهي عن الغِيلة ثم ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضرب بأولادهم شيء»[٤].

وقال البكري: وكانوا يقولون: إذا حملت المرأة وهي فَزِعَةٌ وجاءت بغلام جاءت به لا يطاق.

• ألذ أحوال الجماع!

وذكر الجاحظ : أن حالة الفزع والارتياع للمرأة من ألذ أحوال الجماع. قال: وكذلك مجامعتها بعد الإعياء والحركة الشديدة. وبعد انفصال الشهر الخامس من حملها إلى دخول الشهر السابع. وفي أول استقبالها الطهر من النفاس. انتهى كلام الجاحظ.

---

(١) وقد جاء في النهاية لابن الأثير ما يؤيد ذلك فقال: ومنه الحديث (أنه نهى عن السباع) وهو الفخار بكثرة الجماع وقيل: هو أن يتسابّ الرجلان فيرمي كل واحد منهما الآخر بما يؤذيه يقال: سبع فلان فلانًا إذا انتقصه وعابه.

(٢) وحملت المرأة سَهْوًا: حَبلت على حيض. المعجم الوسيط.

(٣) رواه أبو داود في كتاب الطب باب في الغيل حديث رقم ٣٨٨١، وابن ماجة ٢٠١٢، وأحمد٦/ ٤٥٣، ٤٥٧.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب النكاح باب جواز الغيلة حديث ١٤٠، ١٤١، وأبو داود في الطب باب في الغيل حديث ٣٨٨٢، والترمذي في سننه كتاب الطب باب ما جاء في الغيلة، والنسائي في سننه كتاب النكاح باب الغيلة، وأحمد في مسنده ٦/ ٢٦١، والدارمي في سننه كتاب لنكاح باب في الغيلة. وأشار ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث في مادة (غيل) فقال: (لقد هممت أن أنهى عن الغيلة) الغيلة بالكسر الاسم من الغَيل بالفتح، وهو أن يجامع الرجل زوجته وهي مُرضع. وقيل: يقال: الغِيلة والغَيْلَة بمعنى وقيل: الكسر للاسم، والفتح للمرّة. وقيل: لا يصح الفتح إلا مع حذف الهاء، وقد أغال الرجل، وأغيَل، والولد مُغال، ومُغيل، واللبن الذي يشربه الولد يقال له: الغيل.

فصل مما يختص به الإنسان من ضروب النكاح منقول من فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي رحمه الله

وأرسل أبو منصور أكثر ألفاظ هذا الفصل مهملة غير مضبوطة فأوجب ذلك وقوع التصحيف فيها كثيرًا من نَسَخة الكتاب، ورواته واحتجنا نحن هنا إلى ضبطها بعد أن حققناها من أصول اللغة.

قال أبو منصور: لعل أسماء النكاح تبلغ مائة كلمة عن ثقات الأئمة بعضها أصلي وبعضها مَكْنِيٌّ (١) وسأكتب لك من تفصيل أنواعه وأحواله ما هو شرط الكتاب. الْمَحْتُ: بالحاء المهملة والتاء المثناة، والمسْحُ بالسين والحاء المهملتين: النكاح الشديد، عن أبي عمرو، الدّعْظُ بالدال والعين المهملتين والظاء المعجمة، والزَّعب بفتح الزاي وبالعين المهملة، الملء والاستيعاب في النكاح عن الليث عن الخليل، الدّعْسُ والعَرْدُ وجميع حروف اللفظتين مهملة النكاح بشدة وعُنْف عن ابن دُريد. الهَك والهَقّ الإجهاد بشدة النكاح عن ابن الأعرابي. الوصاع بكسر الواو وبالصاد والعين المهملتين أن يحاكي العصفور في كثرة السّفاد عن أبي سعيد الضرير (٢). والسّغم بالسين والغين المعجمة أن يُدخل الإدخالةَ ثم يُخرج ولا يُحِبّ أن يُنْزل معها عن النضر بن شميل، الخَوْقُ بفتح الخاء المعجمة أن يُباضع الجارية فتَسْمَع للمخالطة صوتًا وَأزيرًا عند دخول الذكر وعند خروجه ويقال لذلك الصوت «خاق باق». عن ثعلب عن ابن الأعرابي. الدّحْزُ بالدال والحاء المهملتين والزاي كثرة النكاح، وكذلك الهزج بالزاي والجيم عن الليث وغيره (٣). الفَهْر بالفاء والراء أن ينكح الرجل الجارية في بيت وأخرى في بيت آخر تسمع حسّه وقد جاء النهي عن ذلك (٤). والإفهار كذلك أن يبتدي الفعل مع واحدة وينزل مع أخرى عن ثعلب. التّدْليص: بالدال والصاد المهملتين هو النكاح خارج الفرج (٥) عن أبي عمرو. الإكسال: أن يُدْرك الناكحَ فتورٌ فلا يُنزل. الخَقْخَقَةُ بالخاآت المعجمة والقافات مطاولة الإنزال (٦). عن شمر، الغَيْل أن ينكحَها وهي ترضع عن أبي عبيدة. الشرح: أن يطأها وهي مستلقية على قفاها (٧). المحَارَقَة: بالحاء المهملة والقاف أن يأتيها على حَرْف أي على جَنْبها وسيأتي في هذا اللفظ مزيد بيان إن شاء الله تعالى انتهى ما نقل من كتاب أبي منصور الثعالبي (٨).

• كما تعددت الأسماء تعددت الأحكام والمؤلفات!

وكما أن أسماء النكاح تبلغ على ما ذكره مائة اسم فكذلك الأحكام الناشئة عنه لعلها تبلغ ثلثمائة حكم وقد جمعها الناس بناء على قول ابن أبي زيد في الرسالة ومَغيب الحشفة في الفرج يوجب كذا ويوجب كذا فاستدركوا وزادوا وألفوا فأجادوا. ولأبي الحسين بن زرقون في ذلك وضع مختصر. وكان شيخنا الإمام أبو علي عمر بن محمد بن علوان الهذلي رحمه الله تعالى قد ألف في ذلك تأليفًا

---

(١) أي غير صريح أطلق عليه على سبيل الكناية. كراهة التصريح به.

(٢) والسِّفَاد: اسم لنكاح الطيور.

(٣) العبارة في فقه اللغة... الذحْب والهزْج.

(٤) أشار إلى ذلك ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث مادة (فهر) حيث قال: وفيه أنه نهى عن (الفَهْر) يقال: أفهرَ الرجل إذا جامع جاريته وفي البيت أخرى تسمع حِسّه، وقيل: هو أن يجامعَ معَ الجارية ولا ينزل معها، ثم ينتقل إلى أخرى فينزل معها. يقال: أفهرَ يُفهِر إفهارًا والاسم: الفَهر بالتحريك والسكون.

(٥) بقية عبارة الثعالبي: يقال: دلص ولم يوعِب.

(٦) وعبارة فقه اللغة: الفخفخة.

(٧) بقية العبارة في فقه اللغة: ولا يأتيها على حَرْف، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: كان أهل هذا الحي من قريش يشرَحُون النساء شرحًا.

(٨) فقه اللغة وأسرار العربية. والثعالبي هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل المتوفى سنة ٤٣٠ هجرية.

تهاداه الناس واستغربوه. جمع فيه ما قال غيره واستدرك أحكاما كثيرة استخرجها بكثرة اطّلاعه، وقوة اسْتِطْلاعه وتبحرفي العلم واتساعه وكان يزعم أنه لا يكاد يوجد حكم يشذ عن كتابه. وكنت حين قرأت التأليف المذكور عاليه في شهر ذي القعدة سنة ثنتين وسبعمائة رأيته قد أغفل أحكامًا كثيرة حملني سن الحداثة إذ ذاك وحُبّ الظهور على أن وضعت فيها جزءًا انتهت الأحكام المستدركة فيه إلى خمسين حُكْمًا واتسعت فيه في ذكر الخِلاف وبسط التعليل فجاء تأليفًا مستقلًا ووقفته عليه، فعظّمه غاية التعظيم، وتلا قوله سبحانه وتعالى:﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف : ٧٦] وكانت وفاة شيخنا المذكور في الرابع لشعبان من سنة عشر وسبعمائة- رحمه الله تعالى.

الباب الثاني والعشرون

الرَّهْز في الجماع

الرَّهْزُ والإرهاز كناية عن حركاتٍ وأصواتٍ وألفاظٍ تصدُر عن الرّجل والمرأة في أثناء فعلهما تعظُم بها لذَّتُهما وتتقوى بها شهوتهما.

قال ابن ذَكوان : لم أسمع في الكناية عن الرّهز بأحسن من قول النابغة :

وأنـــت أُمـــامـــةُ مـــا تعلمين فضلت الـنـسـاءَ بضيقِ وحِـرِ [١]

• عائشة بنت طلحة نموذج رائع!

أبو الفرج في الأغاني : عن المدائني عن فلانة قالت: كنت عند عائشة بنت طلحة فقيل: قد جاء عمر ابن عبيد الله يَعْني زوجَها فتَنَحّيت فدخل فكنت أسمع كلامَهما فلاعبها مدة، ثم وقع عليها فشَخَرت ونَخَرت [٢] وأتت بالعجائب من الرّهز وأنا أسمع فلما خرج قلت لها: أنت في نفسك وشرفك وموضعك تفعلين هذا؟ قالت: إنا نُسْتَهَب لهذه الفحول [٣] بكل ما نَقدر عليه وكل ما يحركها! فما الذي أنكرتيه من ذلك؟ قلت: أحب أن يكون ذلك ليلا! قالت: إنه يكون ليلًا هذا وأعظم منه، ولكنه حين يراني تتحرك شهوتُه وتَهيج فيمدّ يَدَه إليّ فأطاوِعُه فيكون ما تَرَين، فقالت لها: يا عائشةُ، لقد أوتي عُمَرُ منك ما لم يؤته أحد من أزواجك!

• إن الخيل لا تشرب إلا بالصفير!

صاحب كتاب نثر الدرر : لما زُفّت عائشةُ بنتُ طلحة إلى زوجها مصعب ابن أبي الزبير، سمعت امرأةٌ بينها وبينه وهو يجامعها شخيرا وغطيطًا [٤] في الجماع لم تسمع مثله، فقالت لها في ذلك. فقالت عائشة: إن الخَيلَ لا تَشْرَب إلا بالصّفير. انتهى ما ذكره صاحب نثر الدرر.

---

(١) أمامة: منادى مبني على الضم حذفت منه أداة النداء (يا) وقال الفيومي في المصباح: الحِرّ بالكسر فرج المرأة، والأصل: حرح فحذفت الحاء التي هي لام الكلمة ثم عوض عنها راء وأدغمت في عين الكلمة. وإنما قيل ذلك لأنه يصغر على حريح ويجمع على أحراح والتصغير وجمع التكسير يردان الأشياء إلى أصولها وقد يستعمل استعمال يَدٍ ودَمٍ من غير تعويض. كما قال الشاعر:

كـل امـــرىء يـحـمـي حـرَه أســـــوده وأحـــمـــره

(٢) شخرت: تردد صوتها في حلقها من غير كلام. ونخرت صوتت بخايشيمها.

(٣) الفحول جمع فحل تقصد الزوج وهي ترى أنها وهبت له بكل جوارحها وطاقاتها فليكن له ما يريد.

(٤) غطّ غطيطًا صوّت وردد النفس في خياشيمه.

• بم يرضى الأمير؟!

وقال أبو عتبة الأسدي: يخاطب أسماء بن خارجة حين زوج ابنته «هندًا» من عبيد الله بن زياد فقال:

جـــزاكَ الـلـــهُ يـا أســمـــاءُ خـيـرا ... فقد أرضيـت فَيْشَلـةَ الأمـيـر [1]

بـصِـدْعٍ قـد يـفـوحُ الـمِـسْـكُ منه ... عظيمٍ مثل كَـرْكِـرَة البَعير [2]

وكان عبيد الله بن زياد هو أبا عُذْرتها [3] وكانت شديدة المحبة له ولما قتل جزعت عليه جَزَعًا شديدا، وقالت يوما: إني لأشتاق إلى القيامة لأرى وجه عبيد الله بن زياد.

• اجتماع القمم!

ويقال: إن «عمرو بن حريث» و«محمد بن الأشعث» و«محمد بن عُمَير» اجتمعوا بأبي أسماء [4] فعاتبوه على تزويج ابنته لعبيد الله بن زياد وقالوا له: خطب إليك وليس له عليك سلطان، فبادرت لإجابته! فقال: قد كان ما كان! قال: وبلغ الخبر عبيد بن زياد فلما استعمل عبيد الله بن زياد على الكوفة تزوج «عائشة بنت محمد بن الأشعث» وزوج أخاه مسلمَ بن زياد بنت عمرو بن حريث وزوج أخاه عبد الله بنت محمد بن عمير، قال ابن عباس فاجتمعوا إليه والله كلهم في اللوم.

• المتوكل يهب ولاية لمن ساعده على الحركة!

أبو الريحان في كتابه المسمى بالجماهر قال: كان المتوكل مستهترًا مشتهرًا بالنساء وكان ربما يُجامع ويَشْتاق إلى المعاوَدَة فيجد أعضاءه قد ضعفت عن حركات الرّهز، قال: فجعل له حَوضٌ قد ملئ من الزّئبق يحرّكه دون أن يستعمل الحركة، قال: فاستلذ لذلك وسأل عن معدنه، فقيل له: هو بالشير من أذربيجان فوجه إلى حمدون النّديم ليوجه له بكل ما يتحصل منه، وكتب له منشورًا بولاية الشير فقال حَمْدون:

ولايـــة الـشِّـيـر عَـــزْلٌ ... والـــعَـــزْلُ عـنـهـا ولايـة

فـولِّـنـي الـعَـزْلَ عـنـهـا ... إن كـنـت بـي ذا عـنـايـة

ولم يزل يرغب في العزل إلى أن عُزل وأُعفي من الولاية.

• جارية تحسن عشرين فنًا من الرهز!

الآبي في نثر الدرر قال: عرضت على المتوكل جارية فقال: ما تحسنين؟ فقالت: عشرين فنًّا من الرهز فاشتراها.

• اقتلها وعليّ إثمها!!

ابن عبد المؤمن في شرح المقامات قال: أقبل رجل إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال:

---

(١) الفَيْشَلة: الحشفة ورأس كل مملّس مدور، والجمع فياشل.

(٢) والصدع الشق كناية عن الفرج. والكِركرة بالكسر - كما في القاموس - رحى زور البعير. وذكر ابن قتيبة البيتين وأضاف لهما ثالث وهو

لـقـد زوّجـتـهـا حـسـنـاء بـكـرًا ... تجيدُ الـرهـز مـن فـوق السَّرير

ووردت هذه الأبيات في الأغاني جزء ١٨ ص١٢٨ طبعة بولاق باختلاف يسير عما هنا. والبيت الثالث كما في نهاية الأرب جزء ٢ ص ١٠٥، النسخة الكاملة طبعة دار الكتب: إذا نفحت بأرْوَاح نَرَاها.

(٣) مُفْتَضّ بكارتها، والحب للحبيب الأول. (٤) أسماء بن خارجة والد هند الذي سبق ذكره آنفًا.

يا أمير المؤمنين إن لي امرأة كلما غَشَوْتُها [1] تقول لي: قتلتني! قتلتني! فقال له علي رضي الله عنه: اقتلها وعَلَيَّ إثمها!

• إفراط في الغيرة!

العُتبي قال: سمع عقيل بن علقمة المزي بنتا له ضحكت، ثم شهقت [2] في آخر ضحكها فاخترط السيف وحمل عليها [3] وهو يقول:

فَـرِقـت إنـي رجـل فَـرُوق مـن ضـحـكٍ آخـره شـهـيـق [4]

فنادت بإخوتها فحالوا بينها وبينه، وكان عقيل جافيا مُفْرِطَ الغيرة.

• أي النساء أفضل؟

جلس أعرابي في حَلْقة يونُسَ بن حبيب فتذاكروا النساء وتفاوضوا في أوصافهن فقالوا للأعرابي: أي النساء أفضل عندك؟ فقال: البيضاءُ العَطِرة، اللينة الخفرة [5] العظيمة المتاع [6]، الشهيّة للجماع، التي إذا ضوجعت أَنَتْ، وإن تُرِكَتْ حَنّت، يشير بقوله: إذا ضُوجعت أَنَتْ إلى رَهْزها.

• سؤال في الحب!

قيل لأعرابي: أتعرف الحب؟ قال: وكيف لا، قيل: وما هو؟ قال: عناق الحبيب، ولثم الثغر الشّنيب [7] والأخذ من الحديث بنصيب. قيل: ما هكذا نعده فينا قال: فما تعدونه؟ قال: القَعْس الشديد [8]، والجمع بين الركبة والوريد، ورهزٌ يوقظ النُّوام فقال: ما هذا فعل ذوي الوداد وإنما هو فعل طالبي الأولاد.

• سلوك الرجال بين الأمس واليوم!

قال محمد بن يحيى المزني: سمعت عطاء يقول: كان الرجل يحب الفتاة فيُطيف بدارها حولا يفرح أن يرى من يراها، فإذا ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار واليوم تسير إليه فإذا رآها قام إليها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة وأصحابه.

• ما معنى يضرب زيد عمرًا؟!

وحكى البكري في اللآلئ: عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: حدثتني أم الهيثم قالت: حجت زَبيْدة في بعض الأعوام فلما انتهت إلى حَيّ ضربت لها القِباب والفساطيط [9] ثم أحبت أن تأنس إلى جَواري الحَيّ فأمرت بجمعهن إليها فكنت فيمن دُعِيَ. قالت: فلما صرنا عندها أطعمتنا طعاما خِلناه من الجنة وسقتنا شرابًا حُلوًا مال بنا كلَّ ميل، وشَرِبَتْ منه، وجعلت تحدثنا بحديث كقِطع

---

(١) غشيها: جامعها.
(٢) الضحكة الطويلة ذات الذيل مثيرة!!
(٣) اخترط السيف: سلّه من غمده. وحَمَل عليها هجم.
(٤) فرق فرقًا: جزع واشتدّ خوفه وفي التنزيل ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [التوبة: ٥٦] والفَروق الشديد الفزع.
(٥) الخِفَرة: بفتح الخاء وكسر الفاء الحيية. من الخفر وهو الحياء.
(٦) المتاع: التمتع. وفي علم النبات عضو التأنيث في الزهرة.
(٧) يقال: شنب الثغر رقت أسنانه وابيضّت!
(٨) قعس الرجل تأخر ورجع إلى الوراء ليتمكن من القيام بمهمته على الوجه الأكمل. والقَعْس كثرة النكاح. وأخذ الشيء وجمعه. والقَعْسُ: مَرْكَبٌ كالهودج. وثلاثتها تعطي معنى مناسبًا للمقام.
(٩) القباب جمع قبة، والفساطيط جمع فسطاط، والقبة تُضرب لذوي الشأن ومن حولها الخيام.

الرّوض [1] ثم قالت لنا: ما تعددن العشق فيكم؟ فقلنا لها: يحب الفتى الفتاة فيجتمعان، ويتشاكيان، ويتباكيان، ويتواصفان ما يجدان ثم يفترقان، فقالت: أبحيث يُريان أم بحيث لا يُريان؟ قلنا: بحيث لا يُريان، قالت: ما صنعتن شيئًا، قلنا: فكيف الأمر عندكم يأهل الحضر؟! قالت: تكون النظرة فتنزرع المحبة، ثم يتراسلان ويتخاطبان، ثم يتواعدان فيجتمعان ثم يضرب زيدٌ عمرًا قالت أم الهيثم: وما معنى يضرب زيدٌ عَمْرًا؟ فقالت: إن دخلت الحَضر عرفتيه! فقلت لها: قد دخلت العِراق ولم أعرفه، فضحكت وقالت: إنك لمتجاهلة.

• حديث مخنث!

حكى الجاحظ قال : كان عندنا بالبصرة مُخَنّث تجتمع الناس في منزله وكان بعض أصحابنا يتعشّق امْرأةً مشهورة بالجَمال، فلم يزل المخنث يتلطف بها حتى جمع بينهُ وبينَها فاجتمعت به، وسألته عن كيفية اجتماعهما فقال: لما اجتمعنا رق الكلام، ووقع الالتزام، وقُضِيَت الأمور، وشُفِيت حرارة الصدور! قال الجاحظ: فلو كان قد أعدّ هذا الكلام إليّ لمسألتي قبل ذلك بدهر لكان قد أجاد و أملح!!

الباب الثالث والعشرون

في وطء الرجل في غير الفرج، وذكر صور من صور النكاح ورد ذكرها في بعض الأحاديث

لا خلاف في جواز وطء المرأة فيما عدا «الدُّبُر» من مغابنها [2] وسائر جسدها، وإنما اختلف في جواز وطئها في الدُّبر، وأكثر العلماء على مَنعه، وقد جاء النهي عنه في أحاديث ووُصِفَ بأنه اللوطية الصغرى، وطائفة كثيرة يُجيزونه، ونسب ابن شعبان في «كتاب النساء» إباحة ذلك إلى جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين. واختلف فيه عن مالك: فرويت عنه إباحته من غير الحائض، وأسند ابن شعبان ذلك إليه من روايات كثيرة، وذكر علي ابن زياد أنه سأله عن ذلك فأنكره وأكذب من نسبه إليه. وتأول من أباح ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] على أن معناه حيث شئتم وقال: لم يحل الله من المرأة موضعا دون موضع، والمانعون يتأولون ذلك على أن معناه كيف شئتم أي على أي صفة شئتم: من استلقاء أو إكباب أو شَرَح أو إتيان على حرف .

وجاء في ذلك حديث عن ابن عباس : خرجه أبو داود عن ابن عباس قال : «كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يَهود وهم أهل كتاب وكانوا يَرَوْن لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من أمر أهل الكتاب أن لا يأتون النساء إلا على حَرْف وذلك أستر ما تكون المرأة، وكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا ذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحًا مُنْكرًا ويتلذذون منهن مُقْبلات ومُدْبرات. ومُسْتَلْقِيات فلما قدم المهاجرون

---

(١) جميل جمال الرياض وما فيها من أزهار وورود.

(٢) المغابن جمع مَغْبن - كمنْزِل - الإبط والرفغ. وفي النسخة (ب) مغايبها، ما غيب منها.

المدينة تزوج رجل منهم امرأةً من هذا الحي من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت له: إنا كنا نؤتى على حَرْفٍ فاصنع ذلك، وإلا فاجتنبني حتى شرى أمرهما فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[1] أي مقبلات ومدبرات، أو مستلقيات أو على حَرْفٍ، أو كيف شئتم، ولكن في موضع الولد. شرى أمرهما: أي علا وارتفع. وفي حديث آخر: عن جابر قال: «كانت اليهود تقول إذا جامع الرجل المرأة من ورائها في فرجها كان ولدها أحول فأنزل الله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾»[2] أخرجه البخاري.

قال المازري في المعلم: اختلف الناس في وطء النساء في أدبارهن هل ذلك حرام أم لا؟ وقد تعلق من قال بالتحليل بظاهر الآية قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾. وانفصل عن ذلك من يجزم بأن المراد ما نزلت عليه من السبب، والرد على اليهود فيما اختلقت قالت: والعموم إذا خرج على سبب قصر عليه عند أهل الأصول، ومن قال بتعديه وحَمْله على مقتضى اللفظ من التعميم كانت الآية حجة له في نفي التحريم، ولكن وردت أحاديث كثيرة بالمنع منه، فيكون ذلك تخصيصًا لعموم الآية بأخبار الآحاد وفي ذلك خلاف بين الأصوليين. وقد قال بعض الناس منتصرًا للتحريم: أجمعت الأمة على تحريم المرأة قبل عقد النكاح واختلف فيه بعد العقد هل حَلّ هذا العضو منها أم لا؟ فيستصحب الإجماع على التحريم حتى ينقل عنه ناقل، وعكس الآخرون وزعموا أن النكاح في الشرع يبيح المنكوحة على الإطلاق فنحن مستصحبون لهذا حتى يأتي دليل يدل على استثناء بعض الأعضاء.

• رأي القاضي عياض!

قال عياض في الإكمال: (أنّى) هنا تحتمل معنى (كيف) وتحتمل معنى (حيث)، إذْ هي مقتضية لهما معا وبساط الحديث يقتضي معنى (كيف) وإباحة عموم صور الحرث لا مواضعه. قال: وجل الناس على مَنْعه من الطّاهر والحائض، وحكى بعضهم الاتفاق على منعه من الحائض. ولأصحاب الشافعي: في هذا الوجه قولان: فمنهم من قال إنه حلال منهما يعني من الطاهر والحائض. ومنهم من فرق. والثالث قول الجمهور المنع بكل حال.. انتهى كلام عياض[3].

صاحب خرص الحلى قال: التحميض: إتيان النساء في أدبارهن. قال: ومنه حديث ابن عمر رضي الله عنه: «كنا نشتري الجواري فنحمض فيهن» انتهى كلامه.

هذا الأثر عن ابن عمر كأنه مناقض للأثر الذي يرويه الليث عن الحارث بن يعقوب عن سعيد بن يسار قال: قلت لابن عمر كيف ترى في التحميض؟ قال: وما التحميض ؟ قلت: أن يأتي الرجل المرأة في دبرها قال: أو يفعل ذلك أحد من المسلمين[4]؟! ذكره البكري في اللآلئ. ولكن قد ذكر البخاري حديثا خرجه ابن عون عن نافع قال كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لا يتكلم حتى يفرغ؛ فأخذت عليه يوما فقرأ سورة البقرة

---

(١) رواه أبو داود في سننه حديث رقم ٢١٦٤ في كتاب النكاح باب في جامع النكاح.

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣]، وأبو داود في سننه حديث رقم ٢١٦٣ في كتاب النكاح باب في جامع النكاح.

(٣) والعالم كله بعد ظهور مرض الإيدز - يتحدث عن سمو تشريعات الإسلام وما فيها من تحصين للمسلم ووقاية له، فجدير بنا ألا نفتح الباب لمثل تلك الأقوال التي تخالف رأي الجماعة والجمهور!

(٤) ذكره ابن الأثير في النهاية غريب الحديث ١/ ٤٤١.

حتى انتهى إلى مكان فقال: أتدري فيم أنزلت؟ قلت: لا، قال: أنزلت في كذا وكذا ثم مضى. ثم أتبعه البخاري بحديث آخر كالمفسر له يرويه أيوب عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ قال يأتيها في... ولم يذكر شيئًا فهذا ما ذكره البخاري [1]، وهو إشعار بأن ابن عمر كان يبيح وطء المرأة في الدبر.

• تكذيب!!

ويروى عن الزهري أنه قال وهل للعبد فيما روى عن ابن عمر في ذلك، وقال النسائي: عن أبي النضر أنه قال لنافع: إن الناس قد أكثروا القول عنك أنك تقول عن ابن عمر أنه أفتى بأن تؤتى النساء في أدبارهن، فقال: لقد كذبوا عليّ ولكن سأخبرك كيف كان الأمر؟! إن ابن عمر رضي الله عنه عرض المصحف يوما وأنا عنده حتى بلغ ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ فقال: يا نافع، هل تعلم ما أمر هذه الآية؟ قلت: لا. قال: إنا كنا معشر قريش نجيء النساء، وذكر نحوا من حديث ابن عباس المتقدم الذي خرجه أبو داود.

• يا أمير المؤمنين، ارفع ولا تخفض!

أبو الفرج في كتاب النساء قال: لما تزوج سليمان بن عبد الملك بن مروان أم سلمة بنت عبد الرحمن بن سهيل الهلالية، وكانت قبله عند أخيه الوليد وكانت قبل الوليد عند الحَجّاج ابن يوسف أراد أن يطأ في الفرج فنزل قليلا فصاحت: يا أمير المؤمنين، «ارفع ولا تَخْفِضْ» فقال لها: إني لم أذهب هناك! قال: وجامعها ليلة وكلّ، وطلب المعاودة وأن تمكنه من نفسها في فرجها مكبة على وجهها ليعتمد على عجيزتها فأجابته إلى ذلك وكان يقدمها ويؤثرها على سائر نسائه ولم يتزوج ثلاثة من الخلفاء غيرها، تزوجت الوليد وسليمان وهشامًا.

• أين الهنة الأخرى؟!

ابن عبد المؤمن في رشح المقامات: قال قرب أعرابي من امرأته وقد اغتلم واشتد إنْعَاظُه فلما هجم عليها قالت: إني حائض، فقال لها: فأين الهنة [2] الأخرى؟! ثم حمل عليها هنالك، وهي تدافعه وتسبه وهو ماض في شُغْله!! ويسمى وطء المرأة على جنبها في اللغة (الحارقة) بالحاء المهملة والراء والقاف. وفي أثر عن بعض الصحابة «كذبتكم الحارقة» أي عليكم [3] بها وهو إغراء والعرب تغري بهذه اللفظة وقد تقدم ذلك منقولا عن أبي منصور الثعالبي.

قال أبو منصور: ويسمى وطؤها وهي مستلقية على ظهرها «الشرح» وهو معنى قول ابن عباس في الحديث المتقدم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء.

• ألذ صور النكاح!!

وذكر الأطباء أن هذه الصورة هي ألذ صور النكاح وأقلها ضررا.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾. (٢) الهَنُ: الشيء وهو كناية عن الدبر مثل أخ (هن).
(٣) قال في أساس البلاغة: وعليكم من النساء بالحارقة، وهي التي تضم (الشيء) يضيقها وتغمزه فعل من يحرق أسنانه، وهي الرَّصوف والعضوض. وحارق المرأة جامعها، وجامعها (الحُرْبَقاء) وهي المجامعة على الجنب. اهـ أساس البلاغة للزمخشري.

قال عبد الملك بن حبيب : كان عمر ينهي النساء أن يَنْمُنَ على هذه الصفة يعني في غير وقت النكاح وكان يقول: لا يزال الشيطان يطمع في إدراكهن ما كانت مستلقية يريد أن الشيطان يسول لها إذ ذاك ذكر الرجل لأنها صورة اضطجاعها له!! وجاء في بعض روايات مسلم في حديث جابر المتقدم أن اليهود كانت تقول: «إذا جامع الرجل المرأة من ورائها في فرجها فإن ولده يأتي أحول، فأنزل الله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[1] قال : إن شاء مجبية وإن شاء غير مجبية». قال المازري: يعني على وجهها، وقال عياض: التَّجْبِيَة تكون على وجهين أحدها أن تضع يديها على ركبتيها وهي قائمة يعني منحنية على هيئة الركوع . والأخرى أن تَنْكَبّ على وجهها باركة.

الباب الرابع والعشرون

في الغَيْرة وما يُحمد منها وما يذم

● موقف الإسلام من الغيرة!

الدارقطني عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله ليَغَار لِعبده المسلم فلْيَغِر لنفسه»[2]. الدارقطني في كتاب العلل وقال فيه: حسن صحيح.

البزار عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «الغَيْرة من الإيمان»[3].

وفي حديث مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله يَغَار وإن المؤمن يَغار وغَيْرة الله أن يأتي العبد المؤمنُ ما حَرّم الله عليه»[4]. مسلم: عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحدٌ أحبّ إليه المدح من الله عز وجل، ومن أجل ذلك مدح نفسه، وليس أحدٌ أغْيرَ من الله تعالى ومن أجلِ ذلك حَرَّم الفَواحش»[5].

البخاري: عن المغيرة قال: قال سعد بن عبادة: لو وجدت رجلًا مع امرأتي لضَرَبْتُه بالسّيف غير مُصْفَح[6] فقال رسول الله ﷺ : «أتعجبون من غَيْرة سعد؟ إني لأغْيَر منه وإن الله لأغير مني!»[7]. أبو الفرج في كتاب النساء: عن كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «الغَيْرَة غيرتان: فغيرة يحبها الله وغَيرة يكرهها الله» قلنا: يا رسول الله، ما الغيرة التي يحبها الله؟ قال: «يغار أن تُؤْتَى معاصيه وتُنْتَهَك محارمه» قلنا: فما الغَيْرة التي يكرهها الله؟ قال: «أن يغار أحدكم في غير كُنْهه». يريد والله أعلم ظهور أثر الغيرة من غير سبب يوجب ذلك إلا سوء الظن بالمرأة! وهو معنى ما روى عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن شداد قال: الغيرة غيرتان: غيرة يُصلِح بها الرجلُ أهلَه وغيرة تُدخله النار! قال الغزالي في الإحياء: وذكر أدب المعاشرة بين الزوجين قال: ومن ذلك الاعتدال في الغيرة، وهو أن لا يتغافل عن مبادئ الأمور التي تُخشى غوائلها، ولا يبالغ في إساءة

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب النكاح باب جواز جماع المرأة في قبلها من قدامها ومن ورائها من تعرض للدبر.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط حديث ١٠٧٢، وقال الهيثمي في المجمع ٤/ ٣٢٧: رواه أبو يعلي والطبراني وفيه عبد الأعلى بن عامر وهو ضعيف.

(٣) أخرجه الديلمي في الفردوس حديث رقم ٤٣٢٦، وعزاه إلى البزار في مسنده والبيهقي في الشعب.

(٤) اخرجه مسلم في كتاب التوبة باب غيرة الله وتحريم الفواحش وهو متفق عليه من حديث أبي هريرة، ولم يقل البخاري (والمؤمن يغار).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب التوبة باب غيرة الله وتحريم الفواحش من طريق الأعمش عن عبد الله بن مسعود.

(٦) ذكر ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث: (لضربته بالسيف غير مصفح) يقال: أصحفه بالسيف إذا ضربه بعُرضه دون حَدّه فهو مُصْفِح، والسيف مُصْفَح ويرويان معًا.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب الغيرة وهو متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة.

الظن والتعنت والتجسس على البواطن من غير ريبة فقد نهى رسول الله ﷺ عن تتبع عورات النساء وقال: «إن الله يبغض الغيرة من غير ريبة»[1]. وقال: «إن من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ومن الخيلاء ما يحب الله، ومنها ما يبغضه الله. فالغيرة التي يحبها الله الغيرة مع الريبة والغيرة التي يبغضها الله الغيرة مع غير ريبة والخُيَلاء التي يحبها الله: خُيلاء الرجل عند القتال، وعند الصدقة، والخيلاء التي يبغضها الله الاختيال في الباطل». وقال علي رضي الله عنه: لا تُكْثِرِ الغَيْرةَ على أهلك فترمي بالسوء من أجلك.

قال الغزالي: فأما الغيرة التي في محلها فلابد منها وهي محمودة، قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله تعالى أن يأتي المؤمن ما حرم عليه»[2] وذكر الغزالي هنا الأحاديث التي ذكرنا نحن في أول الباب.

• ما قيل في الغيرة!

أبو الفرج في كتاب النساء قال: قال معاوية: ثلاث من خصال السؤدد: الصلع، واندماج البطن، وترك الإفراط في الغَيرة. قال: ونزل قيس بن زهير ببعض العرب فقال لهم: أنا غيور، وأنا فخور وأنا أنف ولكن لا أغار حتى أرى، ولا أفخر حتى أفعل، ولا آنف حتى أضام. قال أبو الفرج: فعابوا معاوية بقوله: ترك الإفراط في الغيرة من خصال السؤدد قال: ولا أرى فيها عيبا، فإن الإفراط هو مجاوزة الحد وتعديه إلى ظلم المرأة. وعابوا أيضا قيس بن زهير بقوله: لا أغار حتى أرى. قال: وأظنه إنما أراد رؤية السبب لا رؤية المواقعة، وهذا الذي قال أبو الفرج كلام صحيح مقبول.

ولمسكين الدارمي في معنى قوله لا أغار حتى أرى:

وإني امرؤ لا آلف البيت قاعدا ... إلى جنب عُرْسي لا أفارقها شبرا
ولا مُقْسِمٌ لا تبرحُ الدهرَ بيتَها ... لتجعله قبل الممات لها قبرا
إذا هي لم تَحْصُن أمام فنائها ... فليسَ يُنَجّيها بنائي لها قصرا
ولا حامل ظني ولا قول قائلٍ ... على غيرة حتى أُحيط به خُبْرا
فهَبْني امرُؤ راعيتُ مادمت شاهدًا ... فكيف إذا ما سرت عن بيتها شِبْرا

وقال أيضا في مثل ذلك:

ألا أيها الغاير المستشيط ... علام تَغارُ إذا لم تغر
تغار على الناس أن ينظروا ... وهل يفتنُ المحْصَنات النظر
وما خبرُ عُرْسٍ إذا خِفتها ... وبتّ عليها شديدَ الحَذَر
إذا الله لم يُعطِها عِفّةً ... فلن ينفعُ البعلَ سَوطٌ مُمَر
ومن ذا يراعي له عرْسه ... إذا ضمه والمطي السّفر؟!

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد باب الخيلاء في الحرب، والنسائي في سننه كتاب الزكاة باب الاختيال في الصدقة، وابن ماجة في سننه كتاب النكاح باب الغيرة، وأحمد في مسنده ٢/ ٤٤٥- ٤٤٦، وابن حبان في صحيحه ٧/ ١٢٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب الغيرة، ومسلم في صحيحه كتاب التوبة باب غيرة الله تعالى.

الزبير في الموفقيات قال: قال علي رضي الله عنه لولده: يابني إياك والغيرة في غير موضعها؛ فإنها تدعو الصحة إلى السقم، ولكن أحكم أمرهن، فإن رأيت ذنبا فاجعل النكير على الصغير والكبير، وإياك أن تعيّرهن لذنب فيهون عليهن العيب!

وقال بعض الحكماء: الغيرة جبلّة جَبَل الله عليها بني آدم وجميع الحيوان، ولذلك نرى العَيْر [1] يقاتل عن العَانَة كل فحل يعرض لها. غير أن طباع الناس مُخْتَلِفٌ فيها: فمن مُفْرِط آخذ بالظنة، ومن مُتَغَاضٍ مُخِل بالدّين والمروءة، وكلا الطرفين ذميم، وخير الأمور أوساطها.

• نماذج للإفراط في الغيرة!

وممن كان مفرطا في الغيرة «عقيل بن علقمة» له مع بناته ونسائه في ذلك أخبار تشبه فعل الحمقى. وكان سليمان بن عبد الملك أيضا كذلك.

• دير الخصيان!

صاعد في الفصوص بسنده إلى ابن الكلبي قال: كان سليمان بن عبد الملك من أشد الناس غَيْرة فخرج يريد بيت المقدس بنسائه وثقلته فنزل في غور البَلْقاء في دير من ديارات الرهبان وذلك ليلة كمال البدر وفي جنده فتى من كلب يسمى سنانا وكان من قوم يقال لهم بنو كلب وكان أحسن الناس وجها، وأنداهم صوتا وكان أبلى به مرارا بين يديه، فلما كان في تلك الليلة دعا فتيانا فأضافهم وسقاهم النبيذ فلما أخذ فيهم الشراب دفع سنان صوته يتغنى بهذه الأبيات:

محجوبة سمعت صوتي فأرّقها ... من آخر الليل لما بلها السَّحَرُ
تدنى على فخذيها من معصفرة ... والحلى منها على لبّاتها حَصر
لم يحجب الصوت أغلاق ولا حرس ... فدمعها بطروق الصوت مُنحَدِرُ
في ليلة البدر ما يدري مُضَاجِعُها ... أنُورُ غرتها أبهى أم القمر؟!
لو خُلّيَتْ لمشَت نحوي على قدم ... تكاد من رقةٍ للمشي تَنْفَطِر

وكان سليمان مع جارية له وكان معجبا بها فلما سمع الأبيات نهض وهو يُرْعَد حتى كشف عنها سِتْرها، فوجدها على الهيئة المذكورة في الأبيات، فلما رآته والغضب يتردد في وجهه علمت أن ذلك منه غَيرة لما قد سمع من الرجل فقالت في نفسها: إن لم أترجم عن نفسي وإلا قتلني ويقتل الرجل من بعدي فقالت: قاتل الله القائل:

ألا رُبّ صوتٍ رائعٍ مِنْ مُشَوّهٍ ... قبيح المُحَيّا واضعِ الأب والجَدّ
قصيرُ نِجادِ السيفِ جَعْدٌ بَنانُه ... إلى أمه فدعاء يُنْسَبُ أو عَبْدُ

فقال لها سليمان بن عبد الملك: أما إنه على ذلك لقد راعك صوته، فقالت: يا أمير المؤمنين، وافق صوتُه مني استيقاظًا فأصغيت إليه، فلما سمع سليمان بن عبد الملك كلامها بقي يرعد كأنه السعفة في يوم ريح عاصف، وشدّ بيده على قائم سيفه وقال: أما والله لأقتلنه أو لأنكلنّ به نَكالاً يتعظ به من سواه من الأوغاد. ثم بعث من أتى به مُوثَقًا مُصَفّدًا في الحديد. فقال سليمان: من أنت؟ ثكلتك أمك! فعرفه نفسه فأنشأ سليمان إذ ذاك يقول:

---

[1] العَيْر: حمار الوحش: والعانة الأنثى.

إن سنانا ثكلته أمه وخاله يثكله وعمه
ثم بني كلب جميع قومه وسوف سِراعًا تُفْجَع فيه أمه
كان لها ريحانة تشمه فسوف يلقى بعد ما يَغُمّه

ثم قال له : يا وغد، أما إني لا أقتلك، ولكني أنكل بك فأمر به فخصى وسمي ذلك الدير به «دير الخصيان» انتهى ما ذكره صاعد. ويقال: إن هذه القصة هي السبب في أن كتب سليمان بن عبد الملك إلى عامله على المدينة وهو ابن حزم وأمره أن يخصي جميع من بالمدينة من المخنثين فخصى الدلال المخنث وغيره[1]. قال الأصبهاني في «كتاب أفعل»: لما أحضر سليمان بن عبد الملك بالشخص الذي غنى الأبيات ليخصيه كلّمَهُ فيه عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فقال له: اسكت فإن الفَرس تَصْهَل فتستودق له الحجر، وإن الفحل يهدر فتضبع له الناقة وإن الرجل ليغني فتشتاق له المرأة ثم خَصَاه. قال الأصبهاني أيضا في الكتاب المذكور: إن سليمان بن عبد الملك كتب إلى ابن حزم عامله على المدينة أن يُحْصِي المخنثين الذين بالمدينة بالحاء المهملة أي يعدهم ليرى فيهم رأيه، فوقع للكاتب نقطة على الحاء فصيرتها خاء معجمة فلما وصل الكتاب إلى ابن حزم خصاهم من ساعته، ويقال: بل كتب إليه بخصائهم على الحقيقة من غير إشكال ولا تراجع في أمزهم. قال: فلما خصى طويس قال: «الآن أعيد علينا الختان الأكبر فليت هذا من أول» فقال له المخنث الدلال: بل هو الختان الأكبر الذي لابد منه لكل مخنث أبتر، فقال «نسيم السحر» : الآن صرنا مخنثين خصيانًا حقًا، فقال «نوم الضحى»: يا نسيم بل والله كنا مخنثين فسرنا نساء، فقال له «جامع الأنس»: ياقوم والله استرحنا من حمل ميزاب البول، فقال «غصن البان»: اقصروا عن الكلام إنكم والله حمقى مجانين فما الذي نصنع بسلاح لا ينفع؟! انتهى ما ذكره الأصبهاني.

• مجانين العقلاء :

قال سهل بن هارون : ثلاثة من المجانين وإن كانوا عقلاء : الغَيْران والغضبان والسكران. وكان الخليع الشاعر حاضرا فقال له: والمنعظ يا أبا عمرو فقال: «والمنعظ» وضحك. وأنشأ يقول :

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصحبينا

نهاية درامية!

قال : وقد تنتهي الغيرة وحب المرأة بالرجل إلى أن يوصي المرأة عند وفاته أن لا تنكح أحدا بعده ولا تنكح فلانا بعينه، ويحلفها على ذلك وأيضا ربما يُحَلّف فلانا أنه لا ينكحها وذلك من غاية الحُمق والسّخَف إنما هو إغراء لها بنكاحه وتنبيه لكل واحد منهما على الفكرة في أمر صاحبه. قال ابن الساعي في تاريخه: كانت فاطمة بنت الحسين بن علي رضي الله عنه وهي أخت سُكَينة عند الحسن بن الحسن بن علي وكان محبا لها فلما احتُضِرَ قال: إنك امرأة مرغوب فيك وكأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان قد جاء خلف جنازتي على فرس مُرَجّلا شعَره، لابسًا حُلّته يسير في جانب الناس يتعرض لك، فانكحي من شئت غيرَه فإني لا أدع ورائي من الدنيا همًّا غيرَك وحلفها بالأيمان المغلظة: من العتق والصدقة على ذلك فلما مات الحسن جرى الأمر على ما وصفه قبل وفاته. قال: وكان يقال

(١) يروى من باب التندر بما يحدثه التصحيف أنه أرسل إليه: (أن أخصِ ما عندك من المخنثين) ليتخذ فيهم رأيًا. فسرب التصحيف إلى الكلمة فقرئت: (أخصِ). وذلك كما في (بعل) و(بغل).

لعبد الله بن عمرو بن عثمان المطرف لحسنه وجماله فرآها حاسرة وهي تضرب وجهها فأرسل إليها أن لا تضربي وجهك فإن لنا به حاجة فارفقي به، قال: فاسترخت يداها، وعرف ذلك فيها ثم عوضها مكان كل مملوك حلفت به مملوكين، ومكان كل شيء شيئين ثم تزوجها فولدت له الديباج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وهو الذي قتله أبو جعفر المنصور وكانت وفاتها هي وأختها سكينة في سنة واحدة.

وذكر الرقيق في قطب السرور : أن الهادي كان اشترى أمته أمة العزيز وهي تسمى «غادر» بمائة ألف دينار، ويقال : إن الربيع أهداها له ولم يكن في زمانها أجمل منها ولا أحسن غناء ولا أجمع لكل فن يحتاج إليه من مثلها. قال: وكان الرشيد يهواها ويكتم ذلك وكان الهادي ينومها في حجره ولا يوقظها حتى تنتبه من نومها لشدة محبته لها، فبينما الهادي ذات يوم جالس معها إذ استؤذن عليه لأخيه هارون، فأسرعت إلى بعض المواضع القريبة وأسرعت في مشيها، ودخل الرشيد على أخيه الهادي فسلّم عليه وجلس بين يديه فقال له الهادي: يا هارون، قد حدثتني نفسي بشيء وهو يجول في فكري وقد تنغص له عيشي فقال له: ما هو يا أمير المؤمنين؟

لا نَغّص الله لك عيشا! فقال له : يا هارون، إنه قد وقع في خلدي أنني أموت قريبا، وأنك تتزوج امرأتي «أمة العزيز» من بعدي، فقال الرشيد: بل يجعلني الله فداك ويقدمني قبلك يا أمير المؤمنين لا يخطر لك هذا على بال فبئس الظن هذا، ولا أسمعني الله فيك سوءًا ولا أفجعني فيك، فقال الهادي: دعني من هذا فهو ما أخبرتك! فقال الرشيد: وما الذي يُزيل هذا من قلبك؟ فقال له: الأيْمان والعهود والمواثيق، فأعطاه ما أراد من الطلاق والحج ماشيا والعتق والصّدقة وكل يمين مؤكدة فكأن موسى الهادي قد سكن ما به لذلك، ثم لم يلبث الهادي إلا أياما قلائل حتى مات وأرسل لها الرشيد من ساعته يعرض لها بالخطبة فأذكرته ما كان حلف به فقال لها: ما أهون ذلك! أحج وأطلق وأتصدق وأعتق فطلق زبيدة طلقة انعزل بها عنها وأعتق حسينا ومسروقا الخادمين، وتصدق بثمانين ألف دينار، وحج في تلك السنة ماشيا، وكانت تفرش له اللبود ميلا ميلا، فيقال: إنه خرج في أول الحول فوصل في آخره، وتزوج «أمة العزيز» لما قضى حَجّته، فأقامت عنده يسيرا فبينما هو ذات ليلة وهي نائمة ورأسها في حجره إذ انتبهت فزعة مرعوبة مذعورة فاستخبرها عن شأنها فقالت: يا أمير المؤمنين رأيت الهادي أخاك وقد أخذ بعِضَادَتي[1] هذا الباب وتأوه وأنشد يقول:

إن امـــرَءًا أغـــره مِـنْـكُـن واحـــدةٌ ... بعدي وبـعـدكِ فـي الدنيا لمغرور

أنسيتَ عَـهْـدي ولـم تعبأ بموثقتي ... تـبـا لفعلك والـمـقـود مَـهْـجُـورُ

فـلا تهني بـمـا أصـبـحـت راضـيـة ... فـكـل حـي عـلـى الأرغـــام مقبور

قال : فأقامت بعد هذا كله عامًا، وقيل شهرًا، وقيل جمعة وماتت .

• غيرة المرأة على الرجل!

قال المؤلف رحمه الله وغفر له : وأما غيرة المرأة على الرجل فلا تبلغ وإن أفرطت مبلغ غيرة الرجل على المرأة، ولذلك أحل الله للرجل وطء أربع من النساء ووطء ما شاء من السراري لما علم

---

(١) العاضدتان: خشبتان مثبتتان في الحائط على جانبي الباب.

أن في صبر المرأة محتملا، ولم يجعل للمرأة أن تنظر إلى غير زوجها، لما علم أن صبره لا يحتمله، مع حكم أخرى. قال بعضهم: ولذة المرأة على قدر شهوتها وغيرتها على قدر لذتها. وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «ما تدري الغيرى أعلى الوادي من أسفله» [1]. وقالت عائشة رضي الله عنها دخل عليَّ رسول الله ﷺ ذات يوم ومعه ولده إبراهيم فقال: انظري يا عائشة شبَهَه بي، قالت فحملني ما يلحق النساء من الغيرة على أن قلت ما أرى شبها. وفي صحيح مسلم عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبى، قالت: فقلت: ومن أين تعرف ذلك يا رسول الله؟ قال: إذا كنت راضية فإنك تقولين لا ورب محمد وإذا كنت غضبى قلت لا ورب إبراهيم، قالت: قلت: أجَلْ يا رسول الله والله ما أهجر إلا اسمك» [2].

• حكم غيرة النساء وهل هي مسموح بها؟

قال عياض في الإكمال : مغاضبة عائشة لرسول الله ﷺ إنما هي من الغيرة التي عفى عن النساء فيها حتى لقد ذهب مالك وغيره من علماء المدينة على إسقاط الحد عن المرأة إذا قذفت زوجها على وجه الغيرة، واحتجوا على ذلك بالحديث الذي قدمناه نحن وهو قوله ﷺ: «ما تدري الغيرى أعْلى الوادي من أسفله». ولولا هذا لكان على عائشة في مغاضبتها لرسول الله ﷺ أعظم الحرج لأن الغضب على النبي ﷺ وهجره كبيرة لمن فعله. ألا ترى إلى قولها إنما أهجر اسمك فدل ذلك على أن قلبها لم يَهْجُره وإنما كان ذلك منها غيرة لفرط محبتها فيه ﷺ.

وقال الطبري في بعض كلامه: الغيرة من النساء مسموح لهن فيها ولا تنكر من أخلاقهن ولا يعَاقَبْن عليها، لأنهن فُطرن عليها، ولا يملكن أنفسهن عندها وذكر الحديث المتقدم «لا تدري الغيرى أعْلى الوادي من أسفله»! ومثل حديث عائشة المتقدم قول عمر لحفصة رضي الله عنهما: أتراجعين رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم، قال: أتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم، قال: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر، وهو من هذا الباب.

وخرج مسلم عن أنس وذكر حديث صفية حيث صارت في مَقْسَم دِحية وأن رسول الله ﷺ أرضاه عنها، وضرب عليها قُبتَه في السفر فابتنى بها وأوْلَم عليها قال: فلما رجعنا ونظرنا إلى جدر المدينة هششنا إليها ودفعنا مطينا، ودفع رسول الله ﷺ مطيته وصفية خلفه قد أردفها فعثرت مطية رسول الله ﷺ وصُرِعت قال: فليس أحد من الناس ينظر إليه ولا إليها حتى قام رسول الله ﷺ يَسْتُرها فأتينا إليه فقال: لم نُضَرّ قال: فدخلنا المدينة فخرج جواري نسائه يتراءينها ويشمتن بصرعتها وهن ينظرنها ويشتفين. قال عياض: ذلك لما أجبل عليه الضرائر من الغيرة لا سيما بالطارئة عليهن. النسائي: عن أنس بن مالك قال: قالوا: يا رسول الله، ألا تتزوج امرأة من الأنصار؟ قال: «إن فيهن لغيرة شديدة» [3].

• مواقف وأقوال!

صاحب نثر الدرر قال : قال عبد الله بن جعفر لابنته: يا بنية، إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وإياك والمعاتبة فإنها تورث الضغينة، وعليك بالزينة، واعلمي أن أزين الزينة الكحْل، وأطيب الطيب

---

(١) أخرجه عبد الرازق بنحوه كما في كنز العمال ١٣٥٠٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب في فضل عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه النسائي في كتاب النكاح آداب المرأة الغيراء ٦/ ١٩.

الماء، وقد قدمنا هذا الأثر في باب الزينة. قال هشام بن حسان: كانت حفصة بنت سيرين أخت محمد ابن سيرين تقول: أما تَسْتَحي الحُرّة أن تَغَار؟! قال: وأرادت يوما أن تدخل إلى بيتها فإذا زوجها مع جارية له على فراشها فأغلقت عليهما الباب وانصرفت فلما كان بعد أيام ضرب الجارية، فقالت له: أتضرب العروس فضحك، وقال: قد علمت أنك قد عرفت والجارية لك. الزبير في الموفقيات: عن عبد الله بن نافع عن عبد الله بن مصعب قال: شكا إليّ هارون الرشيد وهو ولي عهد أن «أم جعفر» لا تحمل فقلت له: أغِرْها وحدثته حديث إبراهيم النبي ﷺ في سارة أنها كانت لا تحمل فاتخذ هاجر فحملت بإسماعيل فغارت سارة فحملت بإسحاق. قال: فاتخذ هارون الرشيد مراجل فحملت بالمأمون وحملت زبيدة بالأمين. انتهى ما ذكره الزبير. وكان الرشيد يبجل أم جعفر ويعظمها وكان يقول: ربما أردت غشيانها، فأهابها فيأخذني الزمع فيمنعني منها ولولا رغبته في الولد لم يُغِرْها بالتسري عليها. قال: وكانت تقول إياك أن تجعلني في منزلة إمائك التي تريد التلذذ والتمتع بهن قال: وكنت أهاب الجلوس على فراشها مع جليل موقعها من قلبي وإعظامًا لها .

وأنشد أبو تمام في الحماسة : وذكر أنها لبعض الحجازيين ونسبها غيره لعمر بن أبي ربيعة:

خبروها بأنني قد تزوجت ... فظَلّت تكاظم الغيظ سرا
ثم قالت لأختها ولأخرى ... جلد ألْيته تزوج عشرا
وأشارت إلى نساء لديها ... لا ترى دونهن للسر سترا
ما لقلبي كأنه ليس مِنّي ... وعِظامِي أخال فيهن بَتْرا
من حديث نما إليّ فظيعٍ ... خلت في القلب من تَلَظّيه جَمْرا

الباب الخامس والعشرون

يشتمل على مُلَح من مُلح المفاكهات والمطايبات [1] يَتعلق جميعها بالنكاح

• ذات النحيين وخوّات!!

حمزة بن الحسن الأصبهاني في كتاب «أفعل» قال: حضر خوّات بن جبير رضي الله عنه سوق عكاظ فوجد امرأة قد عرضت أنْحَاءَها [2] للبيع ففتح نِحْيًا منها ونظر إليه وجعله في إحدى يَدَيْها ثم فَتَح آخر ونظر إليه وجعله في يدها الأخرى فلما شغل يديها بهما رفع رجليها وأقبل على عمله [3] وهي لا تقدر أن تدافعه حفظا لما في النّحيين، فلما قضى شغله؛ قام عنها، فقالت له: لا هَنَئْتَ!! فضرب بها المثل: «أشْغَلُ من ذَاتِ النِّحْيَيْن، وأظْلَم مِنْ خَوّات» [4] . قال: وكان خَوّات من فُتّاك العرب

---

(١) ما تطيب به النفس عند سماعه. والمطايب: الخيار من كل شيء ولا واحد لها من لفظها أو واحدها مطيب كما جاء في القاموس المحيط.

(٢) الأنحاء جمع نِحْي بكسر النون وهو زِقّ السَّمن (وعاؤه) ومنه المثل أشغل من ذات النحيين.

(٣) مارس الجنس معها. وقال ابن السكيت في إصلاح المنطق: هي من تيم الله بن ثعلبة وكانت تبيع السَّمن في الجاهلية وخوّات بن جُبير أنصاري. وقد ذكر ابن السِّكيت في إصلاح المنطق خمسة أبيات له يتحدث فيها عن تلك التجربة.

(٤) ذكره أبو هلال العسكري في كتاب جمهرة الأمثال مثل رقم ١٧٦٩ ص ٣٢١، ٣٢٢.

فلما أسلم قال النبي ﷺ: «يا خوات، ما فعل بعيرُك الشَّارد؟» قال: قيّده الإسلام يا رسول الله! قال أبو عمرو في الاستيعاب: وفي هذه القضية يقول خوات:

فَشَدَّتْ عَلَى النِّحيين كفًّا ضَنِينَةً على سَمْنِها والفَتْكُ من فَعْلاَتي

قال: وهو خوات بن جبير بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس الأنصاري الأوسي أسلم وكان أحد فرسان رسول الله ﷺ. وذكر يعقوب بن السكيت القصة في إصلاح المنطق: بأوعب من هذا قال: إن ذات النِّحْيَيْن من بني تيم الله بن ثعلبة.

قال الرشاطي في اقتباس الأنوار، وذكر عمر بن شبة في كتاب أخبار المدينة أن رسول الله ﷺ رأى في بعض غزواته خَوّاتًا مع نسوة يحدثهن عند أراكٍ مَرّ الظهران [1] فقال له رسول الله ﷺ: «ما لَكَ يا عبدَ الله؟ قال: ألْتَمِسُ طلقا [2] لبعيري وقد عرف رسول الله ﷺ أنه لا بعير له ولا ناقة فقال له: أما ترك بعيرك شِرادَه؟» فاستحى خوات وجعل رسول الله ﷺ يُكرّرُ ذلك عليه ممازحًا [3].

• قالت: ... فاحملني معك فإني لا أطيق الصبر عنك!

ذكر الكلبي قال: كان حممة بن رافع الدّوْسي من أجمل العرب وكانت له جُمّة [4] يقال لها «الرطبة» وكان يغسلها بالماء فإذا كمل لها يومان حلّها فتملأ جلساءه طِيبًا. قال: وحج على فرس له فرأته الخَنَاس الكنانية وكان يقال لها: الجُمانة [5] لجمالها وكانت عند رجل من بني كنانة فوقع حبه في قلبها، فقالت له: من أنت فوالله ما رأيت أحسن من وجهك، ولا من شعرك، ولا من فرسك فمن تكون؟! قال: امرؤ من الأزد. قالت: فإنك حَمّلتني ما لا أطيق! ووقعتَ من قلبي مَوْقِعًا فاحملني مَعَك، فإني لا أطيق الصبر عنك. قال: فحملها إلى بلده فولدت له «عمر بن حممة» وخرج زوجها الأول في طلبها فلم يقدر عليها وسمع أنها ولدت فقال:

أَلا حَيِّ الخَنَاسَ على قِلاها وإن شَطَّت وإن بَعُدَت مَداها

وقد نُبِّئْتُها ولدت غلامًا فلا شبّ الغلام ولا هَنَاها [6]

وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذين البيتين فقال: قد شب وقد هناها على رغم أنفه.

• إن مثلي لا ينكح هكذا!

الرشاطي في كتابه المسمى باقتباس الأنوار والتماس الأزهار وأضفت إلى كلامه نبذة من كلام غيره قال: كان «مسيلمة بن حبيب الحنفي» قد تسمى في الجاهلية «بالرحمن» فلما بعث رسول الله ﷺ أرسل يدعوه إلى الإسلام فلم يرجع عن كذبه وقال: «كلانا نبي فإن آمن بي آمنت به»، ثم توفى رسول الله ﷺ وتخاذلت بنو تميم في أمر الرِّدة واختلفوا اختلافا شديدا فهم على ذلك إذ قامت

---

(١) الأراك شجر يؤخذ منه السواك. ومر الظهران مكان ويقال له: (بطن مرّ) على مرحلة من مكة.

(٢) الطَّلق: الناقة غير المقيدة. ويقول ابن السّكيت: إنه أسلم وشهد بدرًا فقال له رسول الله (ص): (يا خوات، كيف شِرادُك؟ وتبسم رسول الله فقال: يا رسول الله، قد رزق الله خيرًا، وأعوذ بالله من الحَوْر بعد الكور).

(٣) ذكر تلك القصة ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٤٠٧.

(٤) الجُمّة بالجيم المضمومة والميم المشددة: من الإنسان مجتمع شعر ناصيته، وما ترامي من شعر الرأس على المنكبين.

(٥) الجُمان بضم الجيم اللؤلؤ. وحب يصاغ من الفضة على شكل اللؤلؤ. والواحدة جمانة ومن هنا كانت التسمية.

(٦) القلى: الكراهية. شطت: بعدت. والنوى: البعد.

فيهم «سَجَاح بنت سويد بن يربوع» تدّعي النبوة في فُرسان تَغْلب فأتاهم أمر عظيم مما كانوا وكانت تقول: إن ما نزل عليها في الكتاب: «يأيها المؤمنون لنا نصف الأرض ونصفها لقريش ولكنهم قوم لا يعدلون» فاتفقت بنو تميم كلها على نُصْرتها وفيهم رؤساء الناس وسادتهم مثل «الأحنف بن قيس» و«حارثة بن بدر» و«عطارد بن حاجب» ونظرائهم ، وفي ذلك يقول عطارد:

أضحت نبيّتُنا أنثى نَطِيفُ بها ... وأصبحت أنبياءُ الله ذُكرانا

وكان مؤذنها «شبث بن ربعي»، فقالت لتميم مَرّةً: «اسمعوا وَعُوا واستوعوا ما أنزل عليَّ فإن فيه شفاءً لما في صدوركم» ثم قالت: «أيها الناس أعدوا الرِّكاب واستعدوا للنِّهاب ، ثم اغدوا على الذئاب؛ فليس من دونهم حجاب»، ثم عمدت إليهم فقتلت منهم قتلا ذريعا، ثم قالت لهم بعد ذلك سورة أخرى: «اقصدوا اليمامة» فقيل لها: إن شوكة أهل اليمامة شديدة وقد استفحل أمر مُسَيْلمةَ فقالت: إنه أنزل عليّ «يا معشر تميم اقصدوا اليمامة ودفُّوا إليها دَفيفَ الحَمامةُ [١] فاضربوا فيها كل هامة [٢] وأضرموا [٣] فيها نارًا ملهامة [٤] لن يلحقكم بعد ذلك مَلامة». قال: فتوجهت «تميم» معها إلى «اليمامة» فلما سمع «مسيلمة» الخبر ضاق به ذرعا وتحصّن في حجر قصبة اليمامة ثم أحاطت جيوشها به فأرسل إلى وجوه قومه واستشارهم في أمره، وقال: «يا معشر ثقيف، ما تقولون في هذه سجاح التغلبية؟ فقالوا: الرأي أن تُسَلّم الأمَر إليها وتنجوَ بنفسك فإن لم تفعل فهُوَ البَوَار [٥]! فقال لهم: سأنظر في أمري! ثم إنه أرسل إليها كتابًا يقول فيه: «أما بعد فإنه أنزل عليك وحيٌ وأنزل عليّ وحي فهلمَّ نتدارس ما أنزل علينا، فمن غلب صاحبَه اتّبَعَه الآخر، ونكون لَحمة واحدة ونأكل العرب بقومي وقومك» فلما وصلت الرسالة إلى «سَجاح» أجابته إلى ما طلب فأمر فضُرِبَ له قُبّة من أدم [٦] وأمر بالعود المَنْدلي [٧] فأحرق وقال: استكثروا لها من الطيب فإن المرأة إذا شَمت الطيب تذكرت الباءة [٨]. قال: فأتته إلى القبة، وسألته عما أنزل عليه فقال: «ألم تر إلى ربّك كيف فعل بالحُبْلى؟! أخرج منها نَسَمة [٩]. تَسْعى من بين صفاق وحَشى [١٠]، وأمات وأحيا وإلى الله المنْتَهى»، فقالت: ثم ماذا قال: «ألم تر أن الله خلقنا أفْواجا، وجعلَ النساء لنا أزواجًا نُولج فيهن إيلاجًا [١١]، ونُخْرج منهن إذْا شئنا إخراجا» فضحكت ثم واقعها. قال: فلما قام عنها قالت:: إنّ مثلي لا يُنْكَحُ هكذا فيكون وصمة على قومي!! ولكني مُسَلّمة إليك النبوة فإذا سلمتُها إليك فاخطبني إلى أوليائي. قال: فكان كذلك وخرجا؛ فاجتمع الحيّان «حنيفة» و«تميم» فقالت سجاح: إنه قرأ ما نزل من الوحي فوجدته حقًّا فاتبعته، قال: فتزوجها. وسألوه عن المهر فقال: قد وضعت عنكم صلاةَ العَصْر [١٢] قال الرشاطي: فبنوا تميم إلى الآن بالرمل لا يصلون صلاة العصر ويقولون: هو حق لنا ومهر كريمة لنا لا نرده. قال الفنجديهي في كتابه: هي سجاح بنت الحارث بن سويد وتكنى بأم صادر أسلمت في أيام معاوية وحسن إسلامها.

• إذا أزخيت الستور انكشف المستور!

أبو الفرج في الأغاني قال: خرجت أنا والسيد الحِمْيري فلقيتنا بنت الفُجاءة بنت عمرو بن قَطَري

---

(١) الدفيف: السير اللين ودف الطائر دفا ودفيفًا تحرك ورجلاه في الأرض أو ضرب جنبيه بجناحيه.
(٢) الهامة: الرأس. (٣) أضرموا: أشعلوا. (٤) ملهامة: تلتهم كل ما يصادفها. (٥) الهلاك والهزيمة والخيبة والفشل.
(٦) من جلد. (٧) نوع من الطيب والبَخور. (٨) تحركت فيها دواعي الشهوة.
(٩) النَّسَمة: كل كائن حيّ فيه روح. (١٠) الصفاق: الجلد الباطن تحت الجلد الظاهر. وغشاء ما بين الجلد والأمعاء (الحشى).
(١١) الإيلاج: الإدخال. (١٢) أي رفعها عنهم احتفاء بالمناسبة السعيدة.

ابن الفجاءة وكانت امرأة برزة [1] حسناء فاستوقفها السيد وأنشدها من شعره فأعجب كل واحد منهما بصاحبه ثم خطبَها فقالت له: كيف يكون هذا ونحن على ظهر الطريق؟ فقال لها: يكون مثل نكاح أم خارجة قيل لها: خُطْب قالت: نِكحٌ [2]، فاستضحكت ثم قالت: سأنظر في هذا وعلى ذاك من أنت؟ فعرّفها بنفسه؛ فقالت: لا شيء أعجب من هذا يماني وتميمية، ورافضيّ وإباضية [3] فكيف يجتمعان؟ قال: نجتمع ولا يذكر أحدٌ مِنّا مَذهبَه ولا سَلَفَه فقالت: أما علمت أنه إذا أرخِيَت الستور انكشف المستور، وظهرت خَفِيّات الأمور. قال: فأعرض عليكِ أخرى. قالت: وما هي؟ قال: المتعة التي لا يعلم بها أحد! [4] فقالت: تلك أخت الزنا! فقال لها: أعيذك بالله أن تكفري بعد الإيمان! قالت: وكيف ذلك؟ فقال: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [5] [النساء:٢٤] قالت: أستخير الله، وأقلدك، وسارت معه فقضى حاجته منها، وبلغ أمرُها أهلَها من الخوارج، فكانوا يتوعدونها بالقتل فكانت تواصله مستخفية من أهلها متى وجدت سبيلًا إلى ذلك.

• شتان بين خارجية وخارجية!

فشتان ما بين هذه الخارجية والخارجية التي يقول فيها قطَرِيّ:

لعمُرك إني في الحياة لزاهد ... وفي العيش ما لم ألق أم حكيم

كانت أم حكيم هذه حسناء جميلة مُبَغِّضَةٌ للرجال ولم يبق أحد من أشراف الخوارج حتى خطبها وهي تردُّ جميعَهم وقالت:

ألا إن وجهي أحسنَ الله خَلْقَه ... لأجْدر أن يلقى الحسن به جامعا

وأكرم جِسْمي عن أن ينالَ تمتُّعًا ... به فَحْلُ سوءٍ هَمُّه أن يُجامعا

• قصة مثل!

وقوله: في هذه الحكاية «يكون كنكاح أم خارجة» ذكر البكري أن المثلَ يُضْربُ بها فيقال: «أسرع من نكاح أم خارجة» وكانت حسناء مقبولة وكان الرجال يرغبون فيها ولا يصبرون على ما تطالبهم به من الباءة فيطلقونها. قال: ويُروَى أن بعض أزواجها طلّقها فرحل بها ابنها عن حَيِّه إلى حَيِّها فتبينت راكبا وهو مقبل فقالت لابنها: هذا خاطب يخطبني أفتراه يعاجلني قبل أن أحل له ماله أَلْ وغُلّ [6]. قال: وقد ولدت في عدة بطون من العرب حتى لو قال قائل: إنه لا يكاد يتخلص من ولادتها كثير من الناس لكان قد قارب.

الرشاطي في اقتباس الأنوار والتماس الأزهار قال: كان حنظلة بن مالك بن زيد مناة

---

(١) تلقى الرجال ولا تحتجب عنهم.

(٢) قال في المعجم الوسيط: خطب (بضم الخاء وكسرها. كلمة للعرب تتزوج بها في الجاهلية: يقول الرجل: (خِطْبٌ فيقال له: نِكْحٌ).

(٣) الرافضي من يذهب مذهب الرافضة (فرقة من الشيعة تجيز الطعن في الصحابة) سُموا بذلك؛ لأن أوليهم رفضوا زيدًا بن على حين نهاهم عن الطعن في الشيخين. جمعه روافض. والإباضية: فرقة من الخوارج - كما يقول المعجم الوسيط - شاع أمرها في أواخر الدولة الأموية تنسب إلى عبد الله بن إباض التميمي.

(٤) حرم نكاح المتعة بعد أن أحِلّ ساعة من نهار في الحرب.

(٥) وقد جاء في مختصر تفسير الإمام الطبري قيل: عني به نكاح المتعة، ثم حُرّم.

(٦) قال في أساس البلاغة للزمخشري: ومن المجاز قول الأعرابية في خاطبها: أَلْ، وغُلْ اهـ. وهي هنا تعني عقد النكاح وما فيه من الارتباط والتملك.

ابن تميم قد كبر وأسَنّ وكانت عنده [1] «جندلة بنت فهر بن مالك» وكانت امرأة ضخمة جميلة فأصابتهم ليلة ريح ومطر فخرجت لتصلح بيتها وكان عليها صَدَارٌ لها فأكبت على الطُّنُب [2] وبَرقت برقةٌ فأبصرها مالك بن عمرو بن تميم وهي منحنية وقد تكشفت فوثب عليها وخالطها فلما فرغ منها قالت:

يا حنظلَ بنَ مالِك لحَرّها شفى بها من ليلةٍ وقُرّها [3]

قال: فأقبل بنوها وزوجُها: فقالوا لها ما لك؟ قالت لُدِغْتُ قالوا: أين؟ قالت: «حيث لا يضع الراقي أنفسه» فذهبت مثلا. أبو علي في الأمالي قال: كان لهمام بن مرة بن ذُهْل بن شيبان ثلاثُ بنات فعَنَّسَهُنَّ ومنعهن التزوج قال: فتحدثن فيما بينهن في ذلك فقالت الكبرى: الآن أقول بيتًا من شعر ليطلق سراحَنا فلما جاء أبوها استقبلته بوجهها وقالت:

أهمامُ بنُ مُرّة إن هَمّي قَنْفاءَ مُشْرفةِ القَذَالِ

فقال همام: قنفاء مشرفة القذال. لعلها تصف فرسًا، فقالت الوسطى: ما صنعت شيئًا ينفعك، ولا ينفعنا!! ثم تقدمت إلى أبيها وقالت:

أهمام بنُ مرةَ إن هَمّي إلى اللائي يكُنَّ مع الرجال

فقال همام: يكون مع الرجال الذهب والفضة، فقالت الصغرى: ما صنعتما شيئًا وقالت:

أهمامُ بنُ مُرّةَ إن همي إلى عَرْدٍ أُسُدُّ به مَبالي

قال همام: قاتلكن الله، والله لا أمسيت أو أزوجكن، فزوجهن!

جاء في حديث خرجه أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد البلل ولا يذكر الاحتلام فقال: «يغتسل» وسئل عن الرجل إذا احتلم ولا يجد بللا فقال: «لا غُسلَ عليه» فقالت أم سليم: المرأة ترى ذلك أعليها الغسل؟ قال: «نعم. ثم قال: إنما النساء شقائق الرجال» [4]. قال عبد الحق في الأحكام: يروى عن عبد الله بن عمر العمري وليس بقوي في الحديث. قال: وهذا اللفظ «إنما النساء شقائق الرجال» قد روي فيما أعلم من حديث أنس بن مالك بإسناد صحيح. والحديث الذي أشار إليه عبد الحق هو ما خرجه البزار عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأت المرأة الماء فلتغتسل فقالت أم سليم: يا رسول الله وهل للمرأة من ماء؟ قال: فأنى يُشْبِهُهُنّ الولد؟ فإنما النساء شقائق الرجال» [5].

• هند بنت النعمان وعدي بن زيد!

أبو الفرج في الأغاني قال: كانت «هند بنت النعمان بن المنذر» من أجمل أهل زمانها، وأمها مارية الكندية وكانت تدين بدين النصرانية فخرجت في خميس الفصح لتتقرب في «البِيعة» [6] ولها حينئذ

---

(١) أي زوجة له.

(٢) الصَدَار: ثوب يغطي به الصدر. وأكبت: انحنت والطُّنُب: حبل يشد به الخباء والسُّرادق ونحوهما.

(٣) القُرّ: البرد.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الطهارة باب في الرجل يجد البلة في منامه حديث رقم ٢٣٦.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٦/ ٢٩٢، ٦/ ٣١٦.

(٦) البيعة بكسر الباء معبد النصارى، والجمع (بِيَع) وقد جاءت في الكتاب العزيز.

إحدى عشرة سنة، وقد كان عدي بن زيد إذ ذاك قدم بهدية كبيرة من قبل كسرى إلى النعمان وعدي إذ ذاك فتى شابا حسن الشعر، مديد القامة، حلو العينين، حسن المبسم فوافق دخول هند إلى «البيعة» دخول عَدِيّ بن زيد ليتقرب وكانت هند مديدة القامة عَبْلَة [1] الجسم فرآها عدي وهي غافلة فلم تنتبه له حتى تأملها وقد كان جواريها رأين عديًّا مقبلا فلم يُعْلِمْنَها لمَحَبّة كانت لإحداهن فيه! فلما رأت هند عَدِيًّا ينظر إليها سَبَّتْ جَوَارِيَها، ونالت منهن، ووقعت هند في نفس عدي، فلبث بذلك حولا لا يُخبر به أحدا، فلما كان بعد الحَول الثاني أرادت هند الخروج إلى «البيعة» فأسرع بعض جواريها إلى عدي بن زيد فأعلَمْنَه بذلك فخرج مبادرًا إلى «البيعة» وهو لا يصدق أن يرى هِنْدًا من شوقه إليها فتزيّا بزيّ حسن، وقد أخرج معه جماعةً من فتيان الحِيرَة فدخل البيعة فوجد هندا، وجواريَها، فقال جواريها: يا سيِّدتنا انظري إلى هذا الفتى ما أجملَه! إنه لأحسن من جميع هذه الصور، فنظرت إليه، وسألت عنه؛ فقيل لها «هو عدي بن زيد» فوقع في قلبها موقعا حملها على أن كَلّمته، وقالت لبعض جواريها: ويلك انظري كيف تجمعين بيني وبين عدي بن زيد! فإن لم أجتمع به هلكت! فبادرت الجارية إلى أبيها فأعلمته بذلك، وأخبرته خبرَها وأنها قد شُغِفَتْ به، وأن سببَ حبها إياه رؤيتُها له يوم «عيد الفِصْح» وأعلمته إن لم يزوِّجها به افتضحت، وافتضح هو بسببها، فقالت له: اخطبها ليتزوجَها، فقال لها: ويلك! فكيف أبدؤه بذلك؟ فقالت له: هو راغب في ذلك، وأنا أحاول أمره من حيث لا يعلم أنك عرفت! ثم إنها تركته وسارت إلى عدي فأعلمته الخبر، وقالت له: ادْعُه ليحضرَ عندك في وقت الراحة والمنادمة فإذا أخذ فيه الشراب فاخطبها فإنه لا يردك فيما سألْت منه، فصنع عديٌّ طعامًا، واحتفل فيه، ثم أتى النعمانَ فسأله أن يحضر عنده مع أصحابه، ففعل فلما أخذ منهم الشراب، قام عدي وخطب هندًا من النعمان، فأنعم له بها وضمها إليه بعد ثلاث. قال: ومكثت عنده حتى قتله النعمان في خبر طويل، فترهبت وحبست نفسها في الدير المعروف بدير هند في ظاهر الحِيرة [2] وهي بنته لنفسها فأقامت فيه حتى ماتت وكانت وفاتها بعد الإسلام بزمان طويل في ولاية المغيرة بن شُعبة الكوفة. وبعث إليها المغيرة يخطبها لنفسه فردّته وقالت: لو علمت أنه بقي فيّ خصلة من شباب أو جمال إلا وأرغبتك في نفسي! ولكن أردتَ أن تقول ملكت مملكة النعمان بن المنذر وملكت ابنته ونكحتها اقتدارًا وغلبة!! قال أبو الفرج في الأغاني: وقد روي أن هندا هذه كانت تهوى «زرقاء اليمامة» [3] وأنها أول امرأة أحبت امرأة من العرب .

• إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب!

ابن الجوزي في الأذكياء قال: كان عبد الله بن رواحة [4] مضطجعًا إلى جنب امرأته فخرج إلى بعض الحُجَر فواقع جاريةً له فانتبهت المرأة من نومها فلم تجده إلى جنبها فخرجت فإذا هو مع الجارية فأخذت حديدة وأقبلت إليه فألفته [5] راجعًا؛ فقالت: أما إني لوْ وجدتُك حيث كنت لوجأت [6] بها

---

(١) عبلة: ممتلئة طرية ضخمة بيضاء.

(٢) الحيرة: مدينة جاهلية قديمة، كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له: (النجف) وكانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية، ولتاريخ العرب فيها جذور عميقة، والتجمع العربي المعروف باسم التنوخ ظهر فيها قبل الإسلام، وعنها ظهر أول حكم عربي قوي يضم معظم أرض العراق وبادية الشام، ولتميم تاريخ طويل فيها.

(٣) زرقاء اليمامة: امرأة من جديس كانت تبصر مسيرة ثلاثة أيام.

(٤) عبد الله بن رواحة شاعر عظيم من شعراء الإسلام شهد كثيرًا من المغزى واستشهد في غزوة مؤتة سنة ٨ هجرية.

(٥) ألفَته: وجدته. (٦) وجأت: بقرت، وشققت، وفتحت.

بطنك فقال لها: ولم ذلك؟ فقالت: لأنك كنت مع جاريتك فأنكر ذلك. فقالت: بلى قد رأيتُك بعينيّ فلجّ في الإنكار. فقالت له: فإن رسول الله ﷺ «نهى الجنب عن قراءة القرآن» فاقرأ إذن منه ما أعلم به صدقك فقال عبد الله في ذلك:

وفينا رسولُ الله يتلو كتابَه ... كما انشق مشهورٌ من الصبح ساطعُ
أتى بالهُدى بعد العَمَى فقلوُبنا ... به مُوقِناتٌ أنّ ما قال واقعُ
يَبِيتُ يجافِي جَنْبَه عن فِراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجعُ

قال: فلما سَمِعَتْ قولي قالت: آمنْتُ بالله وكذبْت بَصري. قال عبد الله فغدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرْتُه بذلك، فضحك حتى بدت نواجذُه[1]. ومن كتاب طارد الهموم: اتفق مثل هذا لبعضهم فأمرته زوجته أن يقرأ من القرآن ما يستدل به على صدقه فقال:

شهدتُ بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماءِ طافٍ ... وفوق العرش ربّ العالمينا
وتحمله ملائكة شَدادٌ ... ملائكة الإلهِ مُسَوَّمِينَا

فلم تشك أن ذلك من القرآن فصدقته، وتخلص بذلك منها.

وذكر ابن عبد البرقصة: عبد الله بن رواحة في الاستيعاب وقال: إنها مشهورة صحيحة وذكر أنه أنشد الأبيات التي ذكرها صاحب طارد الهموم.

• يا فَدَتْكِ النفس كانت هفوة!

وقريب من هذه القصة ما ذكره أبو الفرج في الأغاني: عن الحسن ابن الضحاك قال: كانت لي نوبة[2] في دار الواثق فبينا أنا نائم ذات ليلة إذ جاءني خَصيّ[3] فقال لي: إن الواثق يدعوك فسألته عن الخبر فقال إنه كان نائما إلى جنبه حَظِيّة[4] له، فقام وهو يظنها نائمة فألَمّ[5] بجارية أخرى وعاد إلى فراشه فغضبت عليه وتركته حتى نام ثم قامت فدخلت حجرتها، فانتبه فلم يجدها، فسأل عنها فأخبر أنها قامت غَضْبى، ودخلت حجرتَها فاستدعى بك! قال: فمضيت مع الرسول، ورويت أبياتا في طريقي فلما جئت أخبرني القصة وأمرني أن أنظم في ذلك شعرًا فأطرقت كأني أقول شعرًا ورفعت رأسي وأنشدته:

غَضِبَتْ إذ زُرْتَ أخرى زورةً ... فلها العُتْبَى لدينا والرِّضى[6]
يا فَدَتْكِ النفسُ كانت هفوةً ... فاغفريها واصفحي عمّا مضى
فلقد نبهتني من نَوْمتي ... وعلى قلبي كنيران الغَضى[7]

---

(١) روى هذا الخبر ابن الجوزي في الأذكياء باب في سياق المنقول عن أصحاب نبينا رضي الله عنهم (ص٤٠). (٢) حراسة.
(٣) بفتح الخاء وكسر الصاد والخصيّ من سُلّت خِصْياته. (٤) جارية لها عنده حُظوة ومنزلة. (٥) جامعها.
(٦) العُتْبَى بضم العين الرّضي. والاعتذار حتى ترضى.
(٧) الغضي شجر يعد وقودًا مثاليًا بشدة ناره. ويضرب به المثل والواحدة غضاة.

فاستحسنها وأمرني بإعادتها فأعدتها عليه حتى حفظها ثم قام إلى الجارية فأنشدها إياها وتَرضَّاها فكان بعد ذلك إذا رآني تبسم لحسن موقع الأبيات منه ومن الجارية ونُجْحِها عندها.

وحكى المُبَرِّد عن إسحاق بن الفضل الهاشمي قال: كانت لي جارية وكنت شديدَ الوَجْد بها وكنت أهابُ ابنةَ عَمّي [١] فيها فبينا أنا ذات ليلة على السرير إذ عَرض لي ذكرُها [٢] فنزلت من أعلى السرير أريدها إذ ضربتْني في طريقي عقربٌ؛ فرجعت إلى السرير مُسرعا وأنا أتأوّه، فانتبهت ابنة عمي وسألتني عن حالي فعرّفتها أن عقربًا لدغتني؛ فقالت: أعلى السرير لدغتك؟ فقلت: لا. قالت: فاصدقني الخبرَ فأعلمتها؛ فضحكت وأنشدت:

ودَارِي إذا نامَ سُكّانُها ... تُقيمُ الحُدودَ بها العقربُ [٣]
إذا رام ذو حاجةٍ غفلةً ... فإن عقاربَها تَرْقُبُ

ثم دعت جواريَها وقالت: عزَمْتُ عليكنّ [٤] إن قتلتن عقربًا بقية هذه السنة.

• أحسنت فزدها من هذا الأدب!

البيهقي في الكمائم قال: كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنزه الناس نفسًاوأبعدَهم عن المِزاح والرّفث [٥] فأتاه ابن أبي عتيق يوما وكان ذا فُكاهة ومِزاح وفي يده رقعة [٦] فيها:

ذهبت الإلـه بما تعيش به ... وقَمَرْتَ لُبّك أيما قَمرْ [٧]
أنفقت مالَك كُلَّه سَفَهًا ... في كُلّ زانيةٍ وفي الخَمْرِ

وكانت زوجة ابن أبي عتيق عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية وكانت قد هجته بها فقال له: يا أبا عبد الرحمن انظر هذه الرقعة وأشر على برأيك فيمن هجاني بما فيها فلما قرأها عبد الله استرجع [٨] وقال له: أرى لك أن تعفو وتصفح فقال له: والله يا أبا عبد الرحمن إن لقيتُه لأنكحنه نَكْحًا شديدا يُذْهِب غيظي فأرعد ابن عمر، وأبرق! وقال له: ما لك أخزاك الله، فقال: هو والله ما أخبرتك، فافترقا فلما كان بعد أيام لقيه ابن عمر، فأعرض عنه، فصاح به يا أبا عبد الرحمن، إني لقيت صاحبَ البيتين فنكحتُه وبَرّرت يميني فصُعِقَ ابن عمر!! فلما رأى ابن أبي عتيق ما نزل به دنا منه، وقال له: في أذنه إنها زوجتي فسُرّي عن ابن عمر وقام وهو يضحك وقبّل بين عينيه، وقال له: أحسنت فزِدْها من هذا الأدب.

ابن أبي عتيق: هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومحمد بن عبد الرحمن هو المكنى بأبي عتيق، وعبد الله هو صاحب النوادر واللطف مع عمر بن أبي ربيعة. ابن عبد المؤمن في شرح المقامات قال: جاءت امرأة إلى المُغيرة بن شُعبة بزوجها تستعدي عليه وتذكر أنه عنين [٩] فقال الرجل:

---

(١) فهي تغار منها! (٢) تذكرتُها ومرت بخيالي. (٣) فلقد لدغته العقرب حين هم بجاريتها، وكأنما أقامت الحد عليه!
(٤) أقسمت عليكن وأمرتكن وأشددت عليكن.
(٥) المُزاح بضم الميم وكسرها المداعبة والهزل والمباسطة والتلطف. والرّفث في الكلام التصريح بكلام قبيح.
(٦) الرُّقعة: قطعة من الورق أو الجلْد تكتب. (٧) قَمَرَ كبّه قَمْرًا: غلبه وحكم هواه. (٨) استرجع. قال إنا لله وإنا إليه راجعون.
(٩) العِنين: بكسر العين بعدها نون مشددة: من لا يصل إلى النساء ويعجز عن جماعهن لمرض يصيبه أو لآفة في العضو. وامرأة عنينة. لا تشتهي الرجال. وتستعدي عليه: تطلب إنصافها وإعطاءها حقها.

اللـه يَـعـلـمُ يـا مـغـيـرةُ أنّـنـي قد دُستها دَوْسَ الحِصان المُرْسَل
وأخـذتُـهـا أخـذ الـمـعَـصّـبِ شَـاتَـه عَـجْـلانَ يَـذْبَـحُـهَـا لَـقَـوْمٍ نُـزَّلِ [1]

فقال له المغيرة : إني لأرى ذلك في شمائلك، وحكم له عَلَيْها. التيفاشي في «قادمة الجناح» قال: خاصمت الدهناء بنت مسحل ابن عمها العجاج وكان عِنِّينًا إلى والي اليمامة، وادعت عليه أنه مذْ دخل بها ما قربها وكان أبوها يُعينُها في خِصامها، فقال لَهُ أهل اليمامة: أما تستحي أن تطلب العسب لابنتك؟! فقال: إني أحب أن يكون لها ولد؛ فإن أفرطتهم أجرت وإن بقوا نفعوها، فدخلت مع ابن عمها على العامل، فقالت له: إني منه بجمع فقال لها: لعلك تعازين الشيخ! فقالت له: كلّا. إني لأرخي له كعثبي وأقيم له صلبي فقال: كذَبْت أيها الأمير إني لآخذها العقبلي والشعرنية فقال: قد أجلتك سنة وإنما أراد الوالي ستره فانفصل العجاج وهو ينشد :

أظـنـنـت الـدهـنـا وظـن مسحل أن الأمـيـر بـالـقـضـا يعجل
عـن كـسـلاتـي الـحـصـان يكسل عـن الـسـفـاد وهـو طـرف هيكل

وأخذ بعد ذلك يضمها ويقبلها أي كأنه رجل فقالت له:

تـالـلـه لا تـخـدعـنـي بـالـضـم وكـثـرة الـتـقـبـيـل بـي والـشـم

فذهب بها العجاج إلى أهله وطلقها من ليلته سترا على نفسه. العسب: النكاح، وقولها: إنّي منه بجُمع بضم الجيم وإن شئت كسرت أي باقية على بكارتي لم يصل إليّ، وتعازين الشيخ: أي تُمانعينه وتغالبينه، والعقبلي والشعرنية، نوعان من أنواع المصارعة، وقوله والحِصانُ يَكْسُل بالضّم وهي لغة. وسمعت غيره من بني تميم يقول: يَكْسَل بفتح الياء والسين المهملة. وأنشد صاعد في الفصوص لبعضهم :

كـنـت أحِـبُّ نـاشِـئًـا عَـبَـنْـبَـلا يـهـوَى الـنّـسـاءَ ويُـحِـبُّ الـغَـزَلا
يـجـمـع بـيـن جِـدّه والـهَـزْلا يـأخـذنـي أخـذ الـصُّـقـور الحجلا

العبنبل: الرجل الضخم، قال صاعد: لحاها الله فقد كانت غليمة.

الهيثم بن عدي قال: كان عبد الملك بن مروان شديد الشغف بالنساء فلما أسن وكبر وضعف عن الجماع زاد غرامًا بهن فدخل إليه يومًا أيمن بن خريم فقال له كيف أنت يا أيمن؟ فقال: بخير يا أمير المؤمنين فقال: وكيف قوتك؟ فقال له: كما أحب والله المحمود إني لا آكل الجذعة وأرتحل البعير الصعب وأفترع العذراء لا يقعدني عنها الكبر ولا ينقص مني في مخالطتها الوطر، فغاظ ذلك عبد الملك وحسده عليه فمنعه العطاء وحجبه حتى أثر ذلك في حاله فقالت له امرأته: ويحك اصدقني عن حالك فهل أجرمت؟ قال: لا والله فقالت: دار بينك وبين أمير المؤمنين حديث فقال: نعم وأخبرها فقالت: من هنا أتيت لقد حسدك الرجل على ما وصفت به نفسك ولكني أحتال لك ثم تهيأت ودخلت على عاتكة زوج أمير المؤمنين فقالت لها: إنما طلبت منك أن تستعدي لي أمير المؤمنين على زوجي فقالت لها: وما ذاك؟ فقالت: والله ما أدري مع رجل أنا أم مع حائط وإن له لسنين لا يعرف حديثا ولا

---

(١) لقد دافع الرجل عن نفسه فأشهد الله أنه قد وطئها كما يدوس حصان مرسل مطلق الأرض! وأنه أخذها أخذًا شديدًا كما يُعَصّب الرجل شاته لكي يذبحها لضيوف على عجل. ألا ما أصدق هذه الكلمات في تصوير ما كان منه، ومن أجل هذا قال له المغيرة: لقد رأيت ذلك في شمائلك- والشمال: الخلق وجمعه شمائل.

فراشا وقد عزمت على فراقه فخرجت عاتكة إلى أمير المؤمنين عبد الملك فعرفته ذلك وسألته في أمرها فوجه إلى أيمن وسأله عن ما تشكت به زوجته فاعترف بذلك فقال: أو لم أسألك عن هذا منذ مدة فوصفت كيت وكيت فقال: يا أمير المؤمنين إن الرجل ليتجمل عند سلطانه وبمحضر أعدائه بأكثر مما وصفت به نفسي وأنا الذي أقول :

لقيت من الغانيات العجابا ... لو أدرك مني النساء الشبابا
ولكن جميع النساء الحسان ... عناء شديدا إذا المرء شابا
إذا لم ينلن من المرء ذاك ... يكن شماسا عليه صعابا
وإن لم يخالطن كل الخلا ... ط أصبحن مخرطمات غضابا
علام يكحلن حور العيون ... ويحدثن بعد الخضاب الخضابا
فهل ذاك إلا لما تعلمون ... فلا تمنعن النساء الضرابا

قال : فجعل عبد الملك يضحك منه ومن قوله ثم قال له: أولى لك يا أيمن لقد لقيت منهن برحا فما تصنع مع زوجتك؟ قال: أستأجلها العنين، وأداريها لعلي أستطيع إمساكها قال: افعل ففعل ورجعت إليه وأمر له عبد الملك بما فاته من عطاء. أيمن بن خريم أحد التابعين ولأبيه خريم بن فاتك صحبه وروايات عن الرسول ﷺ ونسب خريم إلى جده فاتك وإنما خريم بن الأخرم بن عمرو بن فاتك وقد ذكرناه في شرح الشفا. ويروي أن عبد الملك قال له لما أنشد هذا الشعر: ما عرف أحد النساء معرفتك ولا وصفهن وصفك. قال هشام بن عبد الملك للأبرش الكلبي زوجني امرأة من كلب فزوجه فقال له ذات يوم وهو يداعبه: أنا تزوجنا إلى كلب فوجدنا في نسائهم سعة فقال له الأبرش: يا أمير المؤمنين إن نساء كلب خلقن لرجال كلب. وسمع رجل من كندة رجلا من غيرهم يقول: إنا وجدنا في نساء كندة سعة فقال له الكندي: إن نساء كندة مكاحيل فقدت مراودها. قيل لامرأة تطلق كثيرا ما بالك تطلقين أبدا؟ فقالت: إنهم يريدون الضيق ضيق الله عليهم قبورهم!

أبو الفرج في الأغاني قال: طلب المهدي من جواريه أن يتحدثن مع بشار وقلن له إنه محجوب البصر لا غيرة عليك منه فأمره أن يدخل عليهن يحدثهن فاستظرفنه وقلن له أوددنا يا أبا معاذ لو كنت أبانا حتى لا نفارقك فقال لهن: ونحن على دين كسرى، فبلغ المهدي ذلك فمنعه من مجالستهن. الزبير في الموفقيات قال: عن سليمان بن عياش قال: أخبرني أبي قال: مررت في أرض بني عقيل فرأيت جارية بيضاء تدافع في مشيتها تدافع الفرس المختال تنظر عن عينين نجلاوين بأهداب كقوائم النسر لم أر أكمل جمالا منها فوقفت لأكلمها فقالت لي عجوز بفناء الدار: مالك ولهذا الغزال النجدي الذي لاحظ لك فيه؟ فقالت لها الفتاة: دعيه يا أماه يكن كما قال ذو الرمة :

ولو لم يكن إلا تعلل ساعة ... قليلا فإني نافع لها قليلها

ابن أبي طاهر في تاريخه قال: كان في المهدي حب وغزل في النساء فبلغه عن عونة بنت أبي عون جمال وهيئة فقال للخيزران استزيريها فاستزارتها فلما سارت عونة إليها قالت لها الخيزران: هل لك في الحمام؟ قالت لها: إذا شئت فدخلت معها فلم تشعر عونة إلا والمهدي واقف على رأسها وهي عريانة فدخلت خلف الخيزران واستترت منه فجذبها فأخذت كرسيا وقالت: والله لئن دخلت عليّ أو دنوت مني لأهشمن به وجهك! فقال لها: إنما أردت أن أنظر

إليك لأتزوجك. فقالت: لا سبيل إلى ذلك فانصرف عنها. وبلغه عن بنت لوزيره أبي عبد الله مثل ذلك ففعلت الخيزرانة الفعلة بعينها ودخل المهدي فجذبها فقالت: أنا أمتك فافعل بي ما أحببت فصرف الخيزران ووقع عليها فنال منها ما أحب فلما انصرفت أخبرت أخاها عبيد الله بذلك فكلفها باستزارة الخيزران ودخلت الحمام معها فلم تشعر إلا بعبيد الله قد هجم عليها فاستترت فقال لها: أما إنا لو أردنا أن نفعل ما فعلتم لحرمنا لفعلنا ولكنا لا نستحل ذلك فانصرفت الخيزران وأعلمت المهدي بذلك فتجنى عليه بعد مدة فقتله.

ابن الجوزي في الأذكياء: عن المفضل قال: دخلت على الرشيد وبين يديه طبق ورد وبين يديه جارية لم أر أحسن منها وجها وقد أهديت إليه فقال لي: يا مفضل قل في هذا الورد شيئًا لتشبهه به فقلت:

كـأنـه خـد مـرمـوق يـقـبـلـه ... فـم الحبيب وقـد أبـقـى بـه خجلا

قال: فقالت الجارية :

كـأنـه لـون خـدي حـيـن تدفعني ... يـد الـرشـيـد لأمـر يـوجـب الغسلا

أبو الفرج في الأغاني عن علي بن الجهم قال: لما أفضت الخلافة إلى المتوكل أهدى إليه الناس على أقدارهم وأهدى إليه طاهر جارية تسمى محبوبة تقول الشعر وتلحنه وتغنيه وكانت تحسن كل ما يحسنه علماء الناس فحسن موقعها من المتوكل وحظيت عنده حتى لم يكن عنده أحد بمنزلتها. قال ابن الجهم: فدخلت يوما عنده للمنادمة فلما استقر بنا المجلس قام فدخل إلى بعض المقاصير ثم خرج وهو يضحك فقال لي: يا علي، إني دخلت فرأيت فلانة قد كتبت على خدها بالمسك جعفرا فما رأيت أحسن منه فقل في ذلك شعرا فقال ابن الجهم: وكانت الجارية حاضرة معنا فتفكرت قليلا وأطرقت إلى الأرض ثم أخذت العود وترنمت حتى صاغت لما قالته لحنا ثم اندفعت تغني:

وكاتبة بالمسك في الخد جعفرا ... بنفسي خط المسك من حيث أثرا
لئن أودعت سطرا من المسك خدها ... لقد أودعت قلبي من الوجد أسطرا
فيا من لمملوك يظل مليكه ... مطيعًا له فيما أسَرّ وأظهرا
ويا من لعيني من رأى مثل جعفرا ... سقى الله صوب المزن آثار جعفرا

قال ابن الجهم : وأنا في ذلك كله مفحم لا أستطيع أن أنظم حرفا فقال لي المتوكل: يا علي أين ما أمرتك به؟ فقلت: يا سيدي أقلني فوالله لقد أفحمت وغرب عني ذهني. قال: فلم يزل يعيرني بذلك. صاحب روضة الأزهار عن علي بن الجهم قال: دخلت علي أبي عثمان المازني وعنده جارية كأنها فلقة قمر وبيدها تفاحة فقالت لي: ما أراد الشاعر بقوله :

خـبـريـنـي مـن الـرسـول إلـيـك ... واجـعـلـيـه مـن لا يـنـم عليك

قلت : لا أعرف قالت: أراد هذه ورمت إلي بالتفاحة، قال: فوالله ما وجدت لها جوابا من نسبة كلامها. البيهقي في الكمائم قال: بينما الأمين يطوف على قصره ليلا إذ مرت جارية سكرى فمد يده إليها وراودها على نفسها فتمنعت وقالت: عسى تمهلني لغد فتركها فلما كان من الغد طالبها

وعدها فقالت: أما سمعت قولهم: كلام الليل يمحوه النهار فعزم عليها وواقعها وسأل عمن بالباب من الشعراء فأمرهم بنظم القصة فقال مصعب بن عبد الله الزهري :

اتعذلني وقلبي مستطار ... كئيب ما يقر له قرار
بحب مليحة فتنت فؤادي ... بألحاظ يمازجها اخورار
ولما أن مددت يدي إليها ... لألمسها بدا منها نفار
فقلت الوعد سيدتي فقالت ... كلام الليل يمحوه النهار

أبو علي في الأمالي قال: وأكل الرشيد يوما مع ابنه عبد الله المأمون وأقبلت جارية تصب الماء على يد الرشيد فنظر إليها عبد الله وأومأ إليها بقبلة فأنكرت ذلك عليه. وأوجب ذلك أنها أبطأت عليه بصب الماء فقال الرشيد: ما هذا؟ وتوعدها بالقتل إن لم تصدقه فقالت: إن عبد الله أشار إليّ بقبلة فأنكرت ذلك بحاجبي فنظر الرشيد إليه وقد كاد يموت جزعًا فقال له: يا حبيبي أتحب الجارية وضمه إلى صدره ليسكن لهفه فقال: نعم يا أمير المؤمنين فقال هي لك فادخل بها في تلك القبة ففعل فلما خرج قال له الرشيد: يا عبد الله هل قلت في ذلك شيئًا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين :

ظبي كتبت بطرفي من الضمير إليه ... قبلته من بعيد فاعتل من شفتيه
ورد أخبث رد بالكسر من حاجبيه ... فما برحت مكاني حتى قدرت عليه

أخبث رد : يروى بالباء المفردة ويروى بالنون. غريب المأمونية كانت تقول: ملكني ثلاثة من الخلفاء وما اشتهيت منهم أحدًا إلا المعتز فإنه كان يشبه أبا عيسى بن الرشيد. قال أبو محمد بن حزم في نقط العروس: إن صدقت ففيهم والد وولده والله أعلم. وكانت غريب تحب أبا عيسى بن الرشيد حبًا شديدًا وكان أبو عيسى من أجمل الناس قالت غريب: وكنت حين ملكني الأمين بنت أربع وعشرين. قال نحرير الخادم: دخلت ذات يوم إلى قصر الحرم فنظرت إلى غريب جالسة على كرسي ناشرة شعرها وهي تغتسل فسألت عنها فقيل هذه غريب دعاها اليوم مولاها فافتضها وتصيرت بعد موت الأمين إلى المأمون فذهبت به كل مذهب وبلغ به حبها إلى أن قبل قدميها. وكانت قد هربت من سيدها الذي أخذها الأمين منه ليلا إلى حاتم بن عدي وكان قد استخفى عند مولاها وكانت تنظر إليه وينظر إليها وربما اختلس منها قبلة فلما ظهر من اختفائه هربت غريب إليه وأقامت عنده زمانا ولا يعلم سيدها أين ذهبت فقال عيسى بن زينب في ذلك:

قاتل الله غريبا ... فعلت فعلا عجيبا
ركبت والليل داج ... مركبا صعبا مهيبا
وتدلت لمحب ... فتلقاها مجيبا
جذلا قد نال منها ... ومن الدنيا نصيبا

عمارة في تاريخ اليمن قال : كانت سيدة بنت أحمد بن جعفر بن أحمد الصليحية بعيدة الصيت بالجمال والكمال والأدب جمعت كل حسن وكانت تسمى بلقيس الإسلام وكان زوجها المكرم الصليحي لما مات عنها تركها بدار العز التي بناها بمدينة ذي جبلة من بلاد اليمن فلما استولى سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي على الملك أراد أن يتزوجها ليكمل له ملكه فامتنعت منه فعزم على قتالها ثم أشير عليه بأن يكاتب في أمرها المستنصر العبيدي صاحب مصر إذ

كان أهل اليمن قائمين بدعوته فامتثل ذلك وأرسل إليه رسولين من قبله في هذه القضية فرجعا إليه بقضاء حاجته ومعهما خصى برسم الكلام معها فدخل الخصي إليها وقد حضر وجوه أهل الدولة قائمين لقيامه فقام أمير المؤمنين يسلم على الحرة الملكة السيدة الرضية الشريفة الزكية وحيدة الزمن وسيدة ملوك اليمن ويقول لها: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] وقد زوجك مولانا أمير المؤمنين من أمير أمراء حمير سبأ بن أحمد بن علي ما حضر من المال وهو مائة ألف دينار عينا وخمسون ألف أصنافا تحفًا وألطافًا فقالت أما كتاب مولانا أمير المؤمنين فإني أقول فيه ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩]. وأما أمره فلا أقول فيه ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ [النمل: ٣٢] ثم قالت للرسولين: وما أنتما فوالله ما جئتما إلى مولانا من سبأ بنبأ يقين بل حرفتما القول عن مواضعه ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨]، وتم عقد النكاح بينهما واستأذنها في الدخول بها في دار العز فأذنت له فدخل بها ومد يده إليها فلم تمتنع عليه فواقعها أول مرة ثم أراد المعاودة فمنعته وبعد لأي أجابته وأراد المعاودة ثالثة فغضبت وخرجت من البيت الذي كانت معه فيه. ويحكى أنه إنما اجتمع بها تلك الليلة خاصة وأنه عرض لها في صبيحتها من قيام بعض الثوار عليه ما أوجب اشتغاله بمدافعته ولم يقض لهما اجتماع بعد ذلك. وبعض أهل اليمن يقول: إنه لم يرها وإنما أجلست له تلك الليلة جارية من جواريها وعلم بذلك فكتم الأمر ولم يفشه.

• ملكة الروم تسأل شاعرا عربيا عن سر الختان!

ابن حبّان في المقتبس قال: وجه الأمير عبدُ الرحمن بنُ الحكم المرْواني شاعرَهُ يحيى بن الحكم المعروف بالغزال إلى ملك الروم، فأعجبه حديثُه وخَفّ على قلبه، وطلب منه أن ينادمه [١]؛ فامتنع الغزال من ذلك واعتذر بتحريم الخمر وكان يوما جالسا معه وإذا بزوجة الملك قد خرجت وعليها زينتُها وهي كالشمس الطالعة حُسْنًا، فجعل الغزال لا يميلُ عنها بطَرفه [٢]، وجعل الملك يُحدّثه وهو لاه عن حديثه؛ فأنكر ذلك عليه، وأمر الترجمان بسؤاله، فقال: عَرِّفْه أني قد بهرني من حُسْن هذه الملكة ما قطعني عن حديثه؛ فإني لم أر قط مثلَها وأخذ في وصفها، والعجب من جمالها، وأنها شوقته إلى الحُور العِين، فلما ذكر الترجمان ذلك للملك تزايدت حَظْوَتُه [٣] عنده وسُرّت الملكة بقوله، وأمرت التَرجمان أن يسأله عن السبب الذي دعا المسلمين إلى الختان وتَجَشُّم [٤] المكروه فيه، وتغيير خلق الله مع خُلُوّه من الفائدة؟ فقال للترجمان: عَرّفها أن فيه أكبر فائدة وذلك أن الغُصْنَ إذا زُبِرَ قَوِيَ [٥] واشْتَدّ وغَلُظ وما دام لا يُفعل ذلك به لا يزال ضعيفا رقيقًا، فضحكت لقوله وفطِنَتْ لتعريضه!!

• الأحلام لا تشفي غليلا!!

ابن سعيد في خزانة التاريخ قال: توجه الأميرُ عبد الرحمن بنُ الحكم غازيا إلى خليفته وكانت عنده بقرطبَة جارية يهواها فاحتلم في بعض الليالي بها فلما استيقظ قال:

---

(١) يجالسه على الشراب، ويشاركه السهر. (٢) نظره. (٣) حَظوته: منزلته واقترابه. (٤) تحمل آلام الختان.
(٥) الزُبرة بوزن غرفة القطعة من الحديد، وزُبر قطع بالزّبرة (عملية الختان) بالموسي.

وافـــاك مـــن قـرطـبـة زائـــرًا طـيـفٌ لـمـن أنـت بـه حـالـم

وقال للشاعر عبد الله بن شمر أَجزْ [1] فقال :

لـو كـان حَـقًّا لـشَـفَـى غِـلّـه وإنـمـا أنـت بـه حـالـم [2]

فاستخلف عبد الرحمن على الجيش وعاد إلى صاحبة الخيال وفعل في اليقظة ما رآه في النوم وشفى غُلّته [3] وعاد إلى الجيش .

• ولّادة واحدة أوانها ونادرة زمانها!

ابن بسام في الذخيرة قال : كانت ولادةُ بنتُ محمد بن عبد الرحمن الناصري الملقب بالمستكفي واحدةَ أوانها ونادرة زمانها، حُسْن مَنظر ومَخْبَر، حَلاوَةَ مَوْرِد ومَصْدر، وكان مجلسها بقرطبة، منتدى لأحرار المِصْر، وفناؤها مَلْعَبًا لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدَب إلى ضوء غرتها، ويتهالك أولاد الشعراء والكتاب على حلاوة عِشْرَتها وإلى سهولة حجابها، وكثرة مُنتابها، تخلط ذلك بعلو نصاب، وكرم أنساب على أنها اطَّرَحَتْ التحصيل، وأوجدت إلى القول فيها السبيل لقِلّةَ مُبالاتها ومُجاهراتها بلَذّاتها.

قال : وكانت قد كتبت في طرز جعلته على أحد عاتقيها:

أنـا والـلـه أصـلـح لـلـمـعـالـي وأمـشـي مِـشْـيـتـي وأتـيـه تيها

وكتبت في الطرز الآخر:

أمـكـن عاشقي مـن صَـحْـن خَـدّي وأمْـنـح قُـبـلـتـي مـن يَـشْـتَـهِـيَـهـا

وهي التي أولع بحبها أبو الوليد بن زيدون وإياها يخاطب بقوله :

إنـي ذكـرتُ بـالـزهـراءِ مُـشْـتَـاقـا والأفـق طَلْق ووجـه الأرضِ قد رَاقَـا
والـروضُ عن مائِه الفِضّيِّ مُبْتَسم كما شَقَقْتَ عن الـلَّـبّـاتِ أطْـوَاقَـا
وللنسيمِ اعـتـلالٌ فـي أصَـائِـلـهِ كـأنَّـهُ رَقّ لِـي فـاعْـتَـلّ إشفاقا
لا سكّنَ الـلـهُ قَـلْـبـا عـن تذكركم فلم يَـطِـر بجَـنـاحِ الـشَّـوقِ خَفّاقا
ولـو شـاء حمل نسيم الريح نحوكم وفـاكـم بـفـتـى أضْـنـاه مـا لاقَـا
الآن أحـمـد مـا كـنـا لعهدكم سـلـوتـم وبـقـيـنـا نـحـن عـشـاقـا

ومن كلام ابن زيدون مخبرا عن أول اجتماعه بها مما لم يثبت في الذخيرة قال : كنت في أيام الشباب هائما بغاغدة أرى الحياة متعلقة بقربها، ولا يزيدني في امتناعها إلا اغتباطا بها، فلما دنت ساعة القضاء، وآن اللقاء كتَبتْ إليَّ فقالت :

تـرقـب إذا جَـنَّ الـظـلامُ زيـارتـي فـإنـي رأيـتُ الـلـيـلَ أكْـتَـمُ لِلسِّرِّ
وبي منك ما لو كان بالشمس لم تَلُحْ وبالبدرِ لم يَطْلعُ وبالنَّجم لم يَسْر

---

(١) أي أكمل ببيت مماثل في الوزن والقافية.
(٢) هدأ أعصابه مما يعانيه من شدة الشوق إليها.
(٣) الغُلّة: بالضم شدة العطش.
(٤) الطويل اللين السهل.

ثم لما طوى النهارُ كافورَه، ونشر الليلُ عبيرَه، أقبلت بقدّ كالقضيب في ردف كالكثيب وقد أطبقت نرجس المقل على ورد الخجل؛ أقبلت بقدّ كالقضيب في ردف سجسج، قد قامت رايات أشجاره، وامتدت سلاسل أنهاره، ودُرّ الظلّ مَنْثُور، وجَيْبُ الرّاح مَزْرُور، فلما شبينا نارها، وأدركت منّا ثأرها، برح كل منا بحبه، وشكا ما بقلبه، وبتنا بليلة نجتني أقْحُوَان الثّغور، ونقطف من رُمّان الصّدور، ولما نشر الصبح لواءَه، وطوى الليل ظلماءه، ودعتُها وأنْشَدْتُها:

ودَّع الصَّبر مُحِبٌّ ودَّعَك ذائعٌ من سِرِّهِ ما اسْتَوْعَك
يقرع لسنّ على أن لَم يَكُن زاد في تِلك الخُطَا إذْ شَيَّعَك
يا أخا البدر سَنَاءً وَسَنَا حفظَ اللهُ زَمانًا أطْلَعَكْ
إن يَطُل بَعْدَك لَيْلِي فَلَكَمْ بِتُّ أشْكُو قِصَرَ اللّيْلِ مَعَك

وذكر ابن بشكوال في الصّلة وَلّادَةَ هذه فقال: كانت أديبة شاعرة جَزْلَةَ القول، حسنةَ الشعر، قال: ولم يكن لها تَصَاوُن يُطابق شَرَفَها، وذكر أنها تُوفّيت سنة أربع وثمانين.

• ابن الجوزي والتي لم تجد لدائها دواء!

ابن سعيد في المقتضب قال: كان أبو الفرج بن الجوزي إذا جلس على المنبر للوعظ رَفع الناسُ له رقاعًا[1] بما يَعرض لهم من المسائل فيقرؤها ويجيب عنها وهو على المنبر قال: فرفَعت له ذات يوم امرأةٌ مشهورةٌ بالجمال والرقاعة رُقعةً فيها: ما يقول سيدُنا الإمام أمتع الله ببقائه وقد ألف في كل فن إلا في الطب فيَ امرأة يضرب عليها ما بين فخذيها، وتجد أكَالا[2] شديدا بين شَفْرَيْها وقد سألت عن ذلك جميع الأطباء، فلم تجد لدائها دواءً، ولا عَلِمَتْ لعلّتها غايةً ولا انتهاءً، فلما وصل بالقراءة إلى هذه الرقعة، قال: وأين صاحبُ الرقعةِ التي تَضَمنُ مَسألةَ الطبِّ الجواب وبالله التوفيق:

يقولون ليلى بالعراقِ مريضةٌ فيالَيْتني كنتُ الطبيبَ المداويا!!

قال: فبكى الناس وتواجدوا[3] ولم يعلموا ما تحت ذلك. ابن سعيد في كتابه المسمى بالطالع السعيد قال: كتبت حفصة بنت الحاج الرُّكوني[4] المشهورة بالأدب والجمال إلى بعض من كان بينها وبينه في ذلك الزمن محبة واتصال:

أزورُك أم تزور فإن قلبي إلى ما شئتُم أبدا يميل

---

(١) رُقع بضم القاف رقاعة فهو رقيع: حَمُقَ والرّقاعة: كما جاء في المعجم الوسيط - الحماقة وضعف العقل، وتستعمل فيما ينشأ عنها من قلة الحياء والصفاقة.

(٢) أكَالا: بضم الهمزة وفتح الكاف المخففة - يقال: آكلة رأسُه أو جِلْدُه إكْلَةً وأُكَالًا: هاجه من جَرَبٍ أو نحوه فحَكّه. يقال: أكلني موضع كذا في جسدي!

(٣) تواجدوا: استشعروا الوَجد من نفوسهم وحزنوا على مريضةالعراق التي لا تجد الطبيب المداويا ولم يفطنوا إلى ما قصده الشيخ ردًا على ما تضمنته الرقعة من البحث عن علاج لما ينتابها من أكال لا تجد له دواء!

(٤) أناتك: تأنيك وانتظارك وتمهلك.

وقد أمنت أن تظمي وتضحى إذا وافى إليك بي المقيلُ
فثغري مورد عذب زلال وفرع ذوائبي ظل ظليل
فعجل بالجواب فما جميل أتاتُك عن بُثَيْنةَ يا جَميلُ [1]

• مال لصيانة الجمال !!

تشبه هذه الأبيات ، الأبيات التي أنشدها ابن الحصين في تاريخه «لسلمى بنت القراطيسي» من أهل بغداد قال : وكانت مشهورة بالجمال والأدب :

عُيونُ مَها الصريم فِداء عيني وأجياد الظِّباء فداء جِيدي [2]
ريّنُ بالعقودِ وإنّ نَحْري لأزْيَنُ للعقودِ من العُقود
ولا أشكو من الأَوْصاب ثِقَلا وتَشْكُو قامتي ثِقَلَ النُّهود [3]

قال ابن الحصين : وبلغت هذه الأبيات «المقْتَفي» فقال : اسألوا عنها هل تصدق صفتها قولها؟ فقالوا : ما يكون أهل منها! فقال : اسألوا عن عفافِها. فقيل: هي أعف الناس فأرسل إليها مالا كثيرًا وقال: تستعين به على صيانة جمالها ورونق آدابها.

تم الكتاب بطَوْلِه وحَوْله وقُدرته وذلك في شهر صفر الخير من شهور سنة ألف ومائة وثلاثة وثلاثين من بعد الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

وفي نسخة أخرى: تم كتاب تحفة العروس وجلاء النفوس بحول الله تعالى وحسن عونه تأليف الشيخ التجاني رحمه الله وغفر له ولسائر المسلمين أمين. وكان الفراغ من نسخ هذه النسخة المباركة يوم الأحد المبارك تاسع وعشرين شهر ربيع الأول من شهور سنة واحد وستين وتسعمائة من الهجرة النبوية والحمد لله وحده

(١) من أهل غرناطة. وارجع إلى نزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي تحقيق عبد اللطيف عاشور.
(٢) أجياد: جمع جيد بكسر الجيم الرقبة.
(٣) الأوصاب: الأوجاع

المحتويات

بين يدي الكتاب	٣
مخطوطات الكتاب	٥
مقدمة المؤلف	٧
الباب الأول: جامع في النساء، وما يُتّقى من فِتنتهن، وما زَيّنه الله سُبحانه في قلوب الرجال منهن، وحكمة الله سبحانه في أن خلقهن والرجال من نفس واحدة ليسكن بعضُهم إلى بعض، وكراهة الخَلوة مع غير ذوات المحارم، وما يُؤمر الرجل أن يفعله إذا رأى امرأة فأعجبته	١١
الباب الثاني: في العفاف والتصوُّن وثواب من منع النفس عن هواها، وقمعها عن شهواتها المحرمة ومُناها	١٥
الباب الثالث: في الحض على النكاح، والإنكار على من ترك النساء زهدًا، وذكر اختلاف الناس في وجوب النكاح واستحبابه	٢٢
الباب الرابع: في تخَيُّر الرجل لنطفته، وبيان الخصال التي تُتَزَوّجُ بها المرأة، وما ينبغي للرجل أن يقصده من ذلك؟ ومن يَتَجَنّب من النساء ؟	٢٧
الباب الخامس: فيما يباح للرجل من النظر إلى المرأة إذا أراد نكاحها	٣٦
الباب السادس: في ذكر الصَّدُقَات، وما ورد في كثرتها، وقلتها، وكراهة المغالاة فيها !!	٤٠
الباب السابع: في الوقت المستحب لعقد النكاح، وذكر الوليمة، وما ينبغي أن يدعى به للمتَنَاكِحَيْن	٤٤
الباب الثامن: في جلاء العروس عند ابتناء زوجها بها ودخولها على الرجل ليلًا أو نهارًا واستحباب اللهو في ذلك. وما ينبغي للرجل والمرأة أن يتمثلاه عند الاجتماع، وقبل الوقاع. وذكر جمل من آداب الجماع	٥٠
الباب التاسع: في الزينة والتطيب، وما يستحب للمرأة من ملازمة ذلك، وأنه من أعظم الأسباب الموجبة لحظوتها عند زوجها	٦١

الباب العاشر: في زينة الرجل وما يستحب له من التهيؤ لزوجته كما يحب أن تتهيأ له ، والنهي عن إكراه المرأة الحسناء على تزوج الرجل القبيح، والحدثة على تزوج المسن	٧٠
الباب الحادي عشر: في معاشرة النساء وموافقتهن، وحقوق المرأة على الرجل وماله من الحقوق عليها، وذكر وصايا من وصايا الحكماء لبناتهن عند إهدائهن	٧٤
الباب الثاني عشر: في السراري	٨٥
الباب الثالث عشر: في تفضيل الأسنان ، وما ورد في ذلك من الاستقباح والاستحسان	٩٢
الباب الرابع عشر: في الأبكار والثُّـــيَّب	٩٨
الباب الخامس عشر: في السمن والضمور	١٠٥
الباب السادس عشر: في الألوان وفيه ثلاثة فصول	١٠٨
الباب السابع عشر: في الطُّول والقِصر	١١٦
الباب الثامن عشر: جامع في الملاحة والجمال	١١٩
الباب التاسع عشر: في ذكر أوصاف النساء على الإجـمـال	١٢٦
الباب العشرون: في ذكر أوصافهن وما ورد في ذلك من المخايرة والتفضيل وفيه عشرون فصلا	١٣٣
الباب الحادي والعشرون: جامع لذكر الجماع وبيان ما فيه من المنافع والمضار وما قيل في الإقلال منه والإكثار، وفي مذاهب العرب في وطء الليل ووطء النهار، وذكر أسماء من أسماء النكاح منزلة على حسب ما نزلتها العرب في لغتها	١٧٠
الباب الثاني والعشرون: الرّهْز في الجِماع	١٧٩
الباب الثالث والعشرون: في وطء الرجل في غير الفرج، وذكر صور من صور النكاح ورد ذكرها في بعض الأحاديث	١٨٢
الباب الرابع والعشرون: في الغَيْرة وما يُحمد منها وما يذم	١٨٥
الباب الخامس والعشرون: يشتمل على مُلَحٍ من مُلَحِ المفاكهات والمطايبات يتعلق جـميعها بالنكاح	١٩١